نظرات في السنة

تأليف

دكتور
محمد عبد المنعم القيعي

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

الناشر
مكتبة الكليات الأزهرية
حسين محمد امبابي وشركاه
٩ شارع الصنادقية بميدان الأزهر
ت ٩٠٨٤٠٨ - ٩٣١٢٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعواته ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

وبعد :ـ

فهذه قطوف من الثمر الجنى الطيب ـ اقتطفتها من رياض السنة ، ورأيت أن أتقدم بالقارىء إليها ، برهانا على الحاجة للسنة التى تطاول عليها من لا علم عنده ، فشكك فيها بكلمة حق يراد بها باطل ، يكفينا كتاب الله ، ونسى أن السنة هى المذكرة التفسيرية الصحيحة ، والمبينة لبعض الأحكام التى قد لا يتعرض لها القرآن إلا من الناحية الإجمالية وقد قال سبحانه : (وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) .

وسيكون هذا البحث مبوبا لموضوعات متعددة . وقد أذكر حديثاً فى موضوع ، مع أنه قد يتناول غيره فى فقرة منه ، إلا أنى أذكره فى ذلك الموضوع ، نظرا لأغلب فقرات الحديث .

ولعل هذا هو السر فى اختلاف منهج المحدثين ، فيذكره البخارى فى كتاب ، ويذكره مسلم فى كتاب آخر .

وسوف أعتمد على مصادر الحديث .

والله الموفق

الموضوع الأول

النبي

نحن لا نكتب فى هذا الموضوع عن ميلاده أو حياته ، فقد أكثر الكاتبون فى هذا الموضوع ، ولا حاجة لإعادته - وإنما نكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ونتعرف عليه من زاوية أخرى زاوية الحديث :

١ - فهو الإنسان الحريص على هداية الناس ، يحذرهم ما يعلمه من أخطار تحيط بهم ، ويبعدهم عنها ما استطاع (مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا ، فجعل الجنادب والجراد يقعن فيها ، وهو يذهبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

٢ - وهو المربى الفاضل الذى يرشد تلاميذه إلى كل فضيلة ، ويعلم كل فرد أن يقف فى مخططه لا يتجاوزه ، حرصا على النظام العام ، فإذا انتهك فعليه أن يتقدم ليشترك فى تدعيم بنيانه . غير خائف ولا هياب (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا - لا نخاف فى الله لومة لائم) خ حـ ٢ الفتن ص ١٤٥ .

٣ - وهو الرحيم فى غضبه ، لم تنسه ثورته مصلحة الفرد المعتدى على مصلحة الجماعة ، فيوفق بينهما بالحكمة (أتى برجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وريح الخمر تنبعث من فيه - فقال النبي اضربوه قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه . فلما انصرف قال

بعض القوم : أخزاك الله . قال النبي : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان) خ حـ ٢ (الحدود) ص ١٥٠ .

٤ — وهو المصلح المنصف ، يحارب الترف في صوره الخليعة ، ويصل كل محتاج (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ، ونهانا عن سبع . أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وإفشاء السلام ، وتشميت العاطس ، وإبرار المقسم ، ونصرة المظلوم ، وإجابة الداعي ، ونهانا عن تختم بالذهب ، وعن شرب بالفضة ، وعن المياثر الحمر والقسي ، وعن لبس الحرير والإستبرق والديباج) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

٥ — وهو الكريم يجود بما عنده ، فإذا لم يستطع أن يعطيه رافقه ودعا الناس لمساعدته (إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: اشفعوا تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب) خ حـ ١ (الزكاة) ص٩٨ .

٦ — وهو الطالب من ربه في خشوع وذلة ، والمستجاب له بما هو فوق مطلوبه (قرأ قول إبراهيم ومن عصانى فإنك غفور رحيم . وقول عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . فقال : اللهم أمتى ثلاثا وبكى . فأنزل الله جبريل يقول له : إن الله سيعطيك في أمتك ولا نسوؤك) أحمد .

٧ — وهو المدعو لضيافة ربه ، أراه من عجائب مخلوقاته مالم يسمح به لسواه ، فبلغه للناس ليبتغوا ماعند الله من خير ، ويحذروا مالديه من عقاب (قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم فأدخلوا النار) خ حـ٢ (النكاح) ص ١٢٢ ١٢٣ .

٨ — وهو واسع الصدر ، لين الجانب ، يستجيب لكل رغبة مشروعة

(يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا) خ حـ ١ ص ١٥ ، ٢٢ (كتاب العلم) .

٩ — وهو المرن فى حذر (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أمرين قط الا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما . فان كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى) خ حـ ٢ (اسلام أبى ذر) ص ٥٢ .

١٠ وهو القدوة الحسنة ، لا يخفى على الناس شيئا ينتفعون به . (قال لفاطمة : إنى لأرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتقى الله واصبرى ، فإنه نعم السلف أنا لك) .

١١ — وهو صاحب الخلق العظيم ، والحس المرهف ، يعلم أهله فى رفق (ماعاب رسول الله طعاما قط — إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه) خ حـ ٢ (إسلام أبى ذر) ص ٥٢ .

١٢ — وهو الذى يراعى الظروف ، ولا يتقيد بالعادات التى لا لمصلحة فيها (شرب النبى قائما)[١] (ودخل يوم الفتح بعمامة سوداء) .

١٣ — وهو الحبيب لأمته . تنام أعينهم على ذكراه ، وتصحوا بصائرهم على رؤياه ، معصومة تعاليمه (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، أو كأنما يرانى فى اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بى) خ بالمعنى حـ ١ ص ١٩ العلم .

١٤ — وهو الذى أجله المنصفون من أعدائه فقد أورد الترمذى وأبو داود روايات تقبيل اليد للنبى فقط ، وكذا رجله كما فعل اليهوديان .

---

(١) خ حـ ١ (الحج) ص ١١٠

١٥ — وهو الذى لم يمنعه اختلاف العقائد أن يستخدم فى بيته أو خارجه غير المسلمين (فقد روى أنه خدم النبى غلام يهودى)[١] .

١٦ — وهو الذى يحب أن يستمع إلى آيات ربه ، تتلى من فم غيره ، ليزداد فيها تأملا . ففى معنى الحديث (اقرأ على القرآن يا ابن مسعود . قال : أأقرأ عليك وعليك نزل؟ قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى . فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . فرفع رأسه إذ النبى مستغرق فى البكاء)[٢] .

١٧ — وهو الذى جعلت الصلاة عليه قربى وزلفى إلى الله ، يجازى الله عليها بالإحسان من أداها ، ويحقق له ما تصبو إليه نفسه ، ويتمناه قلبه (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة) .

١٨ — وهو الذى اختار أطيب الأوقات وأجدرها بالإجابة ، فأهاب بالمؤمن أن يدعو لنفسه وللنبى فيها (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محموداً الذى وعدته ـ حلت له شفاعتى يوم القيامة)[٣] .

١٩ — وهو الذى يتعرف على الخلق بعد وفاته بمقدار صلاتهم عليه (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم

---

(١) خ ح١ (الجنائز) ص ٩٢ (٢) خ ح٣ (تفسير القرآن) ص ١٠٣

(٣) خ ح١ ص ٥٦

معروضة عليّ) أبو داود والنسائى .

٢٠ — وهو الذى يعرف قدر نعمة الله عليه فيقوم بشكره ويقول للمتسائلين عن حاله وقد غفر الله له يقول : (أفلا أكون عبداً شكورا) خ ح ١ (التهجد) ص ٨١ .

٢١ — ولقد كان مشغولا بربه فى يقظته ونومه، لا تنصرف عنه بصيرته (إن عينى تنام ، ولا ينام قلبى) خ ح ١ (التهجد) ص ٨٢

٢٢ — ولقد قامت تعاليمه على أساس من المنطق ، وفهم لخصائص النفس فكل ما فى الكون إما خير أوشر . والشر يجب اجتنابه ، والخير مجال لتنافس المتنافسين (فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه) .

٢٣ — وجسده لا يبلى (كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال : يقول بليت . قال النبى : إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء) أحمد .

٢٤ — وقد أمر الله بالصلاة عليه ، ومن لم يؤدها فذلك هو المحروم (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ) الترمذى .

٢٥ — وإذا كان بعض الناس قد خرجوا على تعاليمه فليس ذلك يعيبها، بل يعيب الناس الذين مالوا بقدسية التعاليم إلى الوثنية والخرافات رغم التحذير والتنبيه (لا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم) أحمد .

٢٦ — وكان أعرف الناس بالرجال، وأشدهم استمساكا بحسن المعاشرة يعلم ما تحدثه الكلمة من أثر فى النفس فيقول (لا يبلغنى أحد منكم عن أحد

من أصحابى شيئا ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) .

٢٧ — ولحديثه تأثير بالغ على القلوب والأسماع ، جعل البعض يروى تأثيره فى الجماد فقال (بكى الجزع على ما كان يسمع من الذكر عندما فارقه، واتخذ المنبر يخطب عليه) خ حـ ١ (الجمعة) ص ٧١ .

٢٨ — وكم بلغت به الكياسة والفطنة إلى حد لم يجعل نفسه يوما فى موضع شبهة ، فيتهم ، وإن كان هو المعصوم عند الله والناس . كان ذات ليلة معتكفا فدخلت عليه إحدى زوجاته وقام يودعها فى الظلام ، فرآه رجلان من أصحابه وعرفاه ، فحولا بصرهما عنه وعن المرأة . فناداهما إنها صفية . فتعجب الرجلان . فقال مشفقا عليهما (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا) خ حـ ١ (الاعتكاف) ص ١٢٧ .

٢٩ — وشمل وده الأموات كما شمل الأحياء ، فلم ينسه طول الزمان أن يذكر للميت حقه (صلى على قتلى أحد بعد ثمانى سنين وقال : إنى بين أيديكم فرط ، وأنا شهيد عليكم ، وإن موعدكم الحوض ، وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا ، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩١ .

٣٠ — والعظماء يزنون الأمور بميزان غير الميزان الذى يزن الناس به أعمالهم ، فيلاحظون منصبهم الرفيع ، ومقام مولاهم الأسما فنراهم يعظمون التافه من الأمور إن نسب إليهم ولو كان ترك الأولى وحسنات الأبرار سيئات المقربين (إنه ليغان على قلبى ، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة) مسلم .

٣١ — ولقد كان يشعر أن تكريم مندوبيه تكريم لشخصه ، فيثيب عليه بأحسن منه (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم) .

٣٢ — وكم علم أصحابه الحياة السهلة الخالية من التكلف أو التعقيد (لاتقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) .

٣٣ — وأروع أمثلة العدل نستشفها من خلقه ونستلهمها من هديه — استدان دينا فجاء الدائن يشتمه ، وهم بعض أصحابه بتأديب ذلك المتطاول على مقام النبوة . فقال لصاحبه (أنا وهو أولى منك بغير هذا ، تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن الأداء) .

٣٤ — ومع مقامه المحمود وقيامه بواجبه ، لم ينج من البلاء — بل يربط بين الدين والابتلاء على أنه ضريبة يؤديها المتدين تكفيراً عن ذنوبه حتى يلقى الله طاهرا راضيا (أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يبتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الأرض ما عليه خطيئة) .

٣٥ — ونشر بين أصحابه الوعى الصحى والاعتناء بالأسنان (لقد أمرت بالسواك حتى خشيت أن أدرد) .

٣٦ — ورسم طريقا واضحا يصل منها العبد إلى غايته ، مطمئن القلب هادىء النفس إن هو التزم بحدود مارسم له (ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطئن أحد منكم رزقه ، فإن جبريل ألقى فى روعى أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس . وأجملوا فى الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله . فإن الله لا ينال فضله بمعصيته) .

٣٧ - ولقد كان صاحب مبادىء لم يخرج عليها فى شدته ورخائه ، وهى أسس لحياته العريضة العميقة (المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضى غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى ، وقرة عينى فى الصلاة) القاضى عياض فى الشفاء الصحيح وقفه على على

٣٨ — ولقد كان صادقا فى كل مايقول ، يضرب لأمته الأمثال بأب وفىّ لأبنائه ، لا يشك فى حنانه (إنما أنا لكم مثل الوالد على ولده أعلمكم) .

٣٩ — ومن الناس من يدفعه تزمته فيمتنع عن المباح ظانا أنه الورع . ولعمرى إنه الجهل القبيح ، والجرأة المتسترة وراء الخوف والخشية (ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية) .

٤٠ — ولقد كان يراعى مشاعر الناس وعواطفهم ، ويحس بأن التمهيد لكل تغيير أمر لا بد منه . وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود الفعل أضرار وعواقب ينبغى للمصلح أن يتلافاها قال لعائشة (لولا قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ، وبلغت به قواعد إبراهيم) خ حـ ١ (الحج) ص ١٠٨ .

٤١ — والمساواة أساس لصحبته ، وحق المعلم على طلابه أن يتأسوا به ، وليس هو السيادة واستغلال النفوس وتسخير الدهماء (علمت أنكم تكفونى ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم . وأن الله سبحانه يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه) .

٤٢ — وليس بفظ ولا غليظ ، ولكنه حكيم رشيد ، يضع الدواء

فى موضع الداء فيمحو أثره . جاءوا إليه برجل وقالوا : أنه يحب الزنا . فقال (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فما كان شىء أبغض إليه بعد من الزنا) مسند أحمد عن أبى أمامة وهو دعاء لمن قال ائذن لى فى الزنا .

٤٣ — وجاءه آخر من المولعين بالحديث عن المعضلات وجهل الأوليات — وتلك ظاهرة خطيرة وإن بدت من الرجل ساذجة . قال له الرجل : علمنى من غرائب العلم . فقال النبى (اذهب فأحكم ماهنا لك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم) .

٤٤ — ولقد كان بليغا يراعى مقتضى الحال ، ويطابقه كلامه ليسهل على السامع فهمه (أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم) .

٤٥ — وكان يعلم أن ضرب الأمثال يبرز المعقول فى صورة المحسوس المشاهد ، فيسهل على الناس فهمه ، ويتضح تصورهم له على حقيقته (إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى ، وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا . فقال : اسمع سمعت أذنك . واعقل عقل قلبك . إنما مثلك ومثل أمتك مثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه — فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك . فالله هو الملك . والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يامحمد رسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام ، دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل منها) خ حـ ٢ (الاعتصام بالكتاب والسنة) ص ١٦١ ، ١٦٢ قريبا منه .

٤٦ — وكان يعلم أن الأزمة الإقتصادية أشد تمزيقا لصفوف أعدائه ، فيسأل ربه أن ينزلها بهم ويقول (اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) خ حـ ١ (الآذان) ص ٦٥ .

٤٧ — وكان يعطف على أصحابه الذين واجهوا المشكلات معه ، فلما مات عثمان بن مظعون (قبله النبي بعد موته) .

٤٨ — ولم تكن مهمته بالأمر السهل ، فقلوب أشد من الحجارة قسوة تعاديه ، وآيات كالزلازل تهز جسمه وروحه معا ، ونذير عدل من السماء ينزل عليه (شيبتني هود وأخواتها : الحاقة ، والواقعة ، وعم ، والتكوير ، والغاشية) .

٤٩ — ولقد كان ما يشعر به فى داخل نفسه ينعكس آثاره على بدنه يراها كل راء (أتيت النبي وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء) .

٥٠ — ومن سننه الاختلاط بالناس لحل مشاكلهم ولكن لامانع من ساعة ينفرد فيها يراجع أعماله معهم ، ويستلهم من ربه ما يزودهم به من نصح وإرشاد (حبب إلى الخلوة والوحدة والنظر والتفكير) هداية المرشد ص ٣٧٥ .

٥١ — وله طريقة فى الحياة ، بها انتصر على أعدائه ، ودعا الأمة للسير عليها ، فانتصرت حين أجابته ، فلما خرجت عليها افترستهم الذئاب . ولن يصلح الله هذه الأمة إلا بما صلح به أوائلها من عود إلى السنة (لازلتم منصورين على أعدائكم مادمتم متمسكين بسنتى ، فإن خرجتم على سنتى سلط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم ، فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتى) .

٥٢ — وقد اتخذ خاتما لدولته ، وكتب عليه رسالته تمييزا له عما يشبهه (اتخذ النبى خاتما من فضة ، ونقشه محمد رسول الله ، كأنى أنظر إلى بياضه فى يده) خ ح ١ (العلم) ص ١٥ .

٥٣ — ولقد كان يعظم العلم ويعلمه أصحابه ، ويفضل من فيه استعداد له (بينا أنا نائم ، أتيت بقدح لبن ، فشربت حتى إنى لأرى الرى يخرج فى أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر . قالوا : فما أولته ؟ قال : العلم) خ ح ١ (العلم) ص ١٦ .

٥٤ — والشفاعة العظمى التى سيمنحها الله له ، لا ينتفع بها إلا من سلم قلبه من الشرك ، وتنزهت جوارحه من صوره (أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه) خ ح ١ (العلم) ص ١٨ .

٥٥ — وعلى الناس أن يرققوا مشاعرهم ، فيبتغوا لأنفسهم الخير حين يتسمون باسمه ، وليس لهم أن يدعوا بعضهم بعضا بما هو من خصائص رسولهم (تسموا باسمى ، ولا تكنوا بكنيتى) خ ح ١ (العلم) ص ١٩ .

٥٦ — وله خصائص لا ينبغى أن تنسب إلا إليه ، فقد روى نبع الماء من أصابعه[١] ، فعلى المسلمين ألا ينسبوا هذا إلا له . على أنه معجزة ثانوية. وقد أمر قومه[٢] بشرب أبوال الإبل وألبانها ، وليس لنا أن نأمر بذلك ، فهو يعلم عن ربه غير ما نعلمه نحن .

٥٧ — ولقد كان نظيفا طيب الرائحة . (وقد صح أنه شرب لبنا ومضمض وقال : إن له دسما) خ ح ١ (الوضوء) ص ٢٧ .

وصح كذلك أنه تبول قائما[٣] . ونضح الماء بعد بول الصبى[٤] على ثوبه ولم يغسله .

---

(١) خ ح ١ الوضوء ص ٢٥ (٢) خ ح ١ (الوضوء) ص ٢٧

(٣) خ ح ١ (الوضوء) ص ٢٨ (٤) خ ح ١ (الوضوء) ص ٢٨

٥٨ - وروى أن عدد المتوضئين من حجر صغير كان فى يده ثمانون أو يزيد[٥] وروى أنه داوى جراحه بغسل الدم وحشاه بحصير محروق[٩] . فإذا جاء الطب ينهانا عن ذلك لمـافيه من خطر ، فعلينا أن نمتثل . ولا مانع من أن تـكون الواقعة من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

وخصائصه قد يصرح بها وقد يشير إليها . ومن القواعد أن من ادعى الخصوصية فعليه الدليل . وكلام الأطباء يصلح أن يكون مخصصا متى ثبتت الواقعة ، وإلا تعارض الشرع مع العلم وهذا بعيد . ومما صرح به من الخصائص (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى - نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة وبعثت إلى الناس عامة) خ ج ١ (التيمم) ص ٣٤ .

٥٩ — ومن الخصائص التى تخصه ماروى أنه لم يرد السلام على من سلم عليه ، لأنه كان جنبا[٢] — مع أنه يقول : (المؤمن لاينجس) خ ج ١ الغسل ص ٦١ .

٦٠ — ومما هو مختص به قوله (ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك) خ ج ١ (الصلاة) ص ٣٦ .

---

(١) خ ج ١ (الوضوء) ص ٣٦ .

(٢) خ ج ١ (الوضوء) ص ٤٩ بعد غسل الدم .

(٣) خ ج ١ (الصلاة) ص ٤٩ .

٦١ - وكان لا يفارق الرفق بالصغار وإن كان فى عبادته (كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها)[1] .

٦٢ - وكان يشفق على الكبار كذلك (إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى ، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه) خ حـ ١ (الآذان) ص ٦٠ ، ٦١ .

٦٣ - وهو الذى قد أراه ربه العجائب ، ليبشر وينذر (قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت منى النار حتى قلت : أى رب أو أنا معهم ؟ فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة . قلت ما شأن هذه قالوا : حبستها حتى ماتت جوعا لا اطعمتها ، ولا أرسلتها تأكل من خشيش أو خشاش الأرض (خ حـ ١ (الآذان) ص ٦١ .

٦٤ - ولقد كان سمحا لا يحمل الناس على مايصبر عليه هو ، إلا أن يكلفه ربه به فيدعو الناس إليه (عن عائشة أنه دخل وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال . مزمارة الشيطان عند رسول الله ؟ فقال : دعهما) خ حـ ١ (العيدين) ص ٧٣ .

٦٥ - وهو الذى استجاب ربه دعاءه (لما رأى من الناس إدبارا قال : اللهم سبعا كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة حصت كل شىء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع . فأتاه أبو سفيان فقال : يامحمد إنك تأمر بطاعة الله وصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ـ فادع الله لهم . قال الله : فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين

---

(١) خ حـ ١ (الصلاة) ص ٤٩ .

يغشى الناس ـ هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) خ ح ١ (الاستسقاء) ص ٧٦ .

٦٦ — ولقد ضرب فى العفو أروع الأمثال حين انقطع عناد بن أبى بموته ، وكان زعيما للمنافقين ، فطلب ولده المؤمن من الرسول أن يصلى عليه ، فلما تقدم للصلاة (قال عمر . أليس الله قد نهاك أن تصلى على المنافقين ؟ قال ، أنا بين خيرتين : (استغفر أو لا . ثم صلى عليه . فنزلت ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره) خ ح ١ (الجنائز) ص ٨٧ .

٦٧ — وكم كان يتمنى أن يهدى الله أبا طالب للإسلام ، عرفانا من النبى لمجاملة أبى طالب له ، وبدت منه كلمات تدل عما فى قلبه من حب لهدايته ، لكن مشيئة الله أبت إلا ما كان من موت الرجل على ما كان عليه من شرك (أما والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك . فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى ، من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) خ ح ١ (الجنائز) ص ٩٢ .

٦٨ — وكان يحب أن يرى الأعداء من نفسه القوة وممن معه ، حتى لا يطمع فيهم (عن عمر : فمالنا والرمل ، إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شىء صنعه النبى فلا نحب أن نتركه) خ ح ١ (الحج) ص ١٠٩ .

٦٩ — وكان لا يمنع أحدا من عمل خير كان قد تعود أن يعمله فى الجاهلية ، فإن الإسلام يدعو إلى الخير . فمن كان خيرا فى الجاهلية ، فليواصل عمله فى الإسلام ولا حرج (استأذن العباس أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل السقاية ، فأذن له) خ ح ١ (الحج) ص ١١٠ .

٧٠ — وكان متواضعا (شرب من مكان أيد الناس فى زمزم ، وعرض أن يعمل فيها) خ حـ ١ (الحج) ص ٩١٠ .

٧١ — وكان فقيها يعبد الله على علم ، فكل شىء لايقطع الصلة بالله لايفسد على العبد عبادته (تزوج ميمونة وهو محرم) والظاهر أنه كان عقدا لا دخولا . ومن أنكر هذا زعم أنه الدخول وهو بعيد الوقوع منه وهو محرم . ومتى صح الحديث وجب حمله على العقد[1] (٢) خ حـ ٣ (غزوة خيبر) ص ٨٣ .

٧٢ — وكان لايخدعه عمل المتمسحين بالحرم ، وهم يعملون على تشويه قدسيته (دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءه رجل . فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه) خ حـ ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

٧٣ — ولقد أكمل الله به البناء ، وأودع فيه من الخصائص ما استغنى به عن إرسال جيش من المرسلين ، وضمن كتابه عموما ومرونة يسع بهما الزمان والمكان والأشخاص إلى يوم القيامة (مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) خ حـ ٢ (إسلام أبى ذر) ص ٥١ .

٧٤ — وهو الذى أيده ربه فى غير موضع، ورفع عنه الحجب ، فأجاب عن تحديات قريش بعلم من غير أن يكون هناك تصادم للمعقول . ومن العجب أن نفراً يزعمون أن الله نقل له بيت المقدس ينظر إليه وهو فى مكة ، مع أن

---

(١) خ حـ ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

الحديث لم يتعرض لنقل البيت من موضعه (لما كذبتني قريش ، قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)[١] .

٧٥ - وكان يحب التيسر والأخذ بالرخص يروى أنه (أفطر عند الكديد وهو مسافر إلى مكة) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٣ .

٧٦ - وإذا كان الإسلام ثورة على الجاهلية ، فليس بالثورة العمياء بل ما فيها من خير أبقى عليه، ومافيها من شر ألغاه . سأله سائل نذرت في الجاهلية اعتكاف ليال ثم أسلمت . فقال له النبي : (أوف بنذرك الاعتكاف في الجاهلية)[٢] .

٧٧ - ولقد عاش حياته زاهداً في الدنيا ، يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين ، لتقتدى به أمته (رهن درعه عند يهودى وقال : ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولاصاع حب ، وإن عنده لتسع نسوة) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

٧٨ - ولقد تحدثت عنه الكتب السماوية السابقة بالإجلال والتقدير ، ومهدت لرسالته ، ولفتت أنظار أهل الكتاب إليه لينتظروا مقدمه . وهذه صفة الرسول في التوراة (ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين . أنت عبدى ورسولى . سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ،

---

(١) خ ج ١ (الاعتكاف) ص ١٢٧ .

(٢) خ ج ٢ (الإسراء) ص ٦٤ .

ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا) (١) .

٧٩ - وكان يعلم المسلمين ألا يتوانوا فى سداد ديونهم ، فاذا جاءه ميت سأل هل عليه دين ؟ فإن لم يكن عليه دين أو كان عليه وعنده وفاء صلى عليه وإن لم يكن عنده وفاء تركهم يصلون عليه ، حتى فتح الله عليه وقال (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه : من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضيعة فإلى وعلىّ) .

٨٠ - وإذا كانت الدبلوماسية الحديثة يستدل بها على مدى تقدم الإنسان وتحضره ، فإن النبى أقر ما فيها من محاسن ، وتجنب ما فيها من عيوب (لاتخيرونى على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق ، فاذا موسى باطش جانب العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى ، أم كان ممن استثنى الله) خ حـ ١ (الخصومات) ص ١٤٧

٨١ - وهو بشر يجوز أن ينسى بعد التبليغ، ويستحيل أن ينسى قبل التبليغ وإنكار الأول مكابرة ، وإنكار الثانى كفر - إذ فيه ضياع الرسالة إن جاز النسيان قبل التبليغ . وعلى هذا نحمل الحديث (سمع رجلا يقرأ فى المسجد فقال : رحمه الله ، لقد أذكرنى كذا وكذا - آيات أسقطهن من سورة كذا وكذا) خ حـ ٢ (الشهادات) ص ١

٨٢ - وكان يكره الشرك والمشركين ، ويكافىء على المعروف (أوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه ، ونسى الراوى الثالثة) خ حـ ٢ (الحور) ص ٢ ، ٢٦

٨٣ - وكان ذا مروءة، يقدم المرأة على نفسه، ويدعو لمساعدتها (عثرت

---

(١) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٢

ناقة النبي ووقع ، ووقعت صفية فقال : عليك المرأة . فألقى أبو طلحة ثوبا على وجهه وأتاها ، فألقاه عليها وأصلح لهما مركبهما) خ حـ ٢ (الحور) ص ٢٧

٨٤ ـ وإذا وسع الله عليه فلا مانع عنده من أن يستمتع بما هو مباح له . ويروى : (انكسر قدحه ، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة) خ حـ ٢ (الحور) ص ٢٧

٨٥ ـ ولقد أيد من سبقه من المرسلين وآمن بهم ، وأعلن أخوتهم له ، وتلاقى شرائعهم معه (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبياء أخوة لعلات : أمهاتهم شتى ودينهم واحد) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥

٨٦ ـ ولقد كانت له أسماء يعبر بها عن صفاته وشمائله ، فصح عنه (لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب) خ حـ ٢ (اسلام أبى ذر) ص ٥٠

٨٧ ـ وكانت قريش تطعن فيه شأن كل عدو يطعن عدوه ، وكان لا يرد عليهم ويدافع الله عنه (ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما ، وأنا محمد) خ حـ ٢ (اسلام أبى ذر) ص ٥١

٨٨ ـ وكان بعض أبناء بنته يشبهه فى جسمه (قال أبو بكر للحسن : بأبى شبيه بالنبى لا شبيه بعلىّ) خ حـ ٢ (اسلام أبى ذر) ص ٥١

٨٩ ـ وكان زمان بعثته من خير الأزمان التى مر بها الإنسان . (بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا ، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) خ حـ ٢ (اسلام أبى ذر) ص ٥٢

٩٠ ـ ولقد مهد الله لنبوته بالرؤيا الصالحة فى النوم. فيروى (جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو؟ وقال أوسطهم : هو خيرهم . وقال آخرهم خذوا خيرهم . فكانت تلك . فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبى نائمة عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء . فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء) [١] .

٩١ ـ ولقد عاش واثقا بربه ، مطمئنا لوعده ، متحدثا بفضل الله عليه (إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يحيا أو يخير) خ ج ٢ (مرض النبى ووفاته) ص ٩٧

٩٢ ـ وكانت تنتابه الأمراض غير المنفرة، ويعالج نفسه منها . ويروى (إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذتين، ومسح جسمه بيده) خ ج ٢ (مرض النبى ووفاته) ص ٩٧

٩٣ ـ ولا نشك فى أن الله أيده بالمعجزات ، وأولها وأبقاها القرآن الكريم . ولا ننكر أن له معجزات أخرى ، وإن توقف البعض فيها فلأنهم يشكون فى ثبوتها لا فى إمكانها . ومن ذلك ماروى أنه (انشق القمر فى عهد النبى شقتين ، فقال : اشهدوا)[٢] .

٩٤ ـ وكذلك ماتنبأ به من أحداث فردية غيبية ، يتوقف البعض فيها . ويرى أنه كان على أحد فاضطرب الجبل . فقال (اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان)[٣] يعنى أبا بكر وعمر وعثمان . ورأينا فى مثل هذه

---

(١) خ ج ٢ (إسلام أبى ذر) ص ٥٢

(٢) خ ج ٢ (إسلام أبى ذر) ص ٥٥ .

(٣) خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٧ .

الأخبار أن نستبعد تدخل العقل ليحكم عليها . فهى منسوبة لنبى قد لايدرك العقل مايؤيده الله به . وعلى المتوقفين فيها أن يكون سندهم نقليا . فإن صح ما يستندون إليه انكرناها ، وإن لم يستطيعوا صدقناها والله أعلم .

٩٥ ـ ولقد كان فى المعارك يصاب بجراح، ويصاب من يدافع عنه (عن طلحة أنه وقى النبى بيده ، فضرب فيها حتى شلت) خ جـ ٢ (فضائل الصحابة ص ٥٨ : ٥٩ .

٩٦ ـ وكان يعجب بالمهارة الشخصية ، ومن ذلك أن أسامة بن زيد وأباه كانا نائمين فدخل قائف وقال (إن هذه الأقدام بعضها من بعض . فسر النبى وأعجبه وأخبر به عائشة)[١] . أما العمل بمقتضى القافة والحكم بها فمسألة فقهية أنكر الحكم بها علماء الحديث ، واختلف فيها الفقهاء .

٩٧ ـ وكان يدعو الله لمن سأله الدعاء (سألنى جن نصيبين الزاد ، فدعوت الله ألا يمر بروث ولا بعظمة إلا وجدوا عليها طعاما) خ جـ ٢ (مبعث النبى) ص ٦٤ .

٩٨ ـ ولقد زاد إكرام الله له فطيب خاطره ، وخفف العذاب عن عمه الذى جامله ، وإن كان فى الحقيقة نصره نصر لله (ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال : هو فى ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار)[٢] .

---

(١) خ جـ ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩ .
(٢) خ جـ ٣ (مبعث النبى) ص ٦٤ .

٩٩ ـ ولن تجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا ، ولعل هذا يوضح لنا شق صدره قبيل المعراج إعدادا لعالم الفضاء الذى سيصعد إليه . ولا يقال اصطنعه الله لنفسه ، فلماذا لم يعده الله من قبل ؟ والحق أن للطيار ملابس لا غنى له عنها أثناء طيرانه ، ولو استمر يرتديها لضايقته كثيراً . وفى الحديث (بينما أنا فى الحطيم . وربما قال فى الحجر مضطجعا إذ أتانى آت يقول فشق ما بين ثغرة نحره إلى شعرته ، فاستخرج قلبى ثم أوتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ، ثم أُوتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، ويضع خطوه عند أقصى طرفه وذكر من هم فى السموات:آدم فيحيا وعيسى، فيوسف ، فإدريس، فهارون ،فموسى ، فإبراهيم ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيله . قال : ثم أوتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن . فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك . فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى) خ ج ٢ (الإسراء والمعراج) ص ٦٤ - ٦٦ .

١٠٠ ــ ولقد أرشده ربه حين تـكلم فى ثورة غضبه (شج النبى يوم أحد فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزلت ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)[1] .

١٠١ ــ وكان أحيانا يعالج بعض أصحابه الذين أصيبوا معه (ضرب سلمة بن الأكوع فى ساقه يوم خيبر ، فنفث فيها النبى ثلاثا ، فما اشتكى بعد منها) خ حـ ١ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

---

(١) خ حـ ٢ (غزوة أحد) ص ٧٦ .

١٠٢ ـ وكان يحسن الظن بالناس ، ويعلم الأمة أن تقيم الأحكام على أساس الظاهر من أحوالهم ، بعيدة عن التجسس أو التخمين (إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم)[١] .

١٠٣ ـ والحق عنده وحدة لاتقبل التجزئة . قال له مسيلمة الكذاب : الأرض بينى وبينك . فكتب إليه (لو سألتنى قطعة الجريد ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك . ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه مارأيت ـ وهذا ثابت يجيبك عنى) خ ح٢ (وفد بنى حنيفة) ص ٩٠ .

١٠٤ ـ ولقد أراه الله بعضا من أحوال أمته فى حياتهم الأبدية ، ومدى تجاوز الله عنهم ، وأراه كذلك منزلته التى أعدها الله له جزاء على عمله الصالح (أتانى الليلة آتيان ، فابتعثانى فانتهيا بى إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء . قالا لهم : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه . ثم رجعوا إلينا فذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا فى أحسن صورة ، قالا لى : هذه جنة عدن وهذاك منزلك . قالا : أما القوم فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، تجاوز الله عنهم)[٢] .

١٠٥ ـ وصرح القرآن بشىء مما سيعطيه الله له ، فلما صعد إلى السماء أطلعه الله عليه (لما عرج به إلى السماء قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا فقلت ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر)[٣] .

---

(١) خ ح٢ (غزوة الطائف) ص ٨٨ .

(٢) خ ح٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٥ .

(٣) خ ح٢ (تفسير القرآن) ص ١١٥ .

١٠٦ ــ وكان عظيما فى سلمه وحربه ، لم تنسه حلاوة النصر أن يمنح أعداءه الحرية الشخصية ، وإن كانت امرأة تملكها بملك اليمين ، وأصبحت لاحول لها ولا قوة نتيجة الحروب التى ارتضاها أهلها ، ليعوقوا بها سير الدعوة الإسلامية (روت عائشة أن ابنة الجون لما أدخلت على النبى قالت : أعوذ بالله منك . فقال لها : لقد عذت بعظيم ، ألحق بأهلك) خ حـ ٢ (الطلاق) ص ١٢٤ .

(١٠٧) وكان رحيما بالضعفاء يوصى بهم ، ويعد الأوصياء المحسنين بمنزلة تدنو من منزلته عند الله (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا . وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئاً) خ حـ ٢ (الطلاق)ص ١٢٥

(١٠٨) والذين لايحسبون للمستقبل حساباً فيصرفون ماعندهم لايفكرون فى غدهم ، وقد ابتعدوا عن تعاليمه كثيرا . فلقد كان يدخر ويروى (كان يبيع نخل بنى النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم) خ حـ ٢ (الحور) ص ٢٠

(١٠٩) ونهى عن المثلة ولو كانت بالحيوان (لعن النبى من مثل بالحيوان)[١] .

(١١٠) وكان بصيراً بالأمور نبيل الغاية ، يدخر لأمته ماهو الأنفع لها (لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة) خ حـ ٢ (الدعوات) ص ١٥٧

(١١١) وإذا كان بالناس جدب ، كان أبعد الناس عن الاحتكار وحتى

---

(١) خ حـ ٢ (الذبائح والصيد) ص ١٢٠

الادخار ، فإنه فى وقت الشدة لون من الاحتكار ، ويجب أن يكون الإنسان مع الناس فى شدتهم ورخائهم . وهذه حاله يدخر فى الرخاء ويبذل فى الشدة (أنفق بلال ، ولا تخش من ذى العرش إقلالا . أماخشيت أن يكون له بخار فى جهنم) (أخرجى الذهيبة ، فما ظن محمد بربه وهذه عنده) .

(١١٢) وكان بشرا رسولا ، إن أنسته بشريته ذكرته نبوته (إنى بشر اللهم من دعوت عليه فاجعل دعائى عليه رحمة)[١] .

(١١٣) وفى رواية (إن لكل نبى دعوة مستجابة ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، فهى نائلة منكم إن شاء الله ، من مات لا يشرك بالله شيئاً) .

(١١٤) وكان وفيا بالعهد ، يحذر من الإخلال به (من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة) .

(١١٥) وكان يعرف أنه ضيف فى الدنيا ، فلم يعبأ بها (مالى وللدنيا إنما أنا كرجل . قال تحت شجرة ثم تحول عنها وتركها) .

(١١٦) وكان يحب أن يرى أمته طيبة القلب نظيفة البدن (مالكم تدخلون على قلحا . استاكوا) .

(١١٧) وكان يفعل الشيء ويتركه تشريعاً لأمته فلبس الخاتم وخلعه وكذا الخميصة[٢] ، ومزق الستر المعلق على حجرة إحدى زوجاته[٣] . كل هذا ليبصر أمته ، وعليهم أن يتفقهوا وأن يفقهوا سنته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) خ ٤ (الدعوات) ص ١٥٨ خاص بالمؤمنين .
(٢) خ ج ١ (الصلاة) ص ٢٩   (٣) خ ج ١ (الصلاة) ص ٢٩

وصدق الله إذ يقول (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) .

(الموضـــوع الثانى)

(الله)

(١) ليست الفكرة عن الله فى السنة كالفكرة عنه فى علم الكلام أو الفلسفة ، فإنها فيهما معقدة أو مشوهة . أما فى السنة فإنها واضحة لا تعقيد فيها ولا تشويه ، لأنها حديث المتكلم عن الله بعلم ، وأساسها الصلة بينه وبين خلقه ، وهى صلة وثيقة لا انقطاع فيها ولا فجوة . فهو السيد المالك الذى التزم بالشيء تفضلا قبل أن يلزم به العبد ، ويكلفه به تكليفاً عادلا . إذ فيه مصلحة العبد، والالتزام به يتمشى مع فطرته . وهو السيد المنقذ بإرشاده من كل تخبط وحيرة . وهو الصمد المحتاج إليه فى كل شيء . وهو السيد الذى يعفو عمن أساء وندم ، ومد يده رافعاً زلته إليه . وهو السيد ذو السلطان والقوة ، لا ينتفع بطاعة ولا يضار بمعصية ، ولكنه يكلف بما شاء ، لا اعتراض على المالك فيما ملك . وهو السيد الذى لا حدود لملكه ، فلا ينقصه عطاء ولا يزيد فيه منع . وهو السيد السائد الحاكم بين عباده ، الذى يجازيهم على أعمالهم . (ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا . ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم . ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلكم عار إلا من كسوت ، فاستكسونى أكسكم . ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم . ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا . ياعبادى لو أن

أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) م تحريم الظلم ح ١٦ .

٢ ـ والحب انعكاس لإحساس داخلى . وثمرة لشعور وجدانى ، تبدو معالمه فى نحو التعجب والفرح . وكل إنسان مطالب بهذا الحب لربه ، تعبير عن معرفته لنعمه . ولسوف يمنح الله عليه جزاء ، لا يحسن القلم تصويره ، ولا تدرك الخواطر كنهه (أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى ، يوم لا ظل إلا ظلى) م فضل الحب فى الله ح ١٦

٣ ـ والذين آمنوا أشد حباً لله ، يحبونه عن معرفة ، ويتشوقون لما عنده . فهو غاية مسعاهم ومنتهى رجائهم (المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور . يغبطهم النبيون والشهداء) .

٤ ـ وقد نتساءل هل كل من تحبه يحبك ؟ إن ذوى الحس المرهف لا يترددون فى أن يقولوا نعم . والعليم الخبير يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فكل من اجتمع عليه أو أعطى من أجله أو مشى فى سبيله ، له حب بحب ، وعطاء بعمل (وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمجالسين فى ، والمتزاورين فى ، والمتباذلين فى) .

٥ ـ ولسوف يقف كل عبد بين يدى ربه ، يسأله عن عمله من غير وسيط بينهما ، وبلغة يفهمها . وهذا قرع للنفوس الغافلة وعون للهمم العالية أن تزيد نشاطها ، لتقدم إنتاجها ، فتتقى به سوء العذاب يوم القيامة (ما منكم

من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم . وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه . فاتقوا النار ولو بشق تمرة) خ ح ١ (الزكاة) ص ٩٦ ، ٩٧

٦ - ولله على عبده حقوق ، وللعبد عند ربه مطالب ، ثمنها أن يرهب مقامه ، ويسير فى ركب الحياة ، مستحضرا عظمته (من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة) .

٧ - وللجزاء ميزان عنده : —

الخير فيه أجور لاحدود لها * والشر بالمثل أو عفو وغفران .

تتسع ساحته للوافدين من خلقه ، وتتسع رحمته المذنبين من عباده ، إن أقبلوا عليه أسرع إليهم بفضله ، وإن أدبرت عنه جوارحهم ، وهتفت بوحدانيته قلوبهم - تشكو إليه ضعف الجوارح ، وتبثه أسفها - تلقتهم مغفرته (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر . ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعاً ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا . ومن أتانى يمشى أتيته هرولة . ومن لقينى بقراب الأرض خطايا لايشرك بى شيئا ، لقيته بمثلها مغفرة) خ ح ٢ التوحيد ص ١١٢ ، ١٦٣

٨ - ورحمته وسعت كل شىء ، والتوبة عنده لاتحددها كلمات . والذنب إن تكرر من غير إصرار عليه قد يدخل فى دائرة عفوه .

والمهم عنده إحساس العبد بذنبه ، واستعظامه له ، وخشيته من عصاه - فيوقن أنه فى قبضة غافر الذنب ، وقابل التوب . شديد العقاب ، ذى الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير . وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم . فلا يغريهم حلمه (أذنب ذنبا عبد فقال : اللهم

اغفرلى ذنبى . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . ثم عاد وأذنب فقال : أى رب - اغفرلى ذنبى فقال تبارك وتعالى مثل ما قال ثلاثا . ثم قال : قد غفرت لعبدى وليفعل مايشاء) خ حـ ٢ (التوحيد) ص ١٦٣ .

٩ - ومن ستر الله عليهم فى الدنيا ، وتيقظت ضمائرهم بعد ، وعملوا الصالحات - تكفيرا عن ماضيهم ، قد تنسيهم الأيام سوء ما قدموا ، ويفتح لهم الأمل صفحة جديدة مع مولاهم - هؤلاء سوف يمثلون بين يديه فيقررهم بذنوبهم من غير أن يفضحهم ، ليعلموا فضله عليهم (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة . فيقرره بذنوبه - فيقول : أتعرف ذنب كذا . فيقول : رب أعرف . قال : فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم - فيعطى صحيفة حسناته) خ حـ ١ (المظالم) ص ١٤٨

١٠ - والعقد الذى أبرم بين المخلوق والخالق ، قد يجهل العبد بعض جوانبه ، نتيجة انحراف طرأ على فطرته . وحين يتكشف له ربما يسلم نظريا بحق سيده ، ولا يرضى به عمليا ، وربما يتمسك بحق نفسه من غير أن يلتزم عمليا بحق سيده . وحق السيد إفراده بالعبادة . وحق العبد الممنوح له تفضلا النجاة من العذاب . ولأمر ما - كان من الحكمة ألا يخبر العامة بما منح لهم ، فيسيئوا تأويله ، ويشوهوا جماله (هل تدرى ماحق الله على عباده ، وماحق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . فقلت : أفلا أبشر الناس . قال : لاتبشرهم فيتكلوا) خ حـ ١ (العلم) ص ٢٢ بالمعنى .

١١ - والله لاتحجبه الحواجز عن عبده ، بل هو فى شعوره ، ومعيته

ساطعة فى وجدانه ـ إن هو إستقامت فطرته ، وسلمت من الآفات ذاكرته (أنا عند ظن عبدى ، وأنا معه حيث يذكرنى) .

١٢ ـ ومما يرضيه أن تشعر بالحاجة اليه ـ فتطلب منه ، وتأمل فيه . وفى لحظة رضائه عنك لو وضعت خطيئتك فى رحمته ، لذابت وتلاشت مهما بلغ حجمها ، وزاد جرمها . (ياابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى ، غفرت لك عـــلى ما كان منك ولا أبالى . ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك) .

١٣ ـ وهـو شديد المحـال ، جبار متكبر . لو كشف سر جبروته لقطع البار كل رجاء فيه . وهو الغفور الرحيم ، لو رفع الستار عن فضله ـ لطمع فيه كل مجترىء عليه (لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد . ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ، ماقنط من جنته) خ جـ ٢ الاستئذان ص ١٤٤ .

١٤ ـ ولله فى كل شىء حكم ، بعضه واضح جلى ، وبعضه خفى ـ ابتلى الناس به . وله فى أرضه حمى يرعاه ويصونه . وعـــلى الناس أن يسلكوا سبيل السلامـة ، وأن يتجنبوا طريق الندامة . فان اشتبه عليهم طريق ، فالأسلم لهم ألا يعبروه ، وعليهم أن ينصرفوا لإصلاح قلوبهم التى عليها حياة أبدانهم (إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس ـ فمن اتقى الشبهات إستبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ـ كالراعى يرعى حول الحمى ، يوشك أن يقع فيه . ألا وإن لـكل ملك حمى ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ـ ألا وهى القلب) خ ٢ جـ ١ (الايمان) بالمعنى ص ١٣ واللفظ لمسلم .

١٥ ـ ولله صفات لا تشبهها صفات الحـوادث ، بيد أنه لتيسير فهم صفاته ـ يخاطبنا بمـا نعلم . وعلينا أن نؤمن بالتنزيه . ومالا تدركه حواسنا

يستحيل أن تتصوره على الحقيقة عقولنا . وصفات الله له وحده ليس لأحد أن ينازع فيها ؛ وإلا استحق أشد العذاب لجرأته وتطاوله (العز إزارى ، والكبرياء ردائى . فمن ينازعنى فى واحد منهما فقد عذبته) .

١٦ ـ ويحب من عباده أن يرفقوا بأنفسهم فى كل شىء (إن الله يحب الرفق فى الأمر كله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

١٧ ـ ويحب كذلك أن تكون نعمه ظاهرة على عباده من غير فخر ولا خيلاء (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .

١٨ ـ ولم يكن الله قد عزل نفسه عن العالم كما تقول بعض الفلسفات . ولم تكن حركة العالم بالشوق اليه وهو فى عزلة عنه كما تروى بعضها ، ولكنه مع خلقه أينما كانوا وحيثما وجدوا ـ هو بجانب مريضهم لينظر من عاده ، وبجانب المحتاج لينظر من وده ـ فإنه أغنى وأفقر ، وأعطى ومنع ، وأصح وأمرض . وينظر ماذا عمل الأمناء فيما استودعهم إياه ، ليكافئهم أو يعاقبهم. (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى . قال : يارب وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده . يا ابن آدم إستطعمتك فلم تطعمنى . قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى . قال : يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : إستسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى) .

١٩ ـ والسر والعلانية سواء بالنسبة لعلمه ، وربما كان السر أفضل ـ رحمة بالعبد من أن تستهويه الشياطين ، فتجعل عمله رياء وسمعة . والطالبون منه يمكن أن يكتفى منهم بما فى سرائرهم ، لكنه أراد أن يعبدوه كذلك بألسنتهم فى هدوء وخشوع (أربعوا على أنفسكم ، فانكم

لاتدعـون أصما ولا غائبا ، إنه معكم ، إنه سميع قريب) ، خ حـ ١٢ (الحوز) ص ٢٣ .

٢٠ ـ وما دعا الله أحدا الى خير الا كان سبحانه يضرب للناس الأمثال بعمله . وربمـا رجحت ميزان العبد عنده ذرة من الخـير ، يقدمها العبد الى غـيره ـ فينال بها ثواب الله ورضوانه (حوسب رجل ممن كان قبلـكم فـلم يوجد له من الخـير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس . وكان موسرا . وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه ـ تجاوزوا عنه) خ جـ ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

٢١ ـ وهـو الذى تحيا القلوب بذكره ، وتموت بالغفلة عنه (مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكره ، مثل الحى والميت) خ جـ٢ (الدعوات) ص١٥٩.

٢٢ ـ ومن أجل معانى الذكر الشعور بمراقبته ، ولذلك الشعور جزاء بالخير عنده (فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى . وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم) خ جـ ٢ (التوحيد) ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

٢٣ ـ ولله جنود يبحثون عن الذاكرين له بالعلم ، أو بالتأمل والتفكير ، أو بترديد ألفاظ مأثورة فى أدب وخشوع ، ليس فيها تشويش أو مجاهرة . ولهـؤلاء الذاكرين ومن يسعده الله بالجلوس معهم جزاء . نكل بيانه للحديث فيقول : (إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر . فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا ـ فيسألهم ربهم وهـو أعلم : مايقول عبادى ؟ قال : يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله مارأوك . فيقول : كيف لو رأونى؟

قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا . فيقول : فماذا يسألون ؟ قال : يقولون يسألونك الجنة . قال : يقول وهل رأوها؟ قال : يقولون لا والله ما رأوها . قال: يقول فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمن ما يتعوذون ؟ قال : يقولون يتعوذون من النار . قال : فيقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله ما رأوها . فيقول : كيف لو رأوها؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء ؛ لا يشقى بهم جليسهم) خ ج ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

٢٤ ـ والخجول من المعصية أقرب إليه من المغرور بالطاعة ، لأن الأول عاصى تائب ، والآخر طائع عاصى ـ فأهدر طاعته بغروره ، أما الأول فأزال معصيته بالتوبة ـ ولذلك كان أحظر بفضل الله من الآخر . ويروى فى هذا أن طائعا لقى عاصيا . فقال له العاصى . عسى الله أن يغفر لى . فرد عليه المغرور : والله لا يغفر الله لك ، فقال الله عز وجل (من ذا الذى يتألى على ألا أغفر لفلان ؟ إنى قد غفرت له وأحبطت عملك) .

٢٥ ـ وإذا كانت أحكام الناس قد تكون عقبة فى سبيل الضعفاء ، ولا تحد من سلطان الأقوياء ، فحكم الله نعرفه على غير هذا الوجه ـ ينصف الضعفاء ، ويهذب الأقوياء (إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

٢٦ ـ وكل حق للجماعة هو حقه ، وكل من يؤذيها يقتص الله منه (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا) .

٢٧ ـ وكل ما حرمه على العبد فهو لمصلحته ، ليس لله فيه منفعة . ولكنه يريد من العبد أن يطيعه (إن الله تعالى يغار ، وغيرة الله أن يأتى المرء ما حرم الله عليه) خ حـ ٢ (النكاح) ص ١٢٣ .

٢٨ ـ وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال ، يحلل ويحرم ، ويدع أمورا لم ينسها . ولكن اقتضت حكمته ألا يظهر الحكم فيها . رحمة بالناس ـ فقد يسوؤهم إظهارها ، وعليهم أن يحملوا المسكوت عنه على المذكور الشبيه به ، أو يحملوها على البراءة الأصلية ـ فهى مباحة لهم . هذا إن كان المسكوت عنه حكما شرعيا يتعلق بمصلحة العباد .

إما إن كان حكما قدريا ، فعليهم ألا يشتغلوا به . وقد أراد الله بنا شيئا ، وأراد منا شيئا ـ فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا . ويكفى أن نشتغل بالمعلوم ، ولا نتيه فى غياهب المجهول ، وأن نلتزم بحدود ما وضح لنا ، ولا نبحث فيما لا طائل فيه (إن الله تعالى فرض فرائض . فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) .

٢٩ ـ ومن الناس من يمتعهم الله بالحديث معهم ، أو يتجلى عليهم برحمته إياهم أو يطهرهم بغفران ذنوبهم . ومنهم المحروم من كل هذا ولهم بعد الحرمان عذاب الحريق . هؤلاء الخائبون الخاسرون . منهم من منع عن مضطر حاجة ، أو خان أخاه فصدقه وهو عليه كاذب ـ متخذا اليمين بالله خداعا ونصبا ، أو وضع يده فى يد ظالم لينال دنيا ، أو خلع يده من يد عادل لينال الدنيا عند غيره . وكل هؤلاء معتدون على الفضيلة ، ومنتهكون لحماها ، يروعون المجتمع ويؤذونه ـ فأغضبوا الله الذى يرعى المجتمع ويصونه (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب

أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل . ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك. ورجل بايع إماما لايبايعه إلا لدنيا فان أعطاه منها وفى ، وإن لم يعطه لم يف) خ حـ ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

٣٠ ـ وهو الذى يحب عباده إن أحبوه ، ويبغضهم إن جحدوا نعمته . وعلى الطالبين منه أن يراجعوا أنفسهم هل استجابوا له قبل أن يطالبوه بالإجابة ؟ وهم العبيد ، فكيف لا يستجيبون للسيد ثم يطمعون فى فضله ؟ وليس الموت هو باب الوصول إليه وكلنا يكره الموت . كلا . لقد صحح الرسول فهم عائشة حين قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . قالت عائشة : فكلنا نكره الموت . قال لها : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ .

٣١ ـ ولكن الوصول إليه بالعمل الصالح (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا . وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء ـ يارب يارب . ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام ـ فأنى يستجاب لذلك) .

٣٢ ـ والصالح الذى يتقرب به إليه ماشرعه لعباده ، وأخلصوا نياتهم لله فيه ـ فاستبعدوا عن أذهانهم وجوارحهم كل صور الشرك . وأفردوه وحده فتوجهوا بالعمل إليه ، عندئذ يبقى عملهم ويسقط ماعداه من الأعمال (إذا كان يوم القيامة جيء بالدنيا فيميز منها ما كان لله . وما كان لغير الله رمى به فى نار جهنم) .

٣٣ - والإخلاص له والقيام بأوامره - كلها سبيل رضاه (من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض) .

٣٤ - ولقد حارب الله الرياء وعده لونا من الشرك وإن تفه مقداره ؛ لما فى ذلك من ضرر وخطورة (اليسير من الرياء شرك) .

٣٥ - وقد خلقنا لعبادته وهدانا سبيلا الخير والشر . وفى مسيرة الحياة تعترض الإنسان مشاكل معقدة ، يحتاج فى حلها إلى بصيرة نيرة وعقيدة راسخة . فقد تحل بإرضاء المخلوق وسخط الخالق - وهنا يكون الابتلاء . فالمؤمن لايرضى بغير الله بديلا ، والفاجر لايعرف لربه سبيلا - فيغضبه ويرضى غيره . وسرعان ماتتبدل الأحوال ويحول الله عنه القلوب التى اكتسبها بسخط الله، فتنقلب عليه ناقمة لاعنة (من أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه ، وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه . ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينيه) .

٣٦ - وأودع فى يد الإنسان المال واختبره فيه؛ لأنه من أعز مايحرص عليه الإنسان . وقد أمره الله على استمساكه به وصيانته له . بيد أنه قد يضيع منه لأمر فوق إرادته ، وقد ينفق منه بإرادته . ومن عدل الله معه أن ماأنفقه الإنسان بإرادته ابتغاء وجه الله يحفظه له عنده ، لاتصيبه آفة ولا يطرأ عليه نقصان (ياابن آدم أفرغ من كنزك ، وعندى لاغرق ولا حرق ولا سرق . أو فيكه أحوج ما تكون اليه) .

٣٧ - ولا يظن ظان أن ما يبذله لله ينقص ماعنده ، ولكن يطهره وينميه . وليس الله فى حاجة ، فالكل مفتقر اليه . وهو الغنى الحميد . سخاؤه لا

ينقطع ، وعطاؤه لا يحد . لكنه منع عن بعض خلقه - ليعلم الناس فضله وعدله إن هو بدل الأحوال وصير الغنى فقيراً (ياعبدى أنفق أنفق عليك . يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض ما بيده ، وكان عرشه على الماء . وبيده الميزان يخفض ويرفع) خ ج٢ تفسير القرآن ص ١٠٥

٣٨ - ولا يحب الله من العبد أن يعذب نفسه من تلقاء طاعة يخترعها ، يريد منها القربى إلى الله ، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يتهادى بين ولديه يبدو عليه التعب . قال : ماشأنه ؟ قالوا : نذر أن يحج لله ماشيا . قال : مروه أن يركب وليهد بدنة . ثم قال (إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى) خ ج١ (جزاء الصيد) ص١١٧

٣٩ - والله مع العبد في حركاته وسكناته ، فى حسه وضميره ، ومن الأمور البديهية أن نزوع الإنسان فى وحدته يغاير نزوعه وهو مع الناس ، فقد يكبت بعض رغباته بالقدر الذى تنكره الجماعة عليه ، ويظهرها بالقدر الذى تؤيده فيه عملا بتقاليدهم ، وإحساس المرء بأن الله معه دائما يتطلب منه أن يدرك أنه ليس وحده ، وأنه ملتزم بتعاليم صادرة إليه ممن يملك زمامه . وعليه أن يهذب غرائزه ويستحى من الله (الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وماوعى ، والبطن وماحوى ، وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى - فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) .

٤٠ - والذين يجتمعون على الله ويؤلف بين قلوبهم حبه ، هم فى كنفه ورعايته ، يحبهم ويحبونه . وأكثرهم حبا لصاحبه هو الأكثر حظا بحب الله له (ما من رجلين تحابا فى الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه) .

٤١ - وهو المنعم الذى يجرى بعض نعمه على أيدى أناس من خلقه ، فأوجب شكرهم لأن خيره جرى على أيديهم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) .

٤٢ - بيد أن لهذا الشكر ميزانه الذى وضعه الله لنا ، فلا نرضى مخلوقا بسخط الخالق المالك . والصبر واليقين والرضا بما قسم - سبل إلى الفرج والراحة (لاترضين أحدا بسخط الله ، ولا تحمدن أحدا على فضل الله ، ولا تذمن أحدا على مالم يؤتك الله - فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا ترده عنك كراهية كاره . وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرج فى الرضا واليقين . وجعل الهم والحزن فى السخط) .

٤٣ - وهو ذو مغفرة وذو عقاب أليم ، وإن كان إلى الرحمة بعباده أسبق (إن رحمتى تغلب غضبى) خ جـ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢

٤٤ - وللعلم والحلم مكانهما عنده فى نيل مغفرته (إنى لم أجعل علمى وحلمى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالى) .

٤٥ - ولا يكلف نفسا إلا وسعها ، وأحب الأعمال إليه أدومها عنوانا للصلة بينه وبين العبد (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ماتطيقون ، فإن الله تعالى لايمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله مادام وإن قل) خ جـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٤

٤٦ - ومن الناس من يلعن أيام الضيق وليالى البؤس ، ظانا أن الزمان قد أنزل به الشقاء . وربما كان الإنسان هو السبب فيما نزل به ، فعليه أن يأخذ بالأسباب وأن يدع النتائج للخالق ، ولايسب زمانا أجرى الله فيه ماقدره فيكون قد سب الله ومقاديره . نعوذ بالله من ذلك (يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار) خ جـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١١

٤٧ — والله يحب من العبد أن يكون بينهما سر لا ينكشف ، وأن يكون اهتمام العبد منصرفا إلى ربه ، مصلحا لسريرته أكثر من علانيته ذاكراً آخرته أشد من ذكره لدنياه . (من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته . ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه) .

٤٨ — ومن عرفه حق معرفته تولدت فى نفسه الرهبة منه ، ومن لم يعرفه لم ينشغل به . والذين يرهبون سلطانه فى الدنيا فيستقيمون على شرعه يؤمنهم فى حياتهم الأبدية من الفزع الأكبر . أما الذين لم ينشغلوا به وأمنوا مكره فسوف يخيفهم حين يعرفهم جبروته (وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين - إن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإن خافنى فى الدنيا آمنته يوم القيامة) .

٤٩ — وهو العليم بأحوال عباده . من أرهبهم سلطانه أسقط عنهم أثقالهم رحمة بهم . وللرهبة منه آثار تبدو على وجه الخائف منه ، فمتى أحس بها من غير افتعال منه أو تظاهر فله تلك البشارة (إذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل ، تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها) .

٥٠ — وهو العادل فى حكمه ، لا يقبل من العبد أن يطلب أكثر مما يعمل . وأكثر الناس بغضا له الذين يطلبون بغير عمل ، ولا يؤدون شيئا يطلب منهم (ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل . كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى) .

٥١ — والعدل والتسامح من أحب شىء إليه (أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة) .

. . . . .

٥٢ ـ والله خلق عباده على فطرته ، ومنحهم إدراكا وقدرة يتمكنون بهما أن يختاروا اختيارا حرا خال من أى تأثير لتقوم مسئوليتهم ويصح تكليفهم ، وليسوا كالريشة فى الهواء تميلها الريح كما قالت الجبرية . وكان من الممكن أن يحملهم الله على مايريده منهم ، لكن لا يتفق مع عدله وثوابه وعقابه ، وفضل الناس فيما بينهم بالعمل ، فناداهم الله عن طريق شرعه ، ونادتهم الشياطين عن طريق شهواتهم : ومن الناس من يجيب الشيطان لضعف رضيه الإنسان لنفسه أجلبه عليه هواه لا لعجز القادر الذى حكم فعدل (عبدى أخذك الشيطان منى لا لعجزى ، ولكن لضعفك أنت) .

٥٣ ـ ولله قضاء على خلقه ، لكنه أخفاه عنهم ، ولم يكلفهم معرفته ولكن كلفهم الإيمان به . وطالبهم أن يكونوا بقضائه راضين ولتقديره مستريحون . وحذرهم أن يقعوا فى المعاصى محتجين بقضائه . فعندهم من أسباب تجنبها مايقيهم شرها ، فإن رضوا بتقديره عليهم استراحوا وأراحوا . وإن سخطوا أتعبوا أنفسهم وفقدوا إيمانهم ، وليس لهم إلا ما كان (عبدى إن رضيت بما قسمته لك أرحت نفسك وبدنك وكنت عندى محمودا . وإن لم ترض بما قسمته لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية ، ولا ينالك منها إلا ماقسمته لك ، وكنت عندى مذموما) .

٥٤ — وهو المنعم على عباده ، المتجاوز عن خطاياهم ـ الذى فتح بابه لكل عائد إليه . فلا تجد أحدا ينعم على من يسىء ثم يعفو إلا القاهر فوق عباده ، الغفور الرحيم (يا ابن آدم خلقتك بيدى وربيتك بنعمتى وأنت تعصينى ، وإن رجعت إلى تبت عليك ، فمن أين تجد لك ربا مثلى وأنا الغفور الرحيم) .

٥٥ — وهو العزيز ذو الجبروت ، يتساقط أمام جبروته كل جاه . وقدرته أزلية أبدية ، يحمى كل مستجير به . وقد يرى أن الخير للعبد مفارقته

الدنيا ليستريح مما فيها من متاعب ، ولينعم بما عنده من راحة . وهو أنيس لمن يستأنس به ولا أنس بغيره ، فقد تكون مصيبة المرء من جليس سوء يظن الإئتناس به . وقد خلقنا الله للعمل ونهانا عن الكسل ، وأمرنا أن نصون النعم وأن نتجنب الأحقاد (يا ابن آدم لا تخف من سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى لاينفد أبدا . يا ابن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك ، فإنك إن طلبتنى وجدتنى ، وإن أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله . يا ابن آدم خلقتك للعبادة فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب . إن كثر فلا تفرح ، وإن قل فلا تجزع) .

٥٦ — وهو يحب ويكره ، ويزيد حبه ويزيد بغضه كلما كان المرء إلى ربه أقرب وعن هواه أبعد . فيحب الجود والكرم ، والتواضع والتوبة . ويبغض البخل والتكبر والعصيان (أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد — أحب أهل السخاء وحبى للفقير السخى أشد . وأحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد . وأحب التائبين وحبى للشاب التائب أشد . وأبغض ثلاثا وبغضى لثلاث أشد — أبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض الفساق وبغضى للشيخ الفاسق أشد) .

٥٧ — ومن الناس من يقابل إحسانه بالإساءة ، وغفرانه بالتمادى فى المعصية . والويل لهم إن لم يتوبوا (عبدى كم أتحبب إليك بالنعم وتتبغض إلى بالمعاصى ، خيرى إليك نازل وشرك إلى صاعد) .

٥٨ — وهو الذى يرزق من أطاعه ، ويعطى من عصاه ـ لاينسى أحدا . ومن الخير للإنسان أن يستجيب لمن يطلب منه أن يستجيب له ، وألا يتعجل (يا ابن آدم لاتطالبنى برزق غد كما لا أطالبك بعمله ، فإنى لم أنس من عصانى ، فكيف من أطاعنى ؟) .

٥٩ — وهو الحليم . يؤخر العقاب عمن شاء لحكمة ، فلا يحملنك حلمه أن تتمادى فى مخالفته . فهو يمهلك ولا يهملك . وقد يسكن من غضبه أناس صالحون ، لم يعاجلك بالعقوبة عسى أن يكون صلاحهم حاملا لك على التوبة ، وحافزا لك على الندم (إنى أهم بعذاب عبادى ، فأنظر إلى عمار المساجد وجلساء القرآن وولدان الإسلام فيسكن غضبى) .

٦٠ — وهو العفو الغفور ، يفرح بالعائدين من معاصيهم إلى الرجاء فى رحمته ، ينتظرهم بفضله ، فكيف بمن عكف على طاعته وغار على انتهاك حرماته ، وقام بالأمر والنهى يصون حماه ؟ (لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ، ورفقى بهم ، وشوقى إلى ترك معاصيهم ، لأقبلوا . هذا بالمدبرين عنى ، فكيف بالمقبلين على ؟) .

٦١ — والله يخفض ويرفع . ومن قوانينه فى الدنيا أنه مامن شىء يرتفع فيها إلا خفضه (حق على الله ألا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه) خ حـ ٢ (الحور) ص ١٨ ، ١٩ .

٦٢ — والدنيا ومافيها متاعها قليل عنده . أما الحياة الآخرة فهى الحيوان التى تعظم الحياة فيها ، ولذلك فمن أراد الآخرة قد يعطيه الله الدنيا معها — ومن أراد الدنيا فما له فى الآخرة من نصيب (إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة . ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) .

٦٣ — ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، ومنهم من يجادل فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ومنهم الملحدون الذين لم يقدروه قدره فينسبون إليه الصاحبة والولد وينكرون البعث ، محكمين العقل فى أمور غيبية لاتدركها العقول ، متجاهلين قدرته وأوصافه . ولو أن عندهم ذرة من عقل أو أثارة من علم ، لأيقنوا أن الصاحبة والولد يخالفان

للتوحيد ومناقضان للتنزيه الواجبين له سبحانه ، وأن إنكار البعث حد لقدرته وطعن فى أخباره . والصانع يرى من نفسه القدرة فى المرة الثانية أكثر من الأولى ـ فكيف بالخالق الذى لا ينقطع ابداعه (يشتمنى ابن آدم وما ينبغى أن يشتمنى ويكذبنى وما ينبغى له . أما شتمه فقوله إن لى ولدا . وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى)[1] .

٦٤ ـ والكلام عن الله سحيق فى القدم بقدم الفكر الإنسانى ، وكم تخبطت الفلسفات وجد الفكر ـ ومع ذلك لم تقدم لنا البحوث العقلية فكرة صحيحة عن الله .. وكان التسلسل الذى ينتهى إلى الله ينتهى بهم إلى الحكم على الله بما يحكمون به على الخلق ، وهذا قياس حذرنا منه (يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا . من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) خ حـ ٣ (بدء الخلق) ص ٣٦ .

٦٥ ـ بل إن بعض الشرائع السماوية تدخل فى تحريفها وتأويلها تأويلا غير صحيح ، أناس يصورون فيه الله بصورة الإنسان . فيروى أنه جاء حبر فقال : (إنا نجد أن الله يجعل السماء على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ـ فضحك لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١١ .

٦٦ ـ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . وهو الملك لا مالك معه (يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟) خ حـ٢ (تفسير القرآن) ص١١١ .

---

(١) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ .

٦٧ ـ وهو على كل شيء قدير ، وهذا لون من التصوير لقدرته (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة ، فصدقه اليهودى) خ حـ ٢ (الاستئذان)ص١٤٦ .

٦٨ ـ والله يحب عباده المؤمنين به ، يحب لقاءهم وهم يريدون البقاء فى الدنيا (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) .

٦٩ — وإذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك ، فأنت ذلك المؤمن ، والله يحب منك أن ترتفع بنفسك إلى أسمى الفضائل ، وإياك أن تنزلق إلى أسفل الرذائل فيبغضك الله (إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها ، ويكره سفسافها) .

٧٠ — وكل مافاتك من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك سوى الله قليل . والمحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء ولا يتملى عنه بشيء ويتبع آثاره ولا يدع استخباره . وينبغى أن يكون فرحك فى العطاء بالمعطى ، ولذتك فى اللذات بخالق اللذات ، وتنعمك فى النعمة بالمنعم دون النعم لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب ، ورؤيتك النعمة عند رؤية المنعم حجاب ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها . ومعرفة الله تأتى القلب من عين الجود وبذل الموجود ، والسريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور . فإذا استوت معها فذلك العدل . وإذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل . ومن بث وحزن على ما أنزله الله به فكأنما يشكوه . وإنه ليفنى حزن كل ثكلى . وحزن التائب لا يفنى . والزاهدون فى الدنيا يبيحهم الله الجنة . وليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن الزهد فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يديك .

وإذا أصابتك مصيبة من غير أن تكون السبب فيها كنت بثوابها أفرح منك بها لو بقيت عنك . ونحن نحب الله لما يغذينا به من نعم لا تنقطع . وقد أوحى لعيسى إنى أحب إلى عبدى المؤمن من نفسه التى بين جنبيه . وقال موسى يوما يارب أوصنى . قال : أوصيك بى . قال : وكيف ؟ قال لا يعرض لك أمران أحدهما لى والآخر لنفسك إلا آثرت محبتى على هواك . فلا يكثر همك مايقدر يكون . وماترزق تأكله . وقدكان الأوائل يتشوقون إليه . وقال حذيفة عند موته : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . وعن ابن عمر لمن كلمه أثناء طوافه : كلمتنى فى الطواف ونحن نتخيل الله بين أعيننا . فسر فى طريقك إلى ربك على الحب له . (إن الله يأمر جبريل فيقول : أقبض حلاوة الطاعة من قلب عبدى ، فإن تأسف عليها فردها عليه وزده ، وإلا فدعه) .

٧١ — (إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا ركن إلى الدنيا أن أنزع حلاوة مناجاته إياى من صدره ، وأن أدعه فى الدنيا حيرانا) .

٧٢ — وفيما نزل من كتب (معشر المتوجهين إلى بحبى ما يضركم ما نابكم من الدنيا إذا كنت لكم حصنا ، ومايضركم من عاداكم إذا كنت لكم سلما) .

وقد أوحى لعيسى (أنزلنى منك كهمك واجعلنى ذخراً لك فى معادك) .

٧٣ — (إنى والإنس والجن فى نبأ عجيب ، أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر غيرى) .

٧٤ — وأعظم شىء للإنسان أن يحس بأن الله رقيب عليه (سبق المفردون . قالوا : وما المفردون ؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات) .

٧٥ — وهو الذى ينجى الإنسان من عذابه (ماعمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب اللهمن ذكر الله عز وجل) .

٧٦ — وسأل سائل عن أعظم شيء . فقال له (لايزال فوك رطبا من ذكر الله) .

٧٧ — وقد ذكر قوم ربهم . فقيل لهم (إنما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد ، يتعاطفن حول العرش له دوى كدوى النحل ، يذكرن بصاحبهن . أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟ .

٧٨ — وذكر الله فى أدب وخشوع روضة من رياض الجنة (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : ومارياضها ؟ قال حلق الذكر) .

٧٩ ـ والمطلوب من كل إنسان أن يجدد صلته بربه من قلبه ولسانه وجوارحه (جددوا إيمانكم . قالوا : وكيف نجدده ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله) .

٨٠ ـ وفيما يروى (أن أحب الكلام إلى الله عز وجل ما اصطفى الله لملائكته سبحان ربى وبحمده سبحان ربى وبحمده) .

٨١ ـ وللإخلاص قيمة فى الثواب على العمل (إن عبداً من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها . فقالا : ياربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ؟ فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها) .

٨٢ — ولله عز وجل أسماء يدعى بها (إن لله تسعة وتسعين إسما من

أحصاها دخل الجنة) خ حـ ٢ (الشروط) ص ١٢ .

وهذه أسماؤه : —

هو الله ، الذى لا إله إلا هو ، الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر الخالق. البارىء . المصور. الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلى . الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل . الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل - القوى . المتين. الولى - الحميد . المحصى . المبدىء . المعيد . الحق . المميت . الحى . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الأحد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن. الوالى . المتعالى . البر . التواب. المنتقم . العفو . الرءوف . مالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور . الهادى . البديع . الباقى . الوارث . الرشيد . الصبور . الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

٨٣ - وطاعته مفتاح الخير (لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل، فأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولم أسمعهم صوت الرعد) ذلكم الله رب العالمين .

الموضوع الثالث

(الدعاء)

١ ــ وقال ربكم أدعونى أستجب لكم ، أجيب دعوة الداعى إذا دعانى، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون . وفى القرآن غير ذلك من الأدعية وكذا فى السنة ـ وهى أدعية مأثورة علمها الله للناس. ومن العجيب أن ينصرفوا عنها إلى غيرها من الأدعية ، مع أنهم قد يحفظونها ويعدلون عنها والأولى أن نتبع ولا نبتدع ، وأن نحفظ أدعيتنا ـ فهى أسلم وأحكم وأحق بالقبول .

والناس يختلفون فى دعائهم ـ فمنهم من يدعو بما هو محرم ، أو يطلب قطيعة ، أو يعتدى فى دعائه . وها هو النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا ونتعلم منه . فبأى شىء دعا ، وماذا طلب ؟ (اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) لقد طلب الثبات على الهدى ، واللزوم لتقوى الله ، والتعفف عن كل مكروه ، والكفاية لكى لا يحتاج ـ وتلك حاله .

٢ ــ وعلى المسلم أن يقتدى برسوله ، فإذا خرج من بيته لجأ إلى ربه واستعان به ليحفظه من الغواية ، أو الهوى إلى الرذيلة ، أو الابتلاء ، أو التعرض لظلم (اللهم إنى أعوذ بك أن أضِل أو أضَل ، أو أزِل أو أزَل . أو أظلِم أو أظلَم ، أو أجهل أو يجهل على) .

٣ ــ وعلى العبد أن يخضع لربه ، ويؤمن به ، ويأخذ بالأسباب ، ويندم على معصيته ، ويغار على حرمات ربه ، وينتصر به ويسأله العصمة ـ فهو القادر الباقى (اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت، وعليك توكلت ، وإليك أنبت وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تضلنى . أنت الحى الذى لا تموت ، والجن والإنس يموتون) .

٤ — وعليه أن يقول عند نومه (اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت) (١) .

٥ — فإذا انتهى من صلاته قال (اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

٦ — وعليه أن يستعيذ بربه من كل ما يريق ماء وجهه ، أو يخذله عند الله والناس (اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة) .

٧ — وهذا مسافر يجىء للنبى فيقول له (استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . فيقول المسافر : زدنى . فيقول له : زودك الله التقوى . قال زدنى . قال: وغفر ذنبك . قال : زدنى . قال : ويسر لك الخير حيث كنت) .

٨ — ولقد كان يعلمهم الإستخارة كما يعلمهم الآية من القرآن (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إنى استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم . فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به — ويسمى حاجته) خ ح ١ (التهجد) ص ٨٣

---

(١) خ ح ١ (الوضوء) ص ٢٩

٩ ــ فاذا جلس فى مجلس وأراد الانصراف منه قال ما يكفر عنه ذنباً أذنبه فى ذلك المجلس (من جلس فى مجلس كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك . إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك) .

١٠ ـ ونسأله أن يرزقنا الخشية منه حتى لا نقع فى معصية تغضبه ، وأن يوفقنا لطاعته ، ويثبتنا على اليقين به ، وأن يهون علينا مصائب الدنيا ولا يسلطها علينا ، ولا يبتلينا فى ديننا (اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا . اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

١١ ــ فإذا سافر العبد قال عند سفره (سبحان الذى سخر لنا هــذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنا نسألك فى سفرنا هـذا البر والتقوى ، ومن العمل ماترضى . اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطوى عنا بعده . اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل . اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المـال والأهـل والولد) وإذا رجـع قال ماتقـدم وزاد (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون)(١) وإذا ارتقى مكانا عاليا فى سفره كبر ، وإذا نزل سبح خ جـ ٢ (الحوز) ص ٢٣ .

١٢ ــ وعلى العبد أن يدعو فى السر (أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا ، إنه معكم ، إنه سميع قريب) (٢) .

---

(١) خ جـ ١ (العمرة) ص ١١٦ (٢) خ جـ ٢ (الحوز) ص ٢٣

١٣ ـ فإذا ذهب للقاء العدو قال (اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذبك من شرورهم) .

١٤ ـ وإذا نزل مكانا جديدا قال (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق) .

١٥ ـ فإذا هل هلال الشهر قال (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير) .

١٦ ـ وعلى العبد قبل أن يعين حاجته أن يثنى على ربه ، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بعد بما شاء) .

١٧ ـ وليقل بعد الفراغ من صلاته (اللهم إنى أعوذبك من الجبن والبخل ، وأعوذبك من أن أرد إلى أرذل العمر ، وأعوذبك من فتنة الدنيا ، وأعوذبك من عذاب القبر) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٥ .

١٨ ـ وليستغفر الله ثلاثا ويقول (اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام) (اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) خ ج ١ (الآذان) ص ٦٨ .

١٩ ـ ولبعض الكلمات رجحان فى ميزان العبد (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته) .

٢٠ ـ فاذا آوى إلى فراشه فليستمع لذلك الإرشاد (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره ، فانه لايدرى ماخلفه عليه . ثم يقول : باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ،

وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) خ جـ ٢ (الدعوات) ص ١٥٨ .

٢١ ـ ولزوم الطاعه من أجل النعم على الإنسان (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) .

٢٢ ـ وهناك أمور على الإنسان أن يفر إلى الله منها (تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء) (١) .

٢٣ ـ (اللهم إنى أعوذبك من العجز ، والكسل ، والجبن ، والهرم ، والبخل ، وأعوذبك من عذاب القبر ، وأعوذبك من فتنة المحيا والممات) خ جـ ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٤ ـ ولكل إنسان ذنوب نسأله التجاوز عنها (اللهم اغفرلى خطيئتى ، وجهلى ، وإسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى . اللهم اغفرلى جدى وهزلى ، وخطئى وعمدى ، وكل ذلك عندى . اللهم اغفرلى ماقدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى . أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير) خ جـ ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٥ ـ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ونسأله بقاء نعمه ورفع نقمه (اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك) .

٢٦ ـ ورضا الله خير مايحصل عليه الإنسان فى الدنيا (اللهم آت نفسى تقواها وزكها ، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنى أعوذبك

---

(١) خ جـ ٢ (الدعوات) ص ١٥٨

من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها) .

٢٧ – والقناعة رأس الغنى (اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عمن سواك) .

٢٨ – والله يغضب إن تركت دعاءه . وبنى آدم حين يسأل يغضب يطبع على أ ه بيت من الشعر (اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار) .

٢٩ – وعلى المرء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثله) .

٣٠ – وعلى الداعى ألا يستعجل ربه ، فإنه لا يعلم ما يكنه له من خير ، ويصرفه عنه من شر (يستجاب لأحدكم مالم يعجل ، يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى) خ ح ٢ (الدعوات) ص ١٥٨ .

٣١ – وقد يظن الداعى أن تحقيق مطلوبه هو الخير له . وربما كان هذا صحيح ، وربما كان هناك خير منه (ما على ظهر الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم) .

٣٢ – وعلينا أن نتجنب الحقد على الناس ، وندعو كل يوم (اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر) .

٣٣ – وعلى الإنسان ألا يسب مظاهر الطبيعة ، فإن رأى ما يزعجه فليجأ إلى ربه (لا تسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من

خير هذه الريح ، وخير مافيها ، وخير ما أمرت به . وأعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر مافيها ، وشر ما أمرت به) .

٣٤ ـ واستقامة العبد واستجابته لربه يقربان من إجابة الله له . وفيما سبق من أحاديث أنه ذكر الرجل (يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام ـ فأنى يستجاب له) .

٣٥ ـ وقد تعترى المرء أزمات نفسية فيقول (اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

٣٦ ـ ولا يدعو على شيء لا يستحقه (وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل، رجعت اللعنة عليه) .

٣٧ ـ وإذا رأى إعوجاجا فى الناس قال (اللهم لا يدركنى زمان لايتبع فيه العليم ، ولا يستحيا فيه من الحليم) .

٣٨ ـ وعليه أن يبدأ عمله مبكرا ففى الحديث : (اللهم بارك لأمتى فى بكورها) .

٣٩ ـ ولا يلوم عـــلى عاصى،وعليه أن يحمد الله على عافيته . وقد سبق أن رجلا جاء إليه وهو يحب الزنا فدعا له (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه . فما كان شيء أبغض إليه بعد من الزنا) مسند أحمد عن أبى أمامة .

٤٠ ـ وعلى الإنسان أن يعرف ربه فى رخائه حتى يستجيب له فى

وقت شدته (من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء عند الرخاء) .

٤١ — ومن دعاء داود (اللهم إنى أسألك أربعا وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا ذاكرا ، وقلبا خاشعا وبدنا صابرا ، وزوجة تعيننى فى دنياى وآخرتى ، وأعوذ بك من ولد يكون على سيدا ، ومن امرأة تشيبنى قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون نعيما لغيرى ووبالا على ؛ ومن جار سوء إن رأى منى حسنة كتمها ، وإن رأى منى سيئة أفشاها) .

٤٢ — وعلى المرء أن يؤمن عند الدعاء خصوصا فى الصلاة (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) خ حـ ١ (الآذان) ص ٦٤ .

٤٣ — وليطلب من الله أن يقيه شر الديون للناس ، وأن يستعيذ بربه من غلبة الدين (فما أكثر ماتستعيذ من المغرم . فقال : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف) .

٤٤ — وكان يقول (اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات . اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم) خ حـ ١ (الآذان) ص ٦٧ .

٤٥ — وتجوز الصلاة على الناس فإنها دعاء لهم . فقد ورد (اللهم صل على آل فلان ، اللهم صل على آل أبى أوفى)(١) .

٤٦ — والرقية نوع من الدعاء (باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ، يشفى سقيمنا بإذن ربنا) خ حـ ٢ (الطب) ص ١٣٦ .

---

(١) خ حـ ١ (الزكاة) ص ١٠٤ .

٤٧ ـ وكان يقول عند الكرب (لا إله إلا الله . العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم) خ حـ ٢ (الدعوات) ص ٥٨ .

٤٨ ـ ويروى : (اللهم إنى أسألك لذة العيش بعد الموت ، والنظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك) .

٤٩ ـ وعلى الإنسان أن يبتعد عن ظلم الناس حتى لا يتعرض لدعائهم عليه (دعوة المظلوم مستجابة . وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه) .

٥٠ ـ وفى معنى الحديث (اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) خ حـ ١ (الزكاة) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

الموضوع الرابع

تنبؤات

١ ـ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله . وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو . عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ـ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا .

والغيب الحقيقى هو ما استأثر الله به . وقد يكون الغيب إضافيا أو نسبيا. فهو غيب بالنسبة لمن يجهله ، وشهادة بالنسبة لمن يعلمه .

ونحن نتحدث فى هذا المقام عن تنبؤات نبى ورسول ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . فإذا كان الواقع يصدقه فذلك أمر ضرورى ، لأنه يخبر بعلم ووحى من ربه .

وأول ما يصادفنا من هذه التنبؤات فتنة الإنسان فى دينه وتسلط الدنيا عليه إلا من عصمهم الله (بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويصبح كافرا ويمسى مؤمنا ـ يبيع دينه بعرض من الدنيا) .

٢ ـ والإسلام يدعو إلى صالح الأعمال دائما ، فإن الإنسان يتقلب فى حياته بين الضيق والفرج ، ثم ينتهى بما لابد منه ، ثم يقدم للحساب على ما قدم (بادروا بالأعمال سبعا : فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) .

٣ ـ وقد أيد الله هذه الأمة بقدر تمسكها بأثر رسولها ، فإن كذبت عليه وابتدعت فى الدين ما ليس منه ـ فقد خرجوا من عداد المبشرين ، ووجب على المؤمنين أن يأخذوا حذرهم منهم (يكون فى آخر أمتى أناس دجالون كذابون ، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم) .

٤ ـ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . والخروج على الله ورسوله والتنازع يسببان الفشل وينذران بالفناء مالم تعتصم بالدين ، ونعمل على وحدة الصف وإزالة ما فى القلوب . ولا يقال إن الصلاح لم يزل فى بعض أفراد من الأمة ـ فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (دخل فزعا وقال ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها . فقلت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم ، إذا كثر الخبث) خ ح ٢ (بدء الخلق) ص ٣٨ ، ٣٩ .

٥ ـ وتبقى الأمم وتزدهر حياتها بمقدار أمانة أهلها . فإذا ضاعت الأمانة

فيما بينهم وهى أعم من الودائع ، فكلمة الحق أمانة والصدق أمانة ، وكل فضيلة فى عنق الجميع أمانة . وسيأتى زمان ترتفع فيه هذه الأمانة ويكثر فيه النفاق والكذب والغش ، والويل للناس يومئذ من أنفسهم ومن الله (حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، ويظل أثرها مثل الوكت(١) . ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، ويظل أثرها مثل أثر المجل(٢) كجمر دحرجته على رجلك فنفط(٣) فتراه منتبرا(٤) وليس فيه شىء ، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله . فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا . وحتى يقال للرجل ما أجلده ! ما أظرفه ! ما أعقله . وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت . لأنه إن كان مسلما ليردنه على دينه . وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه . وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا) خ ح ٢ الاستئذان ص ١٤٥ .

٦ — وإذا انتشر حب الذات وتحكمت الأهواء وأحس المؤمن كأنه فى غربة ، فعليه نفسه - سائلا ربه أن يصرف عنه شر الأشرار (إنه ستكون بعدى أثرة وأمور تكرهونها . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم) .

٧ — ولقد كان غير خائف على الأمة من فقر ينزل بها ، ولكنه كان

---

(١) أى ناقصا . وهو بالتاء المثناه .

(٢) انتفاض اليد من أثر عمل شاق .

(٣) اضطرب . (٤) مرتفعا .

يخشى أن تفتح الدنيا ذراعيها فيتسابقوا إليها لينالوا متاعها بطريق غير مشروع ، فيحملهم التنافس على أن يضرب بعضهم رقاب بعض (أبشروا وأملوا مايسركم ـ فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ـ فتهلككم كما أهلكتهم)(١) .

٨ ـ والصدق والوفاء من أعظم الفضائل . وقد أخبرنا أنه سيشيع الكذب والإخلال بالوعود وسيطرة شهوات البطون على العقول . (خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يكون بعدى قوم يشهدون ولا يستشهدون ، يخونون ولا يؤتمنون ، ينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن) خ حـ ٢ (الشهادات) ص ١ .

٩ ـ ومن أعظم مايصيب الإنسان أن تصادر حريته الدينية أو يفتن فى دينه (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن) خ حـ ١ (الإيمان) ص ١٠ .

١٠ ـ وقد حذرنا من تلاعب الشيطان بنا لإيقاع الشقاق فى صفوفنا (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم) .

١١ ـ ولقد أنذر أقواما يجيئون من بعده ، يظلمون الناس ، ونساء يغرين الرجال بمفاتنهن (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات

---

(١) خ حـ ٢ (الحور) ص ٣٠ .

رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها — وإن ريحها ليوجد من مسافة كذا) .

١٢ — وقد تنبأ بكثرة المال فى أيدى الناس (يكون خليفة من خلفائكم فى آخر الزمان ، يحثو المال ولا يعده) .

١٤ — ولقد تنبأ بحروب مدمرة تحصد الرجال حصدا (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحداً يأخذها منه ، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة - يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء) خ حـ ١ (الزكاة) ص ٩٧ .

١٤ — ولسوف تنقرض جماعة صالحة ، تخلفها جماعة فاسدة الضمائر ، لا يباليهم الله بالا (يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالا) (١) .

١٥ — وليست العبرة فى الأمم بكثرة عددها بل بمقدار إيمانها وتماسكها ، وتمسكها بتراثها ، وبذل حياتها دفاعا عن مبادئها (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت) .

١٦ — وقد أشار إلى بعض البلاد بأنها ستكون مسرحا لفتن ، يمرح الشيطان بأناس فيها (اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا . قيل وفى نجدنا ؟

---

(١) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٣ .

قال : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان) خ حـ ١ (الاستسقاء) ص ٧٧ .

١٧ — وقد يكون بعض ما تنبأ به لم يكشف لنا الله عنه بعد ، فلا نستبطىء وقوعه - فمتى صح الخبر وثبتت نسبته إليه فهو واقع بالضرورة . ومن هذه الأخبار نزول عيسى المسيح ليحكم بشريعه الإسلام ، ويصحح الأوضاع ، ويقتل الفتان (ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)(١) .

١٨ - وسيأتى زمان يكاد الناس لا يثقون فى الرجل ولو حلف (ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)(٢) .

١٩ - وللقيامة علامات تبعد وتقترب من قيامها ، فإن الزمان وإن طال علينا فهو حاضر من الأزل إلى الأبد أمام الله ، ليس هناك شىء بعيد عنه . ونلاحظ أنه يذكر الحروب مرتبطة بقيام الساعة ، وفى ذلك من الإشارة إلى أن فناء الإنسان من أسبابه تلك الحروب المدمرة (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان(٣) المطرقه . ولا تقوم الساعه حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر) خ حـ ١ (الخور) ص ٢٠ .

٢٠ - ولقد أخبرنا عن زوال دولتين كبيرتين ، تحكمان الدنيا فى عصره . وصدقت نبوءته والتاريخ خير شاهد (هلك كسرى ثم لا يكون

---

(١) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٥ . (٢) خ حـ ٢ (الشهادات) ص ١

(٣) لا يستحيون من شىء ولا يباهون به .

كسرى بعده . وقيصر ليهلكن ثم لا يكون بعده . ولتقسمن كنوزهما فى سبيل الله) خ حـ ٢ (الحور) ص ٢٤ .

٢١ ـ ولقد أشار إلى أوصاف لسكان بعض البلاد فقال (رأس الكفر نحو الشرق . والفقر والخيلاء فى أهل الخيل والإبل ، والفدادين أهل الوبر . والسكينة فى أهل الغنم) خ حـ ٢ بدء الخلق ص ٣٧ .

٢٢ ـ ومما لفت النظر إليه أنه كلما تولى أمر الناس جماعة غير أكفاء ، فهذا إيذان بالزوال (هلاك أمتى على يدى غلمة من قريش ، إن شئت أن أسميهم بنى فلان وبنى فلان)(١) .

٢٣ ـ ويبلغ الخطر درجة يستحيل معه العلاج إن كان غير كفء يخدع الناس باسم الدين ، فإنه يحطم الأمة من داخل نفوسها ، ويحطمها كذلك فى حياتها . إذ الخداع بالدين يصيب المرء فى ضميره وحسه . وإمامة غير الأكفاء تصيب المرء فى أمله (يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ـ لا يجاوز إيمانهم حناجرهم : فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة) خ حـ ٢ (إسلام أبى ذر) ص ٥٣ ، ٥٤ .

٢٤ ـ وهؤلاء الذين يفتون الناس بغير علم ، الذين أوجب الإسلام قتالهم ـ إنما استحقوا ذلك لأنهم يحللون الحرام (ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخير(٢) والحرير والخمر والمعازف . ولينزلن أقوام إلى جنب علم(٣) يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم لحاجة فيقولون ارجع إلينا غدا ،

---

(١) خ حـ ٢ (إسلام أبى ذر) ص ٥٣ .

(٢) أى يستحلون ثمنه أى الزنا .　　(٣) أى جبل .

فيبيتهم الله ، ويضع العلم . ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة)
خ ح ٢ الأشربة ص ١٣١ ، ص ١٣٢ .

٢٥ ـ وقد حذرنا من الفتن والسير فيها ، فإن التحريض عليها أو السعى فى إثارتها اشتراك فيها وجريمة تعظم أوزارها وقانا الله شرها (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى من تشرف[1] لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به)
خ ح ٢ (الفتن) ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

٢٦ ـ ولما كانت الفتن أسبابا للأحقاد : فالحروب فالدمار فالفناء . ربط كل هذا بقيام الساعة واقترابها (لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى[2])

٢٧ ـ والرخاء والكذب مع ماسبق من علامات الفناء (لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة . وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ـ كلهم يزعم أنه رسول الله . وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل . وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا إرب[3] لى به . وحتى يتطاول الناس فى البنيان . وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها . فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون — فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا . ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا

---

١ ـ سعى لها فإنها تبتلعه .　　٢ ـ خ ج ٢ (الفتن) ص ١٥٥
٣ ـ حاجة .

يطويانه . ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته[1] فلا يطعمه . ولتقومن الساعة وهو يليط[2] حوضه فلا يسقى فيه . و لتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) خ ح ٢ (الفتن) ص ١٥٥ .

٢٨ ـ والموفق من ابتعد عن الفتن وانكرها قلبه وجوارحه (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين — على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض . والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا[3] ، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه) .

٢٩ ـ وقد حذرنا من خصال نذكرها والأسف يملأ قلوبنا أنها أدركتنا ونسأله السلامة منها (يامعشر المهاجرين خصال خمس لن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم) .

٣٠ ـ وقد نهانا عن سب أصحابه . وما كنا نتصور أن أحدا يرضى ضميره أن يطعن فيهم وهم السابقون الأولون المتبعون باحسان وقد رأينا من يجرحهم باسم حرية البحث . ونسى أننا دونهم شأنا (لا تسبوا أصحابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه) خ ح ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٧ .

---

١ ـ أعده . ٢ ـ يقترب منه .
٣ ـ خاويا .

الموضوع الخـــامس

﴿ الرؤيا ﴾

١ ـ كلما صفا القلب وسمت الروح ، تكشف للإنسان فى نومه ما كان محجوباً عنه فى يقظته. ولعلماء النفس تفسيرات للاحلام تدور حول ما كان مشغولا به الإنسان فى يقظته . لكن قد يرى الإنسان فى نومه ما لم يطرأ له على بال من قبل . ونرى أن التقريب لهذا هو أن القلوب الصافيه ينضح عليها من الاشعاع العلوى ما يرسم لها خطوطاً سرعان ما يكشف الواقع عن صحتها (إذا اقترب الزمان [1] لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) خ حـ ٢ (التعبير) ص ١٥٢ ، ١٥٣

٢ ـ وقد يرى الانسان فى منامه شخصا يأمره بأشياء . فان كانت هذه الأوامر تتفق مع ما جاء به الشارع فصحيح ما يراه . وقد يكون النبى صلى الله عليه وسلم . وإن كانت الأوامر مخالفة ، فتلك أضغاث أحلام (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، أو كأنما رآنى فى اليقظه ـ لا يتمثل الشيطان بى) خ حـ ١ (العلم) ص ١٩

٣ ـ وقد تكون الرؤيا صالحة . أعم من أن تكون مطمئنة أو مهددة إن وقعت منه مخالفة لله ، فتلك رؤيا صالحة من الله وإن كان فيها تهديد ووعيد أما إن رأى ما يطمئنه على مخالفة أو ما يهدده على استقامة ـ فذلك حلم أوحى إليه به الشيطان فلا يفزع منه ، وعليه أن يتحول عن الجنب الذى كان نائماً عليه ولينفث عن يساره . ويستحسن أن يتوضأ ويصلى ما شاء . ولا يخبر

---

(١) الزمان الذى يصفو فيه القلب قلما تتخلف رؤياه عن الواقع .

أحداً به كى لا يعاوده الشيطان بوساوسه (الرؤيا الصالحه من الله ، والحلم من الشيطان - فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً ، وليتعوذ من الشيطان فانه لا يضره) خ حـ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧

٤ - ومن الناس من يختلق ويكذب ويرى عينيه ما لم تكن رأته . وهذا ظالم افترى على الله كذبا وقال أُوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء (إن من أعظم الفرا أن يدعى الرجل إلى غير أبيه ، أو يرى عينه ما لم تر ، أو يقول على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل) خ حـ٢ (مناقب قريش) ص ٤٨

٥ - وكم كانت الرؤيا من المسلمين يقرهم النبى عليها فى الآذان وفى ليلة القدر (أرى رؤياكم قدتواطأت فى السبع الأواخر - فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر) خ حـ١ (فضل ليله القدر) ص ١٢٦ ، ١٢٧

٦ - وما يراه الانسان فى نومه يجب أن يكون صادقاً فيه ، كما يجب أن يكون صادق الحديث دائماً (من تحلم حلماً لم يره ، كلف أن يعقد بين شعيرتين ولم يفعل . ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة) خ حـ٢ (التعبير) ص ١٥٣

الموضوع السـادس

(الأولياء)

١ - هم المؤمنون الذين لم تنقطع صلتهم بالله والتزموا بما شرعه للناس أجمعين . فالايمان والقيام بالفرائض والتزام الشرع - أصول لا بدمنها لتحقيق الولاية . هؤلاء من آذاهم أو عاداهم فقدعادى الله لأنهم صور عملية لما شرعه، يحبهم ويحبونه - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل

الله ولا يخافون لومة لائم . يقومون بالفرائض ويتسابقون فى التطوع إلى أن يستغرقوا بأحاسيسهم ، فلا يسمعون مكروها أو محرماً ولا ينظرون إليه ولا يمشون فى طريقه . لاتغريهم الدنيا يلجأون إلى الله فيجيرهم (إن الله تعالى قال : من عاد لى ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه . وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ورجله التى يمشى عليها . وإذا سألنى أعطيته . وإن استعاذنى لأعيذنه) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٥

٢ ـ وتلك المنزلة العالية والهمة السامية ـ قد وجدت فيمن سبقنا من الأمم . ولا حرج على فضله أن يهب هذه الهمة لأناس من خير أمة أخرجت للناس ، وفى مقدمتهم من تعلموا من النبى مشافهة ، وسطعت عليهم أنواره (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر) خ حـ ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٨

٣ ـ ولقد نضح على قلبه مراد الله فى غير موضع من القرآن . قال عمر (وافقت ربى فى ثلاث : آية الحجاب ، ومقام إبراهيم ، وعسى ربه . . . الآية) خ حـ١ (الصلاة) ص ٤١

وآية الحجاب نزلت عندما قال للنبى : أنه يدخل عليك البار والفاجر فلو أمرت نساءك أن يحتجبن . فنزلت (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

ومقام إبراهيم عندما أشار بالصلاة فيه . فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

وعسى ربه . . . قالها تهديداً لبعض زوجات النبي اللاتى أغضبن رسوله .

٤ ـ والأولياء يعملون ويجاهدون، ولا يستريحون على حساب الناس. يعمل الناس ولا يعملون . ومع ذلك يلقبون (كان النبي سهراً فقال : ليت رجلا من أصحابى صالحاً يحرسنا الليلة إذا سمعنا صوت سلاح فقام سعد بن أبي وقاص بالحراسة) خ حـ ٢ (الحور) ص ١٩

وقصته وغيره ممن كرمهم الله وفيها كرامات الأولياء سأوردها فى باب القصص .

ومن الناس أدعياء يعبدون المال ويبغون الجاه ، لا ترى لهم عملا ينتفع به . وعودوا أنفسهم الكسل وزهدوا فى العلم ، ومع ذلك يسميهم بعض الناس أولياء (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ـ إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتقش[1] . طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة . وإن كان فى الساقة كان فى الساقة . إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) خ حـ٢ (الحور) ص ١٩

٦ ـ ومن أراد أن يتعرف على نماذج صالحة من المؤمنين الأولياء فليرجع إلى تاريخ الصحابة ليعرف مدى أعمالهم (لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة)خ حـ٢ (فضائل الصحابة) ص ٦٠

---

(١)لم يستخرج له ماشيك به ، ولم ينتبه إلى ما ينبه الفطن .

٧ـ وهاهو علي بن أبي طالب يقول له النبي (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي)[١]

٨ ـ وقد حدد الشارع مظهراً من مظاهر الولاية ، وبين منزلتهم العظيمة عند الله (يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن لله عز وجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله . فقال أعرابي : إنعتهم لنا ؟ قال النبي : هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا . يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها . فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً ، يفزع الناس ولا يفزعون . وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) .

٩ ـ وهم يتقلبون في البلاء ويصبرون عليه . أحسنوا عبادة ربهم وقنعوا بالكفاف . لا يعرفهم الناس ـ ليس لهم خرافات تردد عنهم (إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ[٢] ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر ، وكان غامضاً في الناس ، لا يشار إليه بالأصابع . وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك . ثم نقر بيده فقال : عجلت منيته . قلت بواكيه . قل تراثه) .

---

(١) خ ح٢ (غزوة تبوك) ص ٩٢

(٢) خفيف الظهر .

(الموضــــوع السابع)

العـــلم

١ - إن كل علم لا يعمل به صاحبه هو حجة عليه عند الله . ولا بد من أن يكون كل قول مصحوبا بعمل (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يافلان مالك — ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه) (١)

٢ - ولقد دعا الإسلام إلى العلم ، وأكرم طلابه ، وشـــاد بطلبهم . (الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلب) .

٣ - وقد قارن الإسلام بين العابد على علم والمتعبد بجهل ، فأظهر فروقا بعيدة بينهما لا يكادان يجتمعان . فإذا أضاف العالم العامل بعلمه تعليمه للناس فقد اكتسب ربحا لا يكاد يحصل عليه بعمل آخر (فضل العالم عـــلى العابد كفضلى على أدناكم . ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ، ليصلون على معلم الناس الخير) .

٤ - وقد ورث العلماء تركة الأنبياء ، فانهم ما تركوا لأممهم مالا أوجاها ، ولكن تركوا لهم معارف يحملها ويحافظ عليها علماؤهم الذين شرفهم الله ، واستأمنهم على ما استأمن عليه أصفياءه ومرسليه (العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، أنما ورثوا العلم - فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .

٦ - ولقد أخذ الله على العلماء الميثاق ، وأوجب عليهم تبليغه وتبيينه ، ووجه الناس اليهم يسألونهم عن حكم يجهلونه . وإذا كان قد بشرهم فإنه كذلك

---

(١) خ (بدء الخلق) ص ٣٦

توعدهم إن هم كتموا شيئا يعلمونه (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)

٦ ـ ومن العلم ما يجب أن يبذل للناس كالماء والهواء — وهو ما يحتاج اليه العبد لتصحيح دينه . وحينئذ يجب على العالم أن يبذله لله ، وأن يكون تعلمه له من أجل الله لا من أجل الدنيا . فإن اتجهت نية العبد إلى طلب الدنيا عن طريق تعلم علم يحتاج اليه الناس فى دينهم ، فقد خسر دنياه وآخرته (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف[1] الجنة يوم القيامة) .

٧ ـ ومن حكمته أنه لا يمحو العلم من أذهان الناس، ولكن إذا أراد بقوم سوء فانه ينتقص من علمائهم بأن يتوفاهم . وتحدث للناس أقضيات لا يجدون من يسألونه ،وعندئذ يلجأ الناس إلى الأدعياء فيسألونهم فيفتونهم بغير علم ، فيقع المفتى والمستفتى فى ضلال وحيرة . والويل لمن أفتى الناس بغير علم (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا) خ حـ ١ (العلم) ص ١٨ .

٨ ـ ومن العلم ما يحرم تعلمه ـ كالسحر إلا لعالم عامل يتعلمه ليحذر الناس من شروره وليميز بينه وبين المعجزة كما قيل .

وللسحر حقيقة كما قال أهل السنة ، وليس بخيال كما زعم الزاعمون الذين حكموا العقل فى مسائل لا يعرفون كنهها . ومن الأولى أن نحمل النصوص على ظاهرها كى لا تصطدم بالواقع على أننا نعتقد أن الله هو النافع الضار ،

---

(١) ريح

لكن يهيىء الأسباب . وهاهم الصحابة يسألون عن السحرة فيقول لهم النبى : (ليسوا بشىء . فقالوا : يارسول الله انهم يحدثون أحيانا بشىء فيكون حقا . فقال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة)

(٩) ومن أصدق حسا وأبعد عن الخرافات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن أعلم بالحقائق منه ؟ لم يعترض على أصحابه أن يقولوا كلاما دقيقا . إنهم يحدثون أحيانا بشىء فيكون حقا . فهل أنكر عليهم أنه حق ؟ أو أنه بين لهم كيف يحصل السحرة على ذلك الحق ويكذبون من عند أنفسهم ، شأن كل انسان كذاب لا نجد له فى كل مائة كلمة كلمة صدق . وليس علم السحر مما يمت بصلة إلى علم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول . وما أبعد السحرة عن الرسل ، فإن بينهما حواجز كثيفة وفوارق بعيدة . فالرسل يتلقون عن الله ، والسحرة يتلقون عن الشياطين — وهى لا تتنزل إلا على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . فالشياطين كذبة ، وأولياؤهم من الإنس أكذب منهم (إن الملائكة تنزل من العنان وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه الى الكاهن فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) (١)

(١٠) وقد يتعلم البعض من سير النجوم علما ـ هو شعبة من السحر (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد)

(١١) أما التشاؤم الذى قد يعتاد عليه بعض الناس من غير أن يتحرر من سلطانه ـ فالمطلوب من ذلك المتشائم ألا يمنعه تشاؤمه عن خير ولا يصده عن عمل . وإلا فقد رجع بنفسه إلى الجاهلية التى أنقذنا الله من شرورها ، وإلى الشرك الذى نقى الإسلام أبناءه من جراثيمه .

---

(١) خ ـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٣ .

وأما علم الفلك ـ فعلم قيم احتوى من دقائق البحث مايجعلنا نقطع بأن مصدره السماء (ومنا رجال يتطيرون ؟ قال : ذلك شيء يجدونه فى صدورهم فلايصدهم . ومنارجال يخطون ؟ قال : كان نبى من الأنبياء ، يخط فمن وافق خطه فذاك)

١٢ ـ لكن من الناس من يبالغ ويغالى ، فيضيف إلى الحق زورا وإلى الصدق بهتانا ، فإن صدقت عنده نظرية اندفع لتقديس قائلها ، ونسى دينه فآمن بعلمه المحدود وكفر بربه (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا :اللهورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى ، وكافر بى فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب) خ حـ١ (العلم) ص١٩ ، ٢٠ .

١٣ ـ وعلى الإنسان أن يتشرب من روح العلم النافع ـ فيهذب نفسه وأن يترفع بها عن الجدل والسفسطة ، وأن يتواضع ، يبتغى الحق ويذعن له (لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا تماروا به السفهاء ، ولاتخيروا به المجالس ـ فمن فعل ذلك فالنار النار) .

١٤ ـ وأخطر شيء على الجماعة الإنسانية عالم لاضمير معه، سليط اللسان قوى البرهان ، يخدع الناس بدهائه (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى منافق عليم اللسان) .

١٥ ـ وقد حض الإسلام على تعلم العلم ـ ومنه ما يكون تعلمه فرض عين وهو ما يحتاج اليه كل إنسان . ومنها ما هو فرض كفاية وهو ما تحتاج اليه الجماعة .وتعلم العلم بفرعيه خير من صلاة يؤديها صاحبها بغير علم (لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خيرلك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة).

١٦ - وكم كان الشيطان يلعب بجهلة العباد ويفسد عليهم عبادتهم، ولا ينجو من حباله إلا فقيه حاد البصيرة (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)

١٧ - وخير ما يجنيه الإنسان من دنياه هو العلم - الذى يهديه للحق أو يرده عن الباطل - ولن يستقيم دين العبد حتى يكون تدينه بعلم وتعقل (ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردا، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله) .

١٨ - والإيمان يحمل على البحث ويدفع المؤمن أن ينشد الحكمة أنى وجدها - فهى بغيته وهو أحق من غيره . ومن الإهانة له أن يكون غيره أغزر علما منه (الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها)

١٩ - وسبيل الله كل طريق يلتمس فيها الخير . وطريق العلم هو من سبل الله (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) .

٢٠ - وإذا كانت الأمم الحديثة تتباهى بمحو الأمية منها ، فإن الإسلام سبق إلى تقرير هذا المبدأ ، بل وذهب أبعد من هذا فقصر الأجر على العالم والمتعلم فقط (العالم والمتعلم شريكان فى الخير ، ولا خير فى سائر الناس) .

٢١ - وقد أوجب على كل إنسان أن يقول بما يعلمه إن سئل . فان لم يكن يعلم فعليه أن يحيل السائل على من يعلم ، أو يقول له لا أدرى وفوق كل ذى علم عليم . ولم تستح الملائكة أن تقول لا علم لنا إلا ما علمتنا (من علم شيئا فليقل به . ومن لم يعلم فليقل الله أعلم) خ ح٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٩ عن ابن مسعود .

٢٢ - وعلى العالم البيان للناس والعمل لنفسه . فان لم يكن يعمل لكنه يبين فقد حمل من الشر نصفه ، وكان كالشمعة تضىء للناس وتحرق نفسها .

٢٣ - وقد يكون للقليل من العلم ثمار طيبة ، وهو أفضل من علم كثير يصحب صاحبه غرور (وكفى بالمرء علما إذا عبد الله عز وجل . وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه) .

٢٤ - ومن الناس من يسأل ليتعلم . وعلى العالم أن يجيبه ، والا كان ظالما . ومن الناس من يسأل للتعنت، وعلى العالم أن يرشده للفائدة (لاتمنعوا العلم أهله ، فان فى ذلك فساد دينكم والتباس بصائركم . ثم قرأ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا)

٢٥ - وبذل العلم من العالم يزيد فى علمه ، وهو صدقة منه على من علمه . وكذا الناصح الأمين تعد نصيحته صدقه على من أرشده (تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأى يسدده) .

٢٦ - وتعلم العلم وتعليمه للناس فيه أجر غير ممنون ، فيه غفران الذنب ورفع الدرجات (تعلموا العلم وعلموا فان أجر العالم والمتعلم سواء . قيل : وما أجرهما ؟ قال : مائة مغفرة ، ومائة درجة فى الجنة) .

٢٧ - وعلى المعلم أن يكون بصيرا بالناس ، فلا يعلمهم معضلات العلم قبل البدهى منه (اذهب فاحكم ما هنالك ، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم)

٢٨ - وقال عيسى عليه السلام (لاتضع الحكمة فى غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم . كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء) .

٢٩ - وعلى المتكلم فى القرآن والسنة أن يبحث عن المأثور الصحيح قبل أن يبدى رأيه . فان وجد لله بيانا فبها ونعمت ، وإن لم يجد بحث عن بيان لرسوله صلى الله عليه وسلم - فهو أعلم الناس بمراد الله اذ عليه نزل . فان لم

يجد بيانا لرسوله بحث عن أقوال الصحابة فرأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا . فان لم يجد اجتهد رأيه. فان قدم الرأى على النص فذلك هو الهوى (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) .

٣٠ ـ وكل عمل يجب أن يكون لله . فاذا كان التعلم والتعليم لله فله تلك البشارة (تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قربى) .

٣١ ـ وعلى العالم أن يواصل دراسته ، فحياة العلم مذاكرته . والدراسة غذاء عقلى ممتع ، ولا يصح الإقناع بشهادة . فان ظن أنه أصبح عالما لحصوله عليها فذلك الجهل بعينه (لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم . فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل) .

٣٢ ـ وعلى العالم أن يكون مثلا صالحا لأبنائه ـ فينشئهم ويعلمهم فى مرونة ، واضعا نصب عينيه أنهم سيواجهون زمانا غير الزمان الذى عاش فيه (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

٣٣ ـ ويجب على العالم أن يرجع فيما يقول الى مصادر موثوق بها . فان لم يعتمد على مصادر صحيحة كان ضرره أقرب من نفعه . وعليه أن يكون يقظا ـ لا يصدق كذبا ولا يكذب صدقا . فان شك ولا يمكنه الترجيح فعليه أن يتوقف . وموقفنا من أقوال أهل الكتاب كما يبين لنا (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ٩٩ .

٣٤ ـ ويؤسفنى أن يتضارب العلماء فى أقوالهم ، فى حين أنهم لو رجعوا الى النص ربما لم يختلفوا . لكن منهم من يحكم عقله دون أن يتعب نفسه فيرجع الى النصوص وأقوال العلماء . ومن الناس من يخلط بين استخدام

الجن وإلهامات الصالحين الملتزمين بالشرع . ونحن نقول فى ثقة إن تحضير الأرواح فكرة لا أصل لها فى الإسلام ، وأن إلهام الصالحين أمر ممكن ـ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . لكن ليس على الصورة التى يروجها الغوغاء فالأصفياء سر مع ربهم ـ لا يريدون ولا يحاولون أن يطلع عليه الناس .

أما استخدام الجن فنحن لا ننكره (إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها ، خضعنا لقولك كالسلسلة على صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسترقها الشياطين وهم فوق بعض . فربما أدركه الشهاب فيحرقه ، وربما لم يدركه ، فتصل الكاهن ويكذب معها مائة كـــذبة) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٥

الموضوع الثامن

(الأسرة)

١ ـ هى تلك المجموعة الصغيرة المكونة من الزوجين والأولاد . وقد أوجب الإسلام على رب الأسرة كل ما تحتاج اليه حسب طاقته وحذره أن يضيع من يعولهم (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت) .

٢ ـ وقد يرزق الله الأسرة بأناث ربما لم ينشرح لهن صدر الزوجين وذلك جهل ونزعة جاهلية حكاها القرآن . « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ـ أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون» . وقد جاءت السنة فأمرت بالإحسان إليهن (من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن ، كن له سترا من النار) خ حـ١ (الزكاة) ص ٩٧

٣ - وقد يشاء الله أن يموت رب الأسرة ، وتحتاج لمن يأخذ بيدها في الحياه ويقدم لها المساعدات . وهنا تظهر المروءات من ذوى الضمائر الحية والأخلاق الطيبة . وترغب السنة فى الإحسان إلى كل محتاج ، وترفع الساعى على الأرملة والمساكين إلى درجة المجاهدين ، والذين لم تنقطع طاعتهم لله بأفضل العبادات . (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، وأحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر ، وكالصائم الذى لا يفطر)[1]

٤ - ولقد أوصى الإسلام الرجل أن يحسن اختياره لشريكة حياته ، فبها راحته أو منها تنشأ متاعبه . وأساس الاختيار هو الصلاح فى الدين والدنيا معا (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)

٥ - ومن الخير للإنسان أن يجتهد فى رفع مستواه الاقتصادى ، وأن يعطى ولا يأخذ ، وأن يوفر حياة كريمة لمن يعولهم ، وألا ينسى حق الفقراء وذوى الحاجات (اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول . وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله) خ حـ ١ (الزكاة) ص ٩٨

٦ - وقد راعى حق الأولاد ، حتى إنه ليرفض أن يوصى الانسان بكل ماله وله ذرية من بعده . وإذا كانت الوصية واجبة أو مندوبة للفقراء والأقربين غير الوارثين وهى من أعظم القرب ، فلا بد أن يحسب الموصى لأولاده حساباً . ولما جاء سعد بن أبى وقاص يوصى بماله كله قال له الثلث والثلث كثير (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى

---

(١) خ حـ ٢ (النفقات) ص ١٢٦

امرأتك . قال : فقلت أخلف يا رسول الله بعد أصحابى ؟ قال : إنك لن تخلف فتعمل عملا إلا ازددت به درجة ورفعة . ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم . ولكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة) خ ح ١ (الجنائز) ص ٨٨ ، ٨٩

٧ - ويتساءل بعض الناس عن تنظيم النسل ، وعن المرأة تختلف دورتها الشهرية ويظن حملها . فهل يجوز أن تتعاطى من الحقن ما يؤكد لها خلو الرحم من الحمل ؟ والذى نعلمه أن الجنين قبل أربعة أشهر لا روح فيه . فإذا كانت هناك ضرورة قبل الأربعة أشهر فلا نرى به بأساً . وإذا كانت بعد الأربعة أشهر فلا يجوز إلا أن تهدد حياة الأم من الوضع . وتعاطى موانع الحمل أو استعمال وسائل الحيلولة بين البويضة والحيوان لا بأس بها . ولنا مقال طويل فى هذا المقام نرجو أن نضيفه إن لم يخرجنا عن موضوعنا ، لأنه أكثر صلة بالفقه .

وجاء الحديث يوضح أن الجنين لا روح فيه قبل أربعة أشهر . وأن عمله ورزقه وأجله وحياته — كل ذلك مكتوب ومعلوم عند الله . وعلم الله لا يصلح أن يكون حجة للإنسان ، فان العلم صفة انكشاف ولا تأثير له — وقد سبق أن بينا أن للإنسان اختيارا (إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل ملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد . فو الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٣

٨ - ويدعو الإسلام إلى الوفاء بالشروط خصوصاً ما كان منها متصلا بأركان العقد أو شروط صحته أو كماله (إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج) خ حـ ٢ (الشروط) ص ٧

٩ - ومن المحافظة على حياة الأسرة وتماسك بنيانها ألا تهدم . بحجة يمين حلفه رب الأسرة وله كفارة . ومن الخير للعبد أن يكفر عن يمينه ، فإن الله نهى عباده أن يمتنعوا عن البر أو التقوى أو الإصلاح بحجة أنهم حلفوا بالله (لأن يلج أحدكم بيمينه فى أهله ، آثم له عند الله تعالى من أن يعطى كفارته التى افترض الله عليه) خ حـ ٢ (الأيمان والنذور) ص ١٤٨ ، ١٤٩

١٠ - ويجب على المسلم أن يؤدى ما عليه من مهر ، فإنه مسئول عنه عند الله (أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها - لقى الله يوم القيامة وهو زان . وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدى إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه - لقى الله وهو سارق) .

١١ - وعلى الإنسان أن يعامل أهله بالإحسان (إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكن بركة على أهل بيتك)

١٢ - وللبيوت حرمة يجب أن تصان ، وقد صانها الإسلام بالإستئذان قبل دخولها (الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع)[١]

١٣ - وعلى المستأذن ألا يمد بصره داخل البيوت فيرى عوراتها (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٢

---

(١) خ حـ ٢ ص ١٤٢

١٤ - وعلى المستأذن أن يذكر اسمه عند السؤال عن من ينادى . وبعض الناس يقول أنا - وهذا مكروه : فقد جاء فى بعض الروايات (من هذا ؟ فقلت أنا . فقال : أنا - كأنه كرهها)[1]

١٥ - وعلى المسلم أن يحترم أهله : فلا يغيب عنهم طويلا فإن لهم حقوقا عليه - فإن سافر لمصلحة فعليه أن يعود فور انتهاء مصلحته (السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه - فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله) خ حـ ١ (العمرة) ١١٦

١٦ - وإذا سافر المرء وطالت مدة سفره فليخبر أهله بعودته حتى يرى منهم مايحبه ؛ ولا يفجأهم فربما يراهم فى غير استعداد للقائه فيغضبه ذلك منهم . (إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلا) خ حـ ١ (العمرة) ص ١١٦

١٧ - وعلى المرأة أن تراعى مشاعر زوجها ، فلا تجلس بمفردها مع رجل محتجة أن الثقة بها أمر ضرورى وواجب على الرجل ، فان المسألة ليست مجرد ألفاظ رنانة . فاذا دعا الاسلام إلى أخذ الحيطة صيانة للعرض وحماية للمرأة ، فهو لم ينقصها حقها بل يزيد فى تكريمها (لايخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم . فقال له رجل : يارسول الله ان امرأتى خرجت حاجة وإنى إكتتبت فى غزوة كذا وكذا قال : انطلق فحج مع امرأتك)[2]

١٨ - وقد راعى الإسلام شعور الزوج إلى أبعد الحدود ، إلى حد أنه

---

(١) خ حـ ٢ (الأحكام) ص ١٥٦
(٢) خ حـ ٢ (الحور العين) ص ٢٣

قد يمنع الزوجة من طاعة مندوبة مالم يأذن الزوج بها كى لايتطلع لغيرها لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه) خ ح ٢ (النكاح) ص ١٢٢

١٩ ـ وعلى المسلم أن يعدل بين أولاده ولو فى القبلة . وكم رأينا عقداً تكونت من سوء تصرف آباء وأمهات لايزنون بميزان العدل بين أبنائهم (إنى نحلت ابنى هذا غلاماً . فقال له النبى : أكل ولدك نحلت مثل هذا ؟ فقال :لا،قال النبى:ارجع) وفى رواية(اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) وفى رواية (أشهد عليه غيرى ـ لا أشهد على جور . ثم قال للسائل : أيسرك أن يكونوا فى البر سواء ؟ قال نعم . قال : فلا إذن) خ ج١ (الهبة) ص١٥٤

ينكر النبى على بشير والد النعمان أن يخصه بشىء دون اخوته .

٢٠ ـ وعلى الزوجة أن تراعى حق الزوج وسمعة نفسها ولو بعد وفاة الزوج (لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً) خ ج١ (الجنائز) ص ٨٧

٢١ ـ وخير ما ينفقه الإنسان من المال ما أنفقه فى حاجة أولاده الضرورية لهم (دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك — أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك)

٢٢ ـ ومن فضل الله أنه اعتبر الانفاق على الأهل ابتغاء وجه الله وقياما بالواجب يعد ذلك من الصدقات (إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة) [١]

---

(١) خ ج ٢ (النفقات) ص ١٢٦

٢٣ ـ وأنه قد تواجه الإنسان مشاكل اقتصادية يحاول معها ، ولكى يتغلب عليها أن يمتنع عن الإنجاب . وليس هذا التصرف تدخلا من العبد فى قضاء الله ـ فكل شىء بقضائه . ونحن نفر من قضاء الله إلى قضاء الله . وفى الحديث : (كذبت يهود لو أراد الله أن يخلقه مااستطاع العبد أن يصرفه)

٢٤ ـ فاذا اتخذ الإنسان العزل وسيلة لمنع الحمل ، فلابد من رضا المرأة به . وإذا عزل الإنسان بدون مبرر بأن كان موسرا فذلك لا يجوز له ـ ولعله ورد فى هذا المعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : (العزل ذلك الوأد الخفى).

٢٥ ـ ولا مانع من أن يستعمل الإنسان وسائل جربت من غير إحداث ضرر (لقد هممت أن أنهى عن الغيلة[١] ، فنظرت إلى فارس والروم فاذا هم (يغيلون ولا يضر أولادهم ذلك شىء) .

٢٦ ـ وقد يحدث الضرر من عامل وراثى. فعلى كل من يرغب فى الزواج أن يبحث عن المرأة الصالحة الصحيحة (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس).

٢٧ ـ ويختلف الناس فى مقاييسهم للمرأة الصالحة . فمنهم من ينشد الجاه أو المال أو الجمال أو أى شىء من زينة الدنيا ، صارفا نظره عن شىء أهم من كل هذا (خير النساء امرأة إن نظرت اليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها) .

٢٨ ـ والمندفعون وراء اللذة فقط يقعون فى أزمات يصعب التخلص منها وكم طالعنا الواقع أن الميزة التى دفعت الرجل الى الزواج من المرأة ليستمتع بتلك الميزة ـ كانت هى السبب فى تحول جنة كان يبتغيها الى جحيم يحاول الفرار منه (لاتزوجوا النساء لحسنهن — فعسى حسنهن أن يرديهن .

---

(١) إتيان الأم وهى ترضع ، أوحملها وهى ترضع .

ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين . ولأمة سوداء ذات دين أفضل)

٢٩ ـ ونرى اتجاهات للناس مختلفة لها صلة بالزواج . فبعض البيئات الريفية تصر على ألا يرى الخاطب مخطوبته . وفى المدن تغالى فتترك الحبل على الغارب للخاطب والمخطوبة كأنهما زوجان ، فتحدث أزمات من كلا التقليدين . وخير الأمور الوسط (أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما)

٣٠ ـ والأخلاق التى ينشدها المحافظون فى بحثهم عن الزواج هى ما تمثلت صورها فى مقررات الاسلام وفيها الخير كله . (من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها . ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها)

٣١ - وقد يتوقف بعض الناس فى هضم وتقبل هذه النتائج العكسية . كيف يتزوجها للمال والجمال فتكون النتيجة حرمانه منهما ؟ ونحن نستشهد على هذا أولا : بخبر الصادق صلى الله عليه وسلم . وثانيا : بالواقع الذى يكشف لنا كل يوم عن هذه النتائج . وثالثا فالدراسة لنفسيه المرأة تكشف لنا عما فيها من كبرياء وغرور حين ترى اندفاعا نحوها أو إلى ما فى يدها (من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا . ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً . ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة . ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه)

٣٢ ـ ويجب الا تكون المادة عقبة فى طريق اتمام الزواج ،فقد نهينا عن التكلف فى حياتنا . والتساهل فى الزواج بالذات من أهم العوامل لاستقرار الحياة الزوجية وقيام المودة بينهما (أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا)

٣٣ — والمقياس الصحيح للرجل أن يكون ذا خلق ودين ـ إن أحبها أحسن اليها ، وأن أبغضها لم يظلمها .(اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير)

٣٤ — والإحسان الى المرأة مما أكد النبى الوصية به (اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة)

٣٥ — ومن الناس من يتزوج ثم يعيش فى مكان وأسرته فى مكان من غير ضرورة ـ وهذا خطأ . والواجب الرعاية الفعالية (الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)

٣٦ — والبيت هو المدرسة الأولى ، فيه يتعلم الطفل وفيه يتلقى أسلوبا خاصا لحياته . ومن هنا تقع مسئولية تنشئته على الوالدين (كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) خ ج ١ (الجنائز) ص ٩٢ بالمعنى .

٣٧ ـ وتلعب المرأة دورا خطيرا فى حياة الرجل ، واذا كانوا يقولون إن وراء كل عظيم امرأة ـ فعليهم أن يتدبروا ذلك الأثر كذلك (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء)[1] .

٣٨ ـ وأول شىء يجب على الزوجين نحو الأولاد بعد قيامهما بالحاجات الأولية للحياة ـ أن يقوما بغرس المبادىء الصالحة فى نفوس الأولاد ـ ومن أهمها تعودهم على الصلاة من الصغر لتنمى فيهم الشعور بالمسئولية والنظافة والنظام والمحافظة على الوعود وغير ذلك من الفضائل (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع) .

---

(١) خ ج ٢ (النكاح) ص ١١٩ .

٣٩ ـ وإذا عرف الطفل ربه عن طريق سهل، وقربناه إلى ذهنه بصورة محسوسة هى أن كل ما رضى أبويه يرضى ربه عنه . فان الطفل سوف يعرف ربه عن هذا الطريق ولا يعصى والديه صغيرا كان أو كبيراً (رضا الله فى رضا الوالد ، وسخط الله فى سخط الوالد) .

٤٠ . ومن عوامل التنشئة الصالحة أن يشرك الوالد أولاده معه فى بعض المسائل التى تدركها أذهانهم ، فيحسوا بمسئولية الوالد نحوهم وكيف يتعب فى الحياة من أجلهم ، فإذا شبوا كانوا على وعى وعرفان للجميل الذى قدم لهم ، فلم يجحدوا نعمة أبيهم عليهم . كما روى أن ولدا جاء يشكو والده للنبى قائلا : إن أبى يأخذ من مالى . فاستدعى أباه فقال : كنت غنيا وهو فقير وقويا وهو ضعيف ـ وقد تبدلت الأحوال وأصبحت فقيرا وهو غنى وضعيفا وهو قوى ـ أفلا آخذ من ماله ؟ فبكى النبى وقال : (ما من حجر ولا مدر يسمع هـــذا إلا بكى - أنت ومالك لأبيك) .

٤١ - ومن حقوق الأبناء على الآباء أن يعلموهم (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

٤٢ ـ وعلى الرجل أن يدرس نفسية المرأة فيخاطبها على قدر ادراكها ، ويعلم أن عاطفتها قد تنسيها ما قدم لها من معروف فتنكره زمنا يسيرا ـ ثم تعود فتذكره (لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط) خ ج ١ الكسوف ص ٧٨ .

٤٣ ـ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله وكل راغب فى الزواج أن يعد العدة له من القدرة على الانفاق ، فان لم يستطع الإنفاق فليسلك سبيل الوقاية التى حددت له من صوم يخفف من سلطان الغريزة الجنسية بالتقليل من الطعام . والمفروض أن هذا لم تسمح له ظروفه أن يعيش فى سعة (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٢

٤٤ - وللقدرة على الانفاق دخل كبير فى استقرار الحياة الزوجية ، فللمرأة مطالب قد تتعب الرجل كما أتعبت النبى صلى الله عليه وسلم . ويروى أنه : (آلى من نسائه شهرا)[1] أى حلف لا يقربهن لما طلبن منه مزيدا من الحياة الدنيا وليس عنده .

٤٥ - وللمرأة أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها بالمعروف — رضى أو لم يرض ، علم أو لم يعلم (جاءت هند إلى النبى فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح فهل على جناح أن آخذ من ماله سرا ؟ قال: خذى أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف)[2] .

٤٦ - وفى رأينا أن للمرأة أن تشترط على خاطبها ألا يتزوج عليها ومن واجبه الوفاء بهذا الشرط ، وان كان بعض الفقهاء لا يلزم أن يوفى بهذا الشرط . وسندنا فى ذلك ماروى : (خطب على بن أبى طالب بنت أبى جهل فأتت فاطمة بنت النبى وقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى وصدقنى ، وإن فاطمة بضعة منى وانى اكره أن يسوءها . والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد . فترك على الخطبة)[3] وللقصة تأويلات نميل إلى ما اخترناه من أن الظاهر انه كان قد اشترط عليه الا يتزوج عليها ، كما اشترط على أبى العاص حين تزوج بزينب . هذا إذا تأكد أن الحديث كان قبل نزول ولا تنكحوا المشركات والله أعلم .

٤٧ - وإذا اتفق الزوجان عل العزل فلا بأس بذلك كما سبق (سألناه عن العزل فقال : ما عليكم ألا تفعلوا ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا هى كائنة) خ ج٢ (غزوة بنى المصطلق) ص٧٨ .

---

١ - خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٢ ٢ - خ ج ١ (البيوع) ص ١٣٤
٣ - خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩

٤٨ ـ والإنقطاع عن الزواج والتفرغ للعبادة بدعة ردها رسول الله كما ثبت أنه : (رد على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن له لاختصينـــا) خ ج ٢ (النكاح) ص ١١٨ .

٤٩ ـ وللزواج احكام عديدة تتصل بالفقه، ويكفينا ان نشــير إلى ما يترتب على الرضاع من تحريم النكاح ـ فلو رضع الكبير من ام الزوجة فانه لم يكن اخا بهذا الرضاع ، لأنه وقع فى غير مدة الرضاع فلا يتعلق به تحريم (انظرن من إخواتكن ـ فانما الرضاعة من المجاعة) خ ج ٢ (النكاح) ص ١١٩ ، ١٢٠ .

٥٠ ـ وإذا تزوج زيد أخت عمرو مقابل أن يتزوج عمرو اخت زيد ـ فذلك الشغار المنهى عنه : (نهى عن الشغار) خ ج ٢ النكاح ص ١٢٠ .

٥١ ـ وللبنت الثيب أن تختار زوجها بنفسها لا يرغمها أبوها على الزواج من انسان لاترضى به (رد النبى نكاح الأب لابنته الثيب)[١] أى التى زوجها أبوها من غير أن توافق .

٥٢ ـ وعلى الزوج حين يأتى أهله أن يذكر الله فيقول باسم الله فان ذلك يجنب مايرزق به من الأولاد ـ يجنبهم الشيطان. وهذه من الآداب الإسلامية المحمودة (أما لو أن أحدهم يقول حين يأتى أهله باسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قدر بينهما فى ذلك أو قضى بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا) خ ج٢ (النكاح) ص ١٢١

٥٣ ـ فاذا كرهت المرأة زوجها ولم ترض العيش معه ، كان عليها أن تفتدى نفسها فترد على زوجها ما أخذت منه من مهر ـ وهذا هو المعروف بالخلع ، وأنه لأعدل من الأفكار المتطرفة يمينا ويساراً ، فبعضها يمنع الطلاق

---

(١) خ ج ٢ النكاح ص ١٢٠ ، ١٢١

وبعضها يبيح للمرأة أن تنفصل عن الرجل متى شاءت. ولكنى لا يصبح الزواج تجارة فى أيدى النساء ، ولا يصبح الطلاق لعبة فى أيدى الرجال ـ شرع الخلع وشرعت النفقات على الرجل المطلق (قالت زوجة ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولادين ، ولكنى اكره الكفر فى الإسلام . فقال النبى . أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . فقال له : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة) خ ج٢ (الطلاق) ص ١٢٥

٥٤ — واذا رأى الزوج من زوجته الفاحشة ولم يكن له شهداء ـ فعليه أن يلاعن . يحلف أربعة أيمان أنه لصادق والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً . وتحلف المرأة أربعة أيمان إنه لكاذب وفى الخامسة أن غضب الله عليها إن كان صادقا . فاذا حلفا فرق بينهما القاضى . وهل تحل له بعد أو لا ؟ وهل يتم اللعان بمجرد الحلف أو بتفريق القاضى ؟ واذا نكلت المرأة فهل تحد أو لا ؟ أقوال عند الفقهاء . ولما لاعن هلال بن أمية زوجته قال النبى للمتلاعنين : (حسابكما على الله ، أحدكما كاذب لاسبيل لك عليها . قال الزوج مالى . قال له : لامال لك . ان كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها . وان كنت كذبت عليها فذلك ابعد لك)[١]

٥٥ — وإذا رزق الله الأسرة بغلام — فعليهم أن يعقوا عنه بذبح شاة فى اليوم السابع . كما روى : (مع الغلام عقيقة — فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى) خ ج٢ (العقيقة) ص١٢٩

٥٦ — وقد سبق أن للبيوت حرمة يجب أن تصان ويعاقب المعتدى عليها (لو اطلع فى بيتك احد فلم تأذن له فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح) خ ج٢ (الديات) ص ١٥٢

---

(١) خ ج ٢ (الطلاق) ص ١٢٥ ، ١٢٦

٧ — والطلاق من أبغض الحلال الى الله ، لايصح للناس أن يتلاعبوا به ، ولايصح المرأة أن تطلبه من غير مبرر (أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس — فحرام عليها رائحة الجنة)

الموضوع التاسع

(حقوق الأقارب)

(١) لم نعرف دعوة من الدعاوى عرفت للأقربين حقوقهم مثل دعوة الإسلام ، فإنه أوصى بهم خيراً . وشملت دعوته رعاية حق الأقارب على اختلاف جهاتهم . والأقارب فى المسكن كحقوق الجار . ومن تأكيده لحقوق الأقارب أن الله يجازى بالإحسان من قام بحقوقهم (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم ـ أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى . قال : فذلك ثم قرأ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣ .

(٢) ولقد دعينا إلى صلة الرحم فى غير موضع . وأن بتلك الصلة يحصل المرء على أحب مايتمناه فى الدنيا (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٣) وقد يبتلى الإنسان بأقارب يقابلون إحسانه بالإساءة فهل ينقطع عنهم ؟ كلا : إنه يجب عليه أن يداوم الصلة وإن قابلوا الإحسان بالإساءة ـ

فإنه معه نصير من الله ، ومن عفا وأصلح فأجره على الله (إن لى رحماً أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيؤون الى، واحلم عنهم ويجهلون على . فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل [1] ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك) .

٤ - وللجار على جاره حقوق . بيد أنهم يتفاضلون فى تلك الحقوق نظراً لأقربهم مسكناً . قالت عائشة : (إن لى جارتين فإلى أيهما أهدى ؟ قال إلى أقربهما منك بابا) خ جـ ١ (الشفعه) ص ١٣٦ .

٦ - ومن الوفاء الذى لم تصل إليه أفكار الإنسانيه أن على الإبن أن يصل أحباء أبيه ، وذلك من أبر البر (ان من أبر البر أن يبر الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى) .

٦ - وقد لايتعرف الناس بعد موت آبائهم على الأصدقاء الذين كانت بينهم وبين آبائهم علاقات طيبه ، لكن من البر بالآباء أن يحاول الإبن معرفة أصدقاء أبيه ، ليبرهم ويكرمهم فإن ذلك من بر أبيه وصلته له بعد موته . وكذا اكرام الأخوات ومن يتلاقون معه من الأقارب فينتهون الى أبيه أو أمه (هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم الصلاة عليهما ، والإستغفار اليهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لاتوصل الا بهما ، واكرام صديقهما) .

٧ - والمرأة أحوج الى العطف والصلة من الرجل ، ولذا فمن الأولى البدء بها . وكل قريب تقدم الانثى على الرجل - ولذ نرى الوصايا تعتنى بالأم

---

(١) الرمل الحار

قبل الاب (إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الامهات ، ومنعاً وهات ، ووأد البنات . وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال) خ جـ ١ (الحج) ص ١٤٦ .

٨ - ومن العنايه بالاقارب أن خصهم بلون من الحقوق كالرزق والقول المعروف ، وان الصدقه على الاقارب أفضل . بل قيل أن الصدقة على الاجنبى لاتجوز مادام فى قرابة المتصدق المحتاج (يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لايقبل الله صدقة من رجل وله قرابه محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم والذى نفسى بيده لاينظر الله اليه يوم القيامة) الطبرانى .

٩ - ومن الاصول المقررة أن الصدقة على المسكين فيها أجر . أما على القريب ففيها أجر الصدقة وأجر الصلة معا (الصدقة على المسكين صدقة . وعلى القريب صدقتان - صدقة وصلة) [1] .

١٠ - وخير الناس أنفعهم للناس أجمعين ، وخير منه من بدأ بأقاربه فنفعهم بحق دون تعصب أو محاباة (خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم) .

١١ - وليس الإهتمام بالاقارب من التعصب فى شىء بل هو من المروءة اذ التعصب تعاون على الظلم كما روى : (العصبية أن تعين قومك على الظلم) .

١٢ - وكان الناس فى الجاهلية لايعدون أبناء البنات أقارب . فجاء الإسلام وقضى على هذه النزعة وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان أبن أخت القوم منهم » خ جـ ٢ « الفرائض » ص ١٥٠ .

١٣ - ولقد علمنا أن أولى الناس بهذه الحقوق الوالدان وقد مر الحديث عنهما . ومر كذلك أن برهما جهاد . كما روى أن رجلا خرج للجهاد فسأله : « أحى والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد » خ جـ٢ «الحور» ص٢٣ .

---

(١) خ جـ ١ (الزكاة) ص ١٠١

١٤ ـ واذا اختلف الاقارب مع الانسان فى الدين فإن ذلك لايعنى قطيعه رحمهم ـ بل لهم رحم تراعى . ولقد ثبت أن عائشة أمرت بىر أمها المشركة اذ ذاك « أم رومان » ، وهذا البر لايعنى الرضى عنمن كفر ـ فإن الرضى بالكفر كفر . ولكن صلة الرحم شىء والولاية المنهى عنها شىء آخر « ان آل أبى فلان ليسوا بأوليائى ـ إنما وليى الله وصالح المؤمنين . ولكن . لهم رحم أبلها ببلالها) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٩ .

١٥ ـ وإذاكان الرحم يصلون أنفسهم فنعم ماهم عليه . والواصل على الحقيقه المستحق للأجر كاملا هو من وصل المسيئين من أقاربه (ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعته رحمه وصلها) خ ج ٢ ر الأدب) ص ١٣٩ .

(الموضوع العاشر)

(الرحمة)

١ ـ الرحمه كمال فى الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى . هى كمال فى الطبيعة ، لأن تبلد الحس يهوى بالانسان الى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل مافيه . وهو العاطفة الحية النابضة بالحب والرأفة ، بل إن الحيوان قدتجيش فيه مشاعر مبهمة تعطفه على ذراريه ، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة لا إلى منزلة البهائم ، بل الى منازل الجماد الذى لايعى ولا يهتز (جعل الله الرحمة مائه جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ـ فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)

٢ ـ وهى هدية الله الى خلقه يرحم من قبلها ورحم غيره (هذه رحمة جعلها

الله تعالى فى قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٩

٣ ـ وقد اتسعت سماحة الإسلام فأوصى بالرحمة والشفقة حتى على البهائم المعجمة ـ (فاركبوها صالحة وكلوها صالحة) .

٤ ـ وقد ضرب القادر على كل شىء لنا أروع الأمثلة فقال : (إن رحمتى تغلب غضبى) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ ـ

٥ ـ وكل مارق القلب كان أقرب الى مولاه . وبقدر مافيه من غلظة يبتعد الإنسان عن ربه (إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب)

٦ ـ ولما كانت الرحمة رقة فى القلب ، ربطها الشارع بالإيمان الذى هو والرحمة وعاؤهما القلب . وكان الاسلام دقيقا حين أراد الرحمة بالرحمة العامة ـ وليست مجرد عاطفة خاصة يرق بها الانسان نحو صديقه أو ولده . ولكى تتلاقى الرحمة مع العدل تراه يريد العموم ـ فقد يرق الانسان لصديقه الظالم أو ينعطف نحو المتألم بحق ـ وتلك رأفة وليست الرحمة التى يريدها الشارع ، إذ هى والعدل تتلاقيان وتجتمعان فيمن أقيم عليه القصاص (لن تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا : كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة)

٧ ـ وقد ربط الله عز وجل رحمته بالذين يرحمون الناس (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله . ومن لا يغفر لا يغفر له) خ ج٢ الأدب ص١٣٩ : ١٤٠ .

٨ ـ والرحمة فضيلة من مجموع فضائل أوصى بها الإسلام ، وكلما صادفت الرحمة المستحقين لها كان صاحبها أكثر مثوبة وأعظم أجرا (طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالا جمعه فى غير

معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقة والحكمة)

٩ - وإذا خلا القلب من الرحمة فهو قلب إنسان شقى (لاتنزع الرحمة إلا ممن شقى)

١٠ - وقد أشتقت الرحمة من الإسم الكريم الرحمن . ووضع الرحمن إسما لأمس الناس به وأقربهم اليه (الرحم شجنة من الرحمن - من وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٨ ، ١٣٩

١١ - وقد رأى رجل النبي يقبل ولد ابنته - فقال الرجل : إن لى عشرة أولاد لم أقبل واحدا منهم . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٩

١٢ - وقد تدمع العين من الرحمة ويخشع القلب منها حين يصادف الإنسان فى حياته فقدان عزيز لديه . كما روى أن النبي قال عند موت ولده : (إن العين تدمع وإن القلب يخشع ولا نقول الاما يرضى ربنا وإنا بفراقك ياإبراهيم لمحزونون) (١) .

١٣ - وأولى الناس بالرحمة كل محتاج اليها من الضعفاء واليتامى وذوى الحاجات (إرحم اليتيم ، وامسح رأسه وأطعمه من طعامك ، يلن قلبك وتدرك حاجتك) .

١٤ - ومن أحوج الناس للرحمة الخدم والأرقاء . وإذا كان تأديبهم مشروعا ، فإنه مشروط بألا يتجاوز الحد المقرر له شرعا وهو لزوم الرحمة ، وقد رأى

---

(١) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٩ .

رسول الله رجلا يضرب غلامه فأنكر عليه وقال له : (إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فأعتقه . فقال : لولم تفعل للفحتك النار)

١٥ - وصاحب الخلق الحسن يعبر عما فى قلبه من الرحمة أما أصحاب الخلق الردىء فإنهم يظهرون ما فيهم من قسوة (حسن الملكة نمـــاء وسوء الخلق شؤوم) .

١٦ - وكل من يظلم الناس وتفوته الرحمة بهم - فان الله يقتص منه يوم القيامه (من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة) .

١٧ - وتعاليم الإسلام فى الذبح من سن السكين بعيدا عن الذبيحة وإراحتها لهو دليل على ما ينطوى عليه من الرحمة . وفى الحديث لمن يذبح الشاة :(إن رحمت الشاة رحمك الله) .

١٨ - ولقد كانت الرحمة سببا لغفران الله للبغى التى سقت الكلب رحمة به كما سيجيء فى باب القصص .

(الموضوع الحادى عشر)

(الصبـــر)

١ - هو ضبط النفس عندما يواجه الإنسان مثير ، أو تعترضه عقبة تصدمه وكلما عظمت البلية عظم فيها الأجر للصبر عليها (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٨ .

٢ - وأشق شيء على النفس أن تصدم فى إنسان يبادلها حبا ومن جميل مواساة الاسلام لتلك النفس المصابة أن يذكرها بقضاء الله وأن كل شيء مصيره إليه . فلتتزود بالصبر ولتطلب من الله - أن يعوضها خيرا (إن لله

ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٨ .

٣ ـ وقد يصعب على النفس أن تنس مافقدته وتحتاج إلى عوامل لنسيانها والإسلام يقدم وسائل تعين على النسيان . فالوضوء والصلاة وترداد الثناء على الله والصدقه والإصغاء إلى القرآن وما فيه من مواعظ ـ كل هذا يخفف من وقع البلايا ويقرب الى الله (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) .

٤ ـ والمؤمن يتقلب بين البلاء والنعم ، وكله له خير يتقلب بين شطرى الإيمان فيصبر أو يشكر . أما غير المؤمن فلا ينعم بنعمة ولا يؤجر على بلاء ـ لأنه يعيش بين الكفران أو الجزع (عجبا لأمر المؤمن ـ إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)

٥ ـ وعلى المرء أن يجاهد نفسه ولو تكلف تلك المجاهدة ليقوى على حمل ما ابتلى به ، وعندئذ سوف يجد الله من ورائه يعينه ويخفف عنه ويسبغ عليه من النعم ماينسيه بليته . ومن الناس من يربط الله على قلوبهم فلا يفزعون . وهذا من أعظم مانراه كرامة من الله لأوليائه (ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) خ ج ١ (الزكاة) ص ١٠٢

٦ ـ ولقد واسى الله بعض المصابين وعوضهم الجنة بدلا عما افتقدوه وهم فى أمس الحاجة إليه (إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه [1] فصبر عوضته منهما الجنة) خ ج ٢ (المرضى) ص ١٣٣ .

---

(١) عينيه .

٧ — ويحزن المؤمن على فقدانه صديقا حميا جمع الله قلبيهما عليه ، فإذا صبر واحتسبه عند الله كانت له الجنة (مالعبدى المؤمن عندى جزاء إذاقبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٣ .

٨ — وقد يتساءل الإنسان لماذا لم يعصم الله المؤمنين من البلاء والابتلاء ؟ والقول الفصل أن الإيمان ليس مجرد كلمات تردد ، ولكن فوق هذا هو مسئولية الفرد عن حياته ولا تخلو من هفوات وزلات يحتاج لما يكفرها عنه (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولاهم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولاغم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه) خ ح٢ (المرضى) ص١٣٣

٩ — وقد يمرض الإنسان مرضا يستعصى أو يطول علاجه ، يفضل الإنسان أن يموت ليستريح من عناء التعب . ولما كان الإنسان لايدرى هل يستريح بعد الموت أو لا يستريح ـ طالبه الإسلام أن يصبر وأن يفوض الأمر لله الشافى من كل الأسقام . وإذا كان لا بد أن يقول شيئا ينفس به عن آلامه فليطلب من الله الخير (لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى) خ حـ ٢ (المرضى) ص ١٣٤ .

١٠ — وتفويض الأمر لله والصبر على ماقضى به والرضى بقدره ثم التوجه إلى الله بالدعاء ـ فإن هذا كله مما يرفع الغمة ويستبدل بها نعمة تخلفها (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أأجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيرا منها)

١١ — وإذا أصيب المرء فى ثمرة فؤاده وفلذة كبده فصبر على ذلك ، كان ذلك الصبر المحمود محور حديث من الله للملائكة ـ يباهى بذلك العبد الصبور

الذى عرف أن لله ما أخذ فحمده واسترجع . وكان جزاؤه أن يشيد الله له قصرا فى الجنة يكتب عليه ماقابل الصدمة به من كلمات الحمد (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده؟فيقولون : نعم . فيقول : فماذا قال عبدى ؟ فيقولون . حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : إبنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد)

١٢ — ومن الطبيعى أن تدمع العين ويأسى القلب لهذه البلية ولغيرها من البلايا المحزنة . ومن رحمته بعباده أنه لا يعذبهم على هذا . ولكن يعذبهم بما ينطقون به وهم فى وعيهم (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم . ويشير إلى لسانه)[1] .

١٣ — ومن الناس من يصاب فى كثير من أولاده ، أو ربما لا يعيش له منهم أحد . وكان أهل الجاهلية يعدون مثل هذا أبترا . فجاء الإسلام وبين بطلان هذا الزعم ، ووعد هؤلاء المصابين بالجنة التى سيدخلها الله هؤلاء الأولاد ويرحم أبويهم معهم (ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) خ حـ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

١٤ — والمؤمنون أكثر الناس تعرضا للبلاء حتى يطهرهم الله وينقيهم ثم يصطفيهم للمقام فى جواره . أما الفاجر فقد ينجو من البلاء استدراجا من الله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر (ومثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الريح تصرفها مرة وتعدلها أخرى حتى يأتيه أجله . ومثل الكافر كمثل الأرزة المجدبة على أصلها لا يصيبه شىء حتى يكون إنجعافه مرة واحدة) خ حـ ٢ (المرضى) ص ١٣١

١٥ — وكل بلاء لم يتسبب الإنسان فيه بسوء تدبيره يضاعف فيه الأجر من الله . وكم سيتمنى أهل العافية فى الدينا لو أنهم أصيبوا فيها

---

(١) خ جـ ١ (الجنائز) ص ٨٩ ، ٩٠

من أجل الله لينالوا ثواب أهل البلاء(يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض) .

١٦ — ونتساءل لماذا يتعرض العبد لمثل هذا البلاء الذى يصعب عليه أن يحتمله ؟ والحق أن الإنسان قد لا يدرك بعمله تلك المنزلة التى أعدها الله له فيبتليه فيعمل بالصبر على تطهير نفسه كى يبلغ تلك المنزلة (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله فى جسده أو ماله أو فى ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل)

١٧ — ولقد تعرض أوائل المسلمين البلاء الشديد والاختبار القاسى حتى أن بعضهم وهو فى مكة طلب من الرسول أن يدعو الله التخفيف عنه . فقال له : (إنه كان من قبلكم يمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه) خ ج٢ (إسلام أبى ذر)

١٨ — ومن الناس من لا يحتملون البلاء ، فيعمدون إلى التخلص منه بالإنتحار وهؤلاء قد ارتكبوا فى آخر حياتهم ما عرضهم لسوء العاقبة (كان برجل جراح فقتل نفسه. فقال الله : بدرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة) خ ج ١ (الجنائز) ص ٩٣

١٩ — وإذا كان البلاء للتطهير ولكل امرىء ذنوب ، فقد صح : (من يرد الله به خيراً يصب منه) خ ج ٢ (المرضى) ص ١٣٣

٢٠ — وقد يكون الصبر على مواصلة الطاعات ، كما قد يكون الصبر على احتمال المكاره . وقد يكون أشق من الأول . وفى هذا المعنى يروى : (إن الصبر على المكاره من حسن اليقين) .

الموضوع الثانى عشر

(الأمانة)

١ — كل موضوع تناولناه أو نتناوله فهو مندرج تحت عموم الأمانة . فهى لا تقتصر على الودائع ، بل تشمل كل التكاليف . ونكتفى هنا بإشارة إليها . فمنها السر الذى يكون بين اثنين لا يحب أحدهما أن يطلع عليه سواهما فهو أمانة (إذا حدث الرجل بحديث ثم إلتفت فهو أمانة)

٢ — وللمجالس حرمة يجب صيانتها ، وكل ما يجرى فيها من آراء فهو أمانة لا يصح إفشاؤها (المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق)

٣ — وما يحدث بين الزوجين فهو أمانة . ومن قلة المروءة أن يشيع الرجل شيئاً يمس حياء زوجته . ومن قلة الحياء أن تتحدث امرأة عما يفعله زوجها معها : وأن هذه من العورات التى يجب سترها (لعل رجلا يقول ما فعل بأهله . ولعل إمرأة تخبر بما فعلت مع زوجها . فأذم القوم سكتوا وجلين . فقلت : أى والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وانهن ليفعلن : قال : فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون)

٤ — وقد أحاط الإسلام كل ما يجرى بين الزوجين بالسرية التامة ، إذ لا مصلحه فى نشره وهو من الأمانة (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها) .

٥ — وقد سبق أن الأمانه لا تختص بالودائع كما خصها الفقهاء ، بل هى عامة كما روى : (الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والكيل أمانة ، والوزن أمانة — وعد أشياء أخرى) .

الموضوع الثالث عشر

(التوبة)

١ — للتوبة أحكام تتصل بالفقه كشروطها ، وسقوطها الحد ، أو عدم إسقاطها للحد ، ومكانتها فى جرائم التعازير مما يخرجنا عن موضوعنا . ولكن نكتفى بكلمة موجزة عنها . فان الله عز شأنه يحب التوابين ، وتتسع رحمته لمن تاب من بعد ظلمه وأصلح . والتوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ـ فؤلائك يتوب الله عليهم . وإن إقلاع العبد عن الذنب وعوده لطاعة ربه هو السبيل الذى ينجيه بن يديه (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة) خ حـ ٢ (الدعوات) ص ١٥٧ ، ١٥٨

٢ — « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ونداء الله للعبد لا ينقطع ، يدعوه للتوبة ليكفر عنه ذنوبه ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ؛ ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)

٣ — وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن . والتوبة تصنع العجائب ـ تبدل السيئات حسنات وكم من الذنوب تمحوها التوبة (يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ـ يدخلان الجنة ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد)

٤ — وفى الإنسان غرائز ، وفى الدنيا مظاهر قد تغرى الإنسان بفعل السوء ـ لذلك كانت التوبة فرصه ليصحح الإنسان ما أفسده حين تغلبت شهوته على عقله (لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان ـ

ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) خ حـ ٢ (الإستئذان) ص ١٤٣ .

٥ — « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولن يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » . فتلك الآيات تشترط للنجاة من عذاب الله والفوز برضوانه ألا يكون مصراً على الذنب ، وأن يعرف أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب — وقد سبق الحديث : (أذنب ذنبا عبد فقال : اللهم اغفر لى ذنبى . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أى رب أغفر لى . فقال تبارك وتعالى مثل ذلك ثلاثاً ثم قال : قد غفرت لعبدى وليفعل ما يشاء) خ حـ ٢ (التوحيد) ص ١٦٣ .

الموضوع الرابع عشر

(الحكم)

١ — الإسلام نظام لا كلام ، وتنظيم لشئون الدنيا وما فيها من صلاة فردية وجماعية ، وصلة الناس بالناس ، وصلتهم برب الناس وقد دعا فى غير موضع إلى الحكم بالعدل . والذى يتولى شئون الناس ويرعى مصالحهم قد ارتبط بعهد بينه وبين ربه ، وعهد بينه وبين الناس . فيجب أن يتوافر فيه الأمانة والكفاءة . إن خير من استأجرت القوى الأمين . والأمانة عنوان الإيمان ، والقوة من مظاهر السلطان ، ويسمو صاحبها كلما كان وفياً بعهده (لا إيمان لمن لا إيمان له ، ولا دين لمن لا عهد له) .

٢ — ونقض العهد من أخبث ما يوصف به الإنسان (اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانه).

٣ـ وقد يطلب الإنسان أن يتولى منصبا وهو غير كفء له . وحينئذ يحرم عليه وعلى من يوليه أن يمكنه من ذلك المنصب ولو كان الطالب تقياً ورعا . فإن مناصب الحكم لها رجالها الذين تمكنهم استعداداتهم أن يحملوا تبعاتها . ويروى أن أباذر قال للنبي يوماً : (ألا تستعملني ؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها) .

٤ — وعلى الوالى العام أن يختار الأكفاء ليقوموا بشئون رعيته ، فإنه مسئول عن توليه لهم . فإذا اختار غير كفء كان خائنا لرعيته ومسئولا أمام الله (من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) .

٥ — ومن أمر غير كفء محاباة عاقبه الله بالنار ورفض كل أعماله لأنه يعتدى على غيره بتمكينه ذلك المحسوب وتسلطه على الناس بالباطل (من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله . لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا حتى يدخله جهنم) .

٦ — وإذا تولى غير الأكفاء وغير الأمناء كان ذلك إنذاراً بالفناء . فإن الفناء لا يحدث فجأة ولكن له مقدمات على الأمة أن تتلاشاها (متى تقوم الساعة؟ فقال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال : وكيف أضاعتها ؟ فقال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة) خ حـ١ (العلم) ص ١٤ بالمعنى .

٧ - وكل حاكم يجىء يوم القيامة بما قدم ، فإن كان غادراً خائناً جىء به يوم القيامة وقد كتب الله عليه ما ارتكبه من غدر وخيانة حتى يعرفه الناس ويفضحه الله أمام الخلائق (إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم

القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به ، فيقال هذه غدرة فلان) خ ح٢ (الخور) ص ٣٢ .

٨ - وإذا كان الموظف يتقاضى مرتبا فيحرم عليه أن يأخذ ممن لهم مصالح عنده شيئا ولا يخفف من مسئوليته أن يسمى بالهدية فالحقيقه أنه رشوة وغلول (من استعملناه على عمـــل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول) .

٩ - وإذا قام الموظف بواجبه وأدى ما عليه ولم يتقبل شيئا فوق حقه فهو مأجور من الله ومحمود من الناس (العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد فى سبيل الله حتى يرجع إلى بيته) .

١٠ - وكل من تولى أمر أمة فهو مجازى بما قدم. فاذا استعمل معهم الرأفة فسوف يرحمه الله ، وان كان غليظا عليهم فسوف ينتقم منه الله ، وقد صح أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه . ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به)

١١ - وعلى الحاكم أن يكون صريحا واضحا مع محكوميه ، فهم جنوده وأنصاره ، وهو بهم قوى إن نشأهم على العزة . وإن أزلهم وغشهم فهو بهم ضعيف وله النار من بعد ذلك (مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنه) خ ح ٢ (الأحكام) ص ١٥٦ .

١٢ - وكل مسئول عن رعيته. ومن الخطأ أن تلقى التبعة على الوالى العام فكل إنسان له حق وعليه واجب ، يرتبط بمدى السلطة الممنوحه له (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته - الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة

عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته) خ حـ١ (الجمعة) ص٧٠ ،

١٣ ـ وهذه فكرة عن أنظمة الحكم فى أمة من الأمم ، وعن شيء مما سيحدث لهذه الأمة ، يرسم لهم طريق النجاة من تكالب المتكالبين (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى . وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون . قالوا : يارسول الله فما تأمرنا ؟ قال . أوفوا ببيعة الأول فالأول ثم أعطوهم حقهم ، واسألوا الله الذى لكم فان الله سائلهم عما استرعاهم) خ حـ٢ (بدء الخلق) ص٤٥ .

١٤ ـ وإذا كانت مظاهر الديمقراطية تبدو واضحة بمقدار صلة الحاكم بالمحكومين واندماجه معهم واقترابهم منه ـ لا تمنعهم حواجز ولا يحيل بينهم وبينه أبواب ـ فان الإسلام قد سبق لتقرير هذا المبدأ ودعا الحاكم أن ينزل لرعيته يتعرف مشاكلهم ويعمل على حلها (من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ـ إحتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة) .

١٥ ـ وشر الناس هم المتكبرون على رعيتهم (إن شر الرعاء الحطمة)[1]

١٦ ـ والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والشعور المتبادل مقياسان للديموقراطية ـ فاذا كان الحب والدعاء الخالى من الرياء هما مظهرا العلاقة كانت الديمقراطية . واذا كان البغض والنفاق كانت الديكتاتورية (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم . قلنا: أفلا ننابذهم؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة)

١ ـ اسم من اسماء النار . ورجل حطمة أي كثير الأكل . والمراد العنيف على رعيته .

١٧ — وعلى المسلم أن يكون وفياً بما تعهد به لحاكمه . فإذا تحلل من هذا الوعد من غير مبرر كان قد انحل من الإسلام . ومن لم يكن مؤيداً أومعارضا فقد رجع بنفسه إلى مظالم الجاهلية (من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له . ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) .

١٨ — وطاعة الحاكم واجبة ـ سواء كانت فى صالح المسلم أوضد مصلحته الخاصة ، فعليه أن يسمع ويطيع ، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة فإذا أمر بمعصية ولو كانت فيها مصلحته فانه لا يلتزم بها شرعاً . ومقياس الطاعة والمعصية الموافقة لأمر الشارع والبعد عنه (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) خ حـ٢ (الحور) ص ٢١ .

١٩ — وقد بين لنا رسول الله خير ما يعلمه لنا ، وحذرنا من شر ما يتوقعه لنا . وأشار إلى ما يواجه الأمة فى حياتها ، وكيف الوقاية من شره ، وما الواجب عمله (إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم . وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها . وتكون فتنة يرقق بعضها بعضا ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتى ثم تنكشف . وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هـــذه - فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليؤت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) .

٢٠ — ومن الناس من يسأل حقه ولا يعرف حق غيره ، وتلك بلية وإن كانت فى الحكام فهى أشد وأخطر ، وقد كره النبى أن يسمع سؤالا فى هذا المعنى فأدار وجهه تقديراً وأسى لما قد تحدثه هذه الظاهرة الخطيرة فى المجتمع

الإسلامى (أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعون حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه . ثم سأله . فقال له النبى : إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)

٢١ — ومن يحرص على الإمارة وتوليها يجب أن يحرم منها ـ فإن حرصه عليها دليل على أنانيته وعدم شعوره أنها خدمة وعبء ثقيل يسأل عنه عند الله والناس . فان جاءت بها الظروف إليه من غير طمع فيها فعليه أن يستعين بالله ، وأن يقبلها ، وسيعينه ربه ويسدد خطاه (لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها) خ حـ ٢ (الأيمان والنذور) ص ١٤٨

٢٢ ـ ولاختيار الحاشية دخل كبير فى سلوك الحاكم . وهى عنوان لما ينطوى عليه نفسيته من خير أو شر . ويجب أن يكون مؤثرا فيهم أكثر من تأثره بهم ، وإلا انقلبت الأوضاع وصارت الأمم تحكم من وراء ستار يدير شؤنها من لم تعرفهم وترضى عنهم . والموفق من هداه الله (ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه . والمعصوم من عصمه الله) خ حـ ٢ (القدر) ص ١٤٨

٢٣ ـ وتوفيق الله للحاكم أن يختار حاشيته من الأخيار دليل على رضى الله عنه . فان اختار الأشرار فقد تخلى الله عنه وتركه لنفسه وهواه ، ولسوف يبرأ كل شيطان منه (إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ـ إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه وإذا أراد به غـــير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه)

٢٤ ـ وعلى الحاكم أن يكون بصيرا فى اختيار من يتعاونون معه لأنهم يمثلونه وفى الحديث : (إنا والله لا نولى هذا العمل أحدا حرص عليه)

٢٥ ـ وعليه أن يجتهد فيما يعرض عليه ، باذلا قصارى جهده فى تحرى العدل قدر استطاعته ـ وما عليه جناح بعد ذلك بل هو مأجور أصاب أو أخطأ (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر) خ حـ ٢ (الإعتصام بالكتاب والسنة) ص ١٦٢ .

٢٦ ـ ويجب أن يكون شعار الحاكم ما أعلنه الصديق : الضعيف فيكم قوى حتى آخذ له حقه، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه . ومهمة الحاكم إنصاف المظلوم . وفوق أن هذا واجبه فإن الله يكافؤه يوم القيامة ويعصمه من العثرات . وكل من ساعد مظلوما فله تلك البشارة (من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام) .

٢٧ ـ ومن المروءة إذا علم الناس مظلوما قد يدينه الحاكم لأن الحجة مع خصمه الظالم . والحاكم يقضى بظواهر الأمور فعليهم أن يشفعوا له من أجل تبرئته ، لا يقبلون على شفاعتهم مكافأة (من شفع شفاعة لأحد فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر)

٢٨ ـ وليس للحاكم أن يروع متهما إلا بالحق . وقد اختلفوا فى ضربه . ومما يؤثر عن أقوال الصحابة ما رأيت جورا أشبه بالحق من هذا . وفى الحديث : (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) .

٢٩ ـ وعليه أن يمكنه من الدفاع عن نفسه (من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة) .

٣٠ ـ والذين يتعالون على الناس ويتكبرون عليهم بغير حق أو يترفعون عنهم لما لهم من جاه ، فإنهم لا وزن لهم عند الله (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان)

٣١ ـ والمستهزئون بالناس يفعل بهم كما فعلوا (إن المستهزئين بالناس

يفتح لأحدهم فى الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم - فيجىء بكربه وغمه . فإذا جاء أغلق دونه . ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم - فيجىء بكربه وغمه . فإذا جاءه أغلق دونه . فما يزال كذلك حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم - فما يأتيه من الإياس) .

٣٢ - ولا يصح أن يوقف الحكم على قبيلة دون الأخرى ، كما لا يصح أن يكون المؤهل للولاية كونه من سلالة الوالى السابق - بل يجب تكافؤ الفرص فى مجتمع مفتوح (إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا إنى جعلت نسباً وجعلتم نسباً : فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان - فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم) .

٣٣ - وكم كنا نحكم بالأنساب . وإذا كان الحكم الديموقراطى يقوم على أساس من الإختيار الحر الطليق والخالى من أى استبداد ، فإن الناخبين يجب أن يبتغوا المصلحة العامة بعيدين عن التعصب لحزب أو جماعة ، فالكلمة أمانة يجب أن توضع فى موضعها . وإذا كانت الديموقراطية الحديثة تمنح الغوغاء والحمق حق الإختيار - فإنه ليس من العدل فى رأينا أن يتساوى رأى المفكرين بالسذج من الناس ، وإلا فسوف تكون النتيجة تفوق الأمى على العبقرى ، وفوق هذا أنهم يحدثون شغباً فى وقت يحتاج إليه المرء أن يكون هادئاً يوازن بين المرشحين . وكم نشاهد معارك دامية من أجل الإنتخابات حتى سمعنا من يقول إنها من دسائس المستعمر ، ليوقع الناس فى العداء والشحناء ، وهذا ابتعاد عن الإسلام وتعاليمه (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) خ حـ ١ (العلم) ص ٢٠ .

٣٤ - وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكالب الذى سينسى الناس من أجله دينهم (ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان) .

(٣٥) والذين لا يتحرون الحقائق فيأخذون البرىء والمسىء فقد برأ منهم الله ورسوله (من خرج على أمتى يضرب بارها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بعهد ذى عهدها فليس منى ولست منه) .

(٣٦) وعلى الحاكم أن يكون حليما يعطى للناس من الفرص ما يمكنهم من مراجعة أخطائهم (لا حلم أحب إلى الله من حلم إمام ورفقه ، ولا جهل أبغض إلى الله تعالى من جهل إمام وخرقه) .

(٣٧) وشاورهم فى الأمر ، وأمرهم شورى بينهم ، وأساس الحكم السليم أن يقوم على الشورى — فهى طريق الرحمة بالأمه حيث تقدم للحاكم مجموعة من الآراء تنير له الطريق . وترشده إلى السبيل القويم ، ومن ترك المشورة فسوف يبقى وحده فى متاهة لا مرشد له فيها ولا معين (إن الله ورسوله غنيان عنها . ولكن جعلها رحمة فى أمتى - فمن شاور منهم لم يعدم رشداً ، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا) .

(٣٨) وللشورى قواعد يجب أن تقوم عليها من ابتغاء الحق وإقرار الأكثرية له ، ولا يناقش فى أمر فرغ منه ، وتقويم المعوج ، والإخلاص ، والشجاعة (إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم — فقد تودع منهم)

(٣٩) وعلى الحاكم أن يعود رعيته الصراحة ، وأن يشجعهم على النقد البناء — لا يعاقبهم ولا يؤاخذهم على نقد فيجبنوا (لا يحقرن أحدكم نفسه . قالوا : وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن لله عليه مقالا ثم لا يقول فيه . فيقول الله : ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى) .

(٤٠) ومسئولية الحاكم مقررة شرعا، فيدافع عن أمته و يتحرى مصلحتهم، ويتجنب الأخطار التى تهددهم ، (وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى بها فإن أمر بتقوى الله وعدل فان له بذلك أجرا . وإن قال بغيره فإن عليه وزرا) خ حـ ٢ (الحور) ص ٢١ .

(٤١) ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وعلى الحاكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وعلى الجند والسلطة التنفيذية أن تنفذ أوامره . ويروى أن قائداً أمر جنده أن يدخلوا النار فلم يطيعوه . فنقل ذلك للنبى فقال : (لو دخلوا نار الدنيا ما خرجوا منها إلى يوم القيامه — الطاعة فى المعروف) خ حـ ٢ (غزوة الطائف) ص ٨٧ .

(٤٢) وعلى الحاكم ألا يتجسس على رعيته . ومن تتبع عورات الناس فضحه الله يوم القيامة . ولا تجسسوا واجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم . وما من أمة سلط عليها التجسس إلا شاع فيها النفاق وإخفاء الحقائق ، وأرهقها كبت تتحين فرصة للتنفيس عن نفسها، ولا يصح أن يخلط بين التجسس المشروع على الأعداء والتجسس على الرعية المنهى عنه . وعلى الحاكم أن يقضى بالظاهر (إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)[1] .

(٤٣) ولا يصح أن تتسع صدور الأمة لمهاترات تدور على ألسنة بعض الكتاب من مساواة المرأة بالرجل فى كل شىء ، وإن كان يجوز أن تتولى بعض المناصب — فلا يجوز أن تتولى الولايه العامة (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) خ حـ ٢ (حديث كعب بن مالك) ص ٩٦ .

---

(١) خ حـ ٢ (الطائف) ص ٨٨ .

الموضوع الخامس عشر

(الصلاة ومقدماتها)

(١) تناولت كتب الفقه هذا الموضوع باعتبار الأحكام المتعلقة به من حيث الصحة ، أو البطلان ، أو الأركان ، أو الشروط والسنن وغير ذلك . أما نحن فسوف نتناول هذا الموضوع من حيث الصلة بالحياة الإجتماعية والنظام الإجتماعى وان كنا قد نعرض لبعض الأحكام الفقهية التى تتصل قريبا بالحديث .

ومقدمات الصلاة كالوضوء والمسجد والآذان وغيرها . وأول ما نبدأ به هذا الموضوع ما يمحو الخطايا ويرفع الدرجات. فما أحوج العبد إليهما . وقد أفردنا للصلاة موضوعا لأهميتها وكثرة ما ورد فيها . ولا شك أن تعلق القلب بالله يملأه خير عميم . فاذا انزلت بالمرء نازلة وتوضأ فقد أذهب عنه الشيطان الذى قد يقوده إلى ما يندم .

وقد أقام الله أماكن تعرف بالمساجد لتتلاقى فيها الجماعة المسلمة التى قد تباعد بين أفرادها مشاغل الحياة .

والعمل عبادة ، لكن لا ينبغى أن يستغرق كل وقت الإنسان لئلا تنسيه زحمة العمل صلته بربه وبسائر الناس .

(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) .

وإسباغ الوضوء على المكاره التوضؤ عند نزول المكروه . ولا نميل إلى

أنه استعمال الماء فى البرد الشديد لأن ذلك عسر وحرج ـ وما جعل عليكم فى الدين من حرج . وانتظار الصلاة لا يقتضى الإنقطاع فى المسجد . فإذا خرج لعمله ثم انتظر الصلاة فهو انتظار للصلاة .

(٢) والصلاة فى أى مكان جائزة إلا فى الأماكن التى نص الشارع على كراهة أو تحريم الصلاة فيها : كالمقبرة والمزبلة والسوق وغيرها ، لكن المسجد يسن او يجب صلاة الفرائض فيه (من غدا إلى مسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كما غدا أو راح) خ حـ ١ (الآذان) ص ٥٨ .

(٣) ومن الحرص على الوقار والمحافظة على الهيبة أى يأتى الإنسان إلى الصلاة فى سكينة غير مسرع ولا مهرول فنية المرء خير من عمله ، فليأت إلى الصلاة فى خشوع (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون . وأتوها وأنتم تمشون . وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) خ حـ ١ (بدء الآذان) ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) وليلزم الإنسان السكينة فى كل أحواله (أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالإيضاع) خ حـ ١ (الحج) ص ١١٢ .

(٥) وظن بعض الناس أن ما فى الصلاة من مساواة تفرض على الغنى أن يتحمل أقذار أولئك المهملين الذين يأتون إلى المساجد بثياب ملوثة تنبعث منها رائحة كريهة ، وهؤلاء جهلة بالإسلام وتعاليمه ، وينفرون الناس منهم ـ فإن الصلاة مؤتمر جماعى يتقرر انعقاده . ولابد لمن يحضر ذلك المؤتمر ألا يؤذى غيره على الأقل إن لم يقدم منفعة لغيره . وانظر إلى الحديث فى التأهب للمؤتمر العام الأسبوعى . (لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين

الجمعة الأخرى) خ حـ ١ (الجمعة) ص ٧٠ .

(٦) وعليه ألا يضايق النـاس فى مجالسهم ولا يزاحمهم (خير المجالس أوسعها) .

(٧) وللمحافظة على شعور الجماعة وإحساس أفرادها ، دعا الإسلام المسلم أن يتطهر قبل الصلاة فإنه عبادة ومصلحة للفرد والجماعة (إن أمتى يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) خ حـ ١ (الوضوء) ص ٢٢ .

(٨) وغسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس أركان فى الوضوء فإذا كانت الغرة والتحجيل غسل الوجه والرجلين لأنهما أبرز ما فى الإنسان فقد توضع أقدام من فى الصف الأول فى وجوه من فى الصف الثانى ـ فاعتنى الإسلام بغسل القدمين باهتمام وكـذا غسل سائر الأعضاء . وفى الحديث : (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) .

(٩) والذى يكفر الخطايا هو الوضوء الحسن المستوفى للأركان والشروط (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسـده حتى تخرج من تحت أظافره) .

(١٠) وفى الصلاة أبواب من الخير قد يجهلها البعض ولا يهتمون بها كالجلوس فى الصف الأول ـ للنيل من فضل الله ورحمته . وكالآذان لأنه دعوة إلى الهدى ، وللداعى مثل أجر الفاعل ، وللذهاب إلى الصلاة فى المسجد فى الأوقات التى يشق على المتكاسلين أن يصلوا صلاتهم فى المسجد فى تلك الاوقات (لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا[1] عليه لاستهموا عليه . ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه ،

---

(١) يقترعوا .

ولو يعلمون ما فى العتمه والصبح لأتوهما ولو حبوا[1])خ حـ ١ (بدء الأذان) ص٥٦ .

١١ ـ ولما مثل النبي للصلاة فى تكفير الذنوب لاحظ فى المشبه به أن يكون له صلة بالوضوء الذى هو مظهر للنظافة ، لا يبقى من أقذار عالقة بالبدن شيئاً (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات فهل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) خ حـ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

١٢ ـ وقد أشار إلى أن الحكمة من تكرار الصلاة فى كل يوم هى تذكير العبد بما قد ينساه ، ولو طال نسيانه لربه لا نقطعت صلته به . ولذلك دعا للوقوف بين يديه مراجعة لماضيه وفى معنى الحديث : (إن رجلا أتى النبى وقد أصاب قبلة من امرأة أجنبية فجاء يبكى على خطيئته .فلما صلى فى جماعة مع النبى أنزل الله قوله : إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين) خ جـ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٠

١٣ ـ والصلوات تكفر عن الإنسان الصغائر فقط . أما الكبائر فطريق تكفيرها التوبة منها (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر) .

١٤ ـ وهناك بعض الصلوات يزيد ثواب من حافظ عليها (من صلى البردين[2] دخل الجنة) خ حـ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٣ .

١٥ ـ وقد تسابق البعض فى تشييد المساجد ، مع أن المساجد التى هى أقدم منها فى حاجة إلى ترميم وإلى من يعمرها بالصلاة فيها . فنرى مساجد

---

(١) على أيديهم وأرجلهم . (٢) الصبح والعصر

ضخمة البناء خربة من نفوس مملوءة بالحيوية لا ترى فيها إلا العجزة والعاطلين وما كانت المساجد هكذا . لقد كان مسجد النبى مسقفا بالجريد تمطر السماء فتبلل أرضه ، وربما دخلته الكلاب ولا باب فيه يحجزها ، ومع ذلك فقد خرج ملائكة البشر ومؤدبى الجبابرة وفرسان الميدان . أما اليوم وقد عجز الناس عن بناء النفوس يستبدلون بها إقامة أبنية ثم يتركونها خربة لا أحد فيها يسبح الله . وفى رأينا أنه لا يصح الشروع فى بناء مسجد مالم يضق المسجد القديم بالناس - كى لا نمزق الجماعة ونعرضها لأناس جهلة يؤمونهم فى الصلاة فيفسدون عقائدهم بما ينشرونه من خرافات . فلما جاء قوم يشكون إلى النبى بعد منازلهم عن المسجد قال لهم : (إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم . والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذى يصليها ثم ينام) خ ح ١ (بدء الأذان) ص ٥٧ .

١٦ - والخطوة إلى المسجد ترفع صاحبها درجة وتحط عنه بها خطيئة (بشروا المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) .

١٧ - وترددالإنسان على المسجد وابتغاؤه وجه الله - دليل على أنه من أهل الصلاح (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالجنة) .

١٨ - وإذا فرغ الإنسان من عمله اليومى وذهب إلى المسجد يستحب له أن يمكث فيه حتى يصلى العشاء ، ليعلم حال الجماعة ولينصت إلى المواعظ . وقد سبق أن بينت أن انشغال الرجل بالصلاة وهو فى عمله يعد انتظاراً منه للصلاة التى تليها (لا يزال أحدكم فى صلاة مادامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) خ ج ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٤ بالمعنى .

١٩ - واختلف فى حكم الجماعة فى الصلاة - فقيل هى فرض ، وقيل واجب كفائى ، وقيل سنة . والمؤكد أن الشارع توعد المتخلفين عنها بلا عذر بعذاب

شديد كاد أن ينزله بهم ورماهم بالنفاق (والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم) خ حـ ١ (الأذان) ص ٥٧ .

٢٠ ـ والمنافقون وإن قاموا إلى الصلاة كسالى يراءون الناس ، فإنه يثقل عليهم آداء صلاتين لأنهما يتطلبان مزيدا من الجهد . (ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الصبح والعشاء) خ حـ ١ (الأذان) ص ٥٧ .

٢١ ـ وفى الأعمال فاضل وأفضل. وآداء الصلاة فى وقتها من أفضل الأعمال . وقد سوى الحديث فى الفضل بين آداء الصلاة فى الوقت وبر الوالدين والجهاد ـ لأن فى كل منهما صلة بين العبد ومن له فضل عليه (أى الأعمال أفضل ؟ قال: الصلاة على وقتها . قلت : ثم . قال : بر الوالدين . قلت : ثم . قال : الجهاد فى سبيل الله) خ حـ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

٢٢ ـ وقد جعلت الصلاة مظهراً أولا من مظاهر الإسلام . وقد صح : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) .

٢٣ ـ ومن الأمور التى جعلت الناس يتهاونون فى الصلاة ولا يؤدونها ما أشيع من أن الإسلام يكتفى من المرء بكلمة التوحيد . وإذا لم يأت بسائر الأركان فهو مسلم عاصى ، ولا نميل لهذا الرأى . ولا يوجد مسلم عاصى لأنه اجتماع النقيضين ـ فيكون المعنى مطيع عاصى . ولكن يوجد مسلم تائب . والإسلام كل لا يتجزأ ـ فمن ترك ركنا منه فليس بمسلم ما لم يجدد إسلامه فيأتى بهذا الركن الذى ضيعه ولا حاجة بنا إلى تأويل النصوص الواضحة (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ـ فمن تركها فقد كفر) .

٢٤ ـ والصلاة مظهر من مظاهر النظام : ففيها صفوف معتدلة متراصة مستقيمة ، تتحرك بحركة واحدة صامتة ، تتبع إمامها من غير تخلف

(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها : فقلنا : وكيف تصف ؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون فى الصف) .

٢٥ ـ وليصف الرجال أولا ، ثم الصبيان ، ثم النساء منفصلات بعيدات عن صفوف الرجال (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها . وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها) .

٢٦ ـ ومع هذه التعاليم الدقيقة نرى فى المساجد صفوفا غير مستقيمة ، متبعثرة غير متحدة الحركة ـ فهذا راكع وذاك رافع ، وهذا كله نقص فى الصلاة (سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة) .

٢٧ ـ وأحيانا نجد الإمام عن يمينه واحد وعن يساره أربعون ـ وهذا خروج على النظام . فالمطلوب أن يقف الإمام فى الوسط وأن تكمل الصفوف ـ فمن صلى وأمامه فرجة يمكن أن يقف فيهـا ، فصلاته باطلة فى الراجح (وسطوا الإمام وسدوا الخلل) .

٢٨ ـ وصلاة الفرائض فى المساجد . أما النوافل ففى البيوت بعدا عن الرياء (صلوا أيها الناس فى بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبه) خ حـ ١ (الأذان) ص ٦١ .

٢٩ ـ ومن الصلاة ما تجب أو تستحب بسبب ؛ كدخول المسجد للجلوس فيه (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين) خ حـ ١ (الصلاة) ص ٤٣ .

٣٠ ـ هذا بالنسبة للمكان . أما بالنسبة للزمان فتستحب الصلاة عند تجدد الوضوء . وهى من أفضل الأعمال التى تدخل صاحبها الجنة (يا بلال حدثنى بأرجى عمل عملته فى الاسلام فإنى سمعت دق نعليك بين يدى فى الجنة ؟

قال : ما عملت عملا أرجى عندى من أنى لم أتطهر طهوراً فى ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى)

٣١ - وصلاة الجمعة فرض عين على الصحيح ، شدد الشارع على من تركها (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين) .

٣٢ - وفى يوم الجمعة ساعه يتجلى الله فيها على المتقربين إليه بصالح الأعمال (فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه) خ ح ١ (الجمعة) ص ٧٢ .

٣٣ - وقد أخفاها ليتحراها الناس وليزداد عملهم ، وإن كانت بعض الآثار أشارت إلى تحديدها (هى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة).

٣٤ - وعلى المأموم أن يتبع إمامه لا يسبقه ولا يتأخر عنه . (أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل رأس الأمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار) خ ح ١ (الآذان) ص ٦٠

٣٥ - ولا بد من الخشوع فيها . ولكن يتفرغ القلب لله جاءالحديث : (لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان(١)) .

٣٦ - ومن الناس من يرفعون أبصارهم إلى أعلى وهم فى الصلاة . وهذا مخل بالخشوع . ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم ؟ لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم) خ ح ١ (الآذان) ص ٦٢

٣٧ - ومن الناس من يقف فى صلاته غير ثابت . وهذا يعد انتقاصا

---

١ - الخارجان من القبل والدبر .

من الصلاة (الإلتفات فى الصلاة إختلاس الشيطان من صلاة العبد) خ ج ١ (الأذان) ص ٦٢ .

٣٨ — وعلى المصلى أن يكون فى مكان بعيد عن طريق الناس حتى لا يعرضهم للإثم ، ويعرض نفسه للعبث حين يدفعهم من المرور بين يديه . وعلى الأقل يتخذ لنفسه سترة لا يتجاوز بها مكان سجوده (لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه) خ ج ١ (الصلاة) ص ٤٩ .

٣٩ — ويحرم تكرار الجماعة فى الوقت الواحد وفى المسجد الواحد ، لأن ذلك يمزق الوحدة ويفرق الأمة فى مكان هيىء لتتحد الأمة فيه (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة) .

٤٠ — وليس كل مصلى تقبل منه ، ولكن تقبل ممن أداها كما أمر ، وحملته على الفضائل ونهته عن الرذائل (إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب) .

٤١ — ولا يتنافى مع التواضع أن يذهب الإنسان بثوب نظيف إلى المسجد لحضور الجماعة ، بل ذلك هو الواجب أو المسنون . (ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته) .

٤٢ — وقد سبق أن الوضوء عبادة وإعداد للمسلم ، ليكون فى الجماعة فى مظهر حسن تنبعث منه رائحة طيبة (حبذا المتخللون من أمتى . قالوا : وما المتخللون ؟ قال : المتخللون فى الوضوء ، والمتخللون من الطعام) اما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع . وأما تخليل الأسنان فمن الطعام (إنه ليس شىء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى) .

٤٣ - وليست الصلاة ولا المسجد ولا الإعتكاف بحواجز تمنع العبد من فعل الخير ، بل هى إعداد له وحفز على المسارعة فى كل ماهو نافع ومفيد للناس . كان ابن عباس معتكفا فى مسجد النبى - فدخل عليه رجل مهموم من ديون حل أجلها . فعرض عليه ابن عباس أن يكلم دائنه . فقال له الرجل أنت معتكف وقد حل الأجل ؛ والمعتكف لايخرج من المسجد لمثل هذه الحاجة (فد معت عينا ابن عباس وروى : من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين . ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين)

٤٤ — ومن السنة أن يعود الرجل أبناءه على الصلاة (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) .

٤٥ - ومن تطهر فى بيته واتجه الى المسجد كان زائرا لله . (إن بيوتى فى الأرض المساجد ، وإن زوارى فيها عمارها - فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى ، وحق على المزور أن يكرم زائره) .

٤٦ -وقد سبق أن المساجد يشرع فى بنائها عند ازدحام المسجد ، وعند ذلك فلكل من ساهم فى بنائها أجر عظيم (من بنى لله مسجدا بنى الله له كهيأته فى الجنة) خ جـ ١ (الصلاة) ص٤٤ .

٤٧ - ومن الناس من يشككهم الشيطان فى صلاتهم ، فيلقى فى روعهم أنهم ليسوا على وضوء ، أو أن شيئا خرج منهم نقض وضوءهم . وفى هذا المعنى جاء الحديث : (لاينصرف المصلى حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا) . خ جـ ١ (الوضوء) ص٢٣ .

٤٨ — ومنهم من يصلى مكشوف الظهر والبطن . وصحيح أن عورة الرجل من السرة إلى منتهى الركبة أو هى ستر القبل والدبر . وعلى كل حال

فإن من الأفضل أن يستر الإنسان كل بدنه لأنه من الزينة التى أمرنا أن نأخذها عند كل مسجد أى صلاة . ومن هنا جاء النهى للكراهة (لايصلى أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه شىء) خ ج ١ (الصلاة) ص٣٧ .

٤٩ - ويجوز أن يتقى الإنسان الأذى وهو فى الصلاة بثوب ونحوه (كنا نصلى فيضع أحدنا ثوبه من شدة الحر فى مكان السجود) . خ ج١ (الصلاة)ص ٤٠

٥٠ - وقد جعلت الصلاة دليلا على الإسلام . فلا يصح أن يرمى مصلى بالكفر (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله ورسوله - فلا تخفروا الله فى ذمته)خ ج ١ (الصلاة) ص ٤٠ .

٥١-ومن شك فى صلاته عمل بغالب ظنه أو بنى على الأقل إن لم يكن له ظن راجح . ويستمر فى صلاته ثم يسجد سجدتين بعد السلام أو قبله ، أو إن نقص فقبل وإن زاد فبعد السلام - أقوال للفقهاء (إذا شك أحدكم فى صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين) خ ج ١ (الصلاة) ص ٤ ، ٤١ .

٥٢ - ويجب أن يكون الناس آمنين فى المساجد لايؤذيهم الداخلون بعصيهم أو نعالهم . كما أن الأذى يجب ألا يقع إلا بالحق فى المسجد أو غيره (من مر بشىء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصلها لايعقر بكفه مسلما) .خ ج ١ (الصلاة) ص ٤٤

٥٣ - والمساجد بيوت للعلم والعبادة معا ، لايمنع أحد من أن يسأل فى أى وقت شاء ولو فى خطبة الجمعة (سأل رجل النبى وهو على المنبر ماصلاة الليل ؟ قال : مثنى مثنى) . خ ج ١ (الصلاة) ص ٤٦

٥٤ ــ والصلاة الوسطى قيل هى العصر لحديث : (الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر ماله وأهله) خ حـ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥١ .

٥٥ ــ وقد نهى الشارع عن الصلاة فى أوقات ثلاثة : عند طلوع الشمس، وعند استوائها ، وعند اصفرارها إلى أن تغرب . وهل النهى مختص بالفرائض والواجبات . أو عام يشمل النوافل والسنن . أو يستثنى ما كان بسبب كتحية المسجد ؟ أقوال للفقهاء . لكن من أدرك سجدة قبل هذه الأوقات

فليتم صلاته وإن خالف فى ذلك بعض الفقهاء . وسندنا حديث : (إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته . وإذا أدرك سجدة من صلاة الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتم صلاته) خ حـ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٢ .

٥٦ ـ ومن فاتته صلاة الصبح فليؤذن لها بحيث يسمع نفسه وليقيم ثم يصلى بعد طلوع الشمس وارتفاعها . وليبدأ بالفجر ، ثم يصلى الصبح لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه ناموا فلم توقظهم إلا الشمس . فقال لهم : (إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء . وأمر بالآذان ، ثم صلى بعد ارتفاع الشمس) خ حـ١ (مواقيت الصلاة) ص٥٤

٥٧ ــ والآذان للصلاة إعلام الناس بها . واختلف فى كيفيته ، وحكمه سنة أو واجب بعد الإتفاق على فضله (إنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنى ولا إنسى ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة) خ حـ ١ (الآذان) ص ٥٥ .

٥٨ ـ وقد تعد إقامة الصلاة آذانا ـ لما فيها من إعلام للصلاة لمن فى المسجد . ولذا صح قوله : (بين كل آذانين صلاة لمن شاء) خ حـ ١ (الآذان) ص ٥٦

٥٩ ـ والمتخلفون عن الجماعة زاهدون فى الفضل ، يحرصون على الدنيا

(والذى نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين [١] حسنتين لشهد العشاء) خ حـ١ (الآذان) ص ٥٧ .

٦٠ - وإذا سهى الإمام فعلى المأموم أن يذكره بالتسبيح ، والمرأة تذكر بالتصفيق . هذا إذا كان ذلك ينبهه إلى ما تركه . فاذا لم ينتبه كأن يكون نسى سجدة فسجدوا له ولم ينتبه ، فلا مانع عندى من أن ينبهوه بألفاظ القرآن كقوله : اسجدوا لله - ولا يعد هذا كلاما لأنه من جنس ما يتلى فى الصلاة (من رابه شىء فى صلاته فليسبح فإنه إذا سبح إلتفت إليه وإنما التصفيق للنساء) خ حـ ١ (الآذان) ص ٥٩ .

٦١ - وعلى الإمام أن يخفف فى ركوعه وسجوده بالقدر الذى لايخل بالأركان ، وأن يختصر فى القراءة ويراعى الضعفاء . ومن أراد التطويل فليتنفل وحده وليطل ماشاء حتى لايمل الناس . وفى الحديث : (لولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى يامعاذ) خ حـ ١ (الآذان) ص ٦٠ .

٦٢ - وما يلتزم المسلمون به فى صلاتهم من تسوية الصف وسيلة لوحدة صفوفهم وكلمتهم وأهدافهم - فى الحياة (لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) خ حـ ١ (الآذان) ص ٦١ .

٦٣ - والإمام داع لهم بألفاظ القرآن . وعليه وعليهم أن يؤمنون سرا أو جهرا - قولان (إذا أمن الامام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) خ جـ١ (الآذان) ص ٦٤ .

٦٤ - ولا يصح التشويش فى المسجد برفع الصوت . ولا مانع من رفع الصوت فى ختم الصلاة إن وجدنا غريبا نعلمه كيفية ختمها - وبشرط ألا يكون هناك مسبوق يشوش عليه . وسندنا فى هذا ماروى : (إن رفع الصوت

---

(١) مابين ظلفى الشاه من اللحم أو هما سهمان يتعلم عليها الرمى

بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم) خ ج١ (الآذان) اص ٦٨ .

٦٥ ـ ووقار المسجد وعدم التشويش فيه أمران لازمان خصوصا إذا كانت فيه مواعظ تلقى (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت) خ حـ ١ (الجمعة) ص ٧٢ .

٦٦ ـ والخطبة فى صلاه العيد بعد الصلاة. وأول من خطب قبل صلاة العيد مروان بن الحكم ليستمع الناس له . والخطبة لصلاة العيد سنة فى الراجح . وليس لصلاة الكسوف أو الخوف آذان لحديث : (لما كسفت الشمس نودى : إن الصلاة جامعة) خ حـ ١ (الكسوف) ص٧٨ .

٦٧ ـ وإذا تليت آية سجدة سجدلها ولو كان فى الصلاة،أو نوى بسجود الصلاة سجود التلاوة إن كان السجود للتلاوة سيحدث خللا واضطرابا بين المصلين . وسجود التلاوة واجب فى الصحيح .ومن لم يسجد عند تلاوة الآية يعاقبه الله فى الدنيا أو فى الآخرة . ويروى : (من لم يسجد لآية النجم حين تليت ـ وأخذ ترابا بكفه ووضعه على جبهته وقال : يكفينى هذا قتل كفرا . وهذا معنى الأثر) خ حـ ١ (سجود القرآن) ص ٧٨ ، ٧٩ .

٦٨ ـ ويرخص للمسافر أن يجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء- كل وقتين فى وقت . فيصلى العصر عقب الظهر ، ويصلى العشاء عقب المغرب لحديث : (كان يجمع بين الظهر والعصر إذا كان على ظهر سير ، ويجمع بين المغرب والعشاء) خ حـ ١ (قصر الصلاة)ص ٨٠ .

(٦٩) وعلى الإنسان أن يجتهد حتى يصلي الصبح ولا يضيعها عليه نوم ثقيل . ويروى فى هذا أن علي بن أبي طالب قال للنبي لما سأله لم لم تستيقظ لصلاة الصبح ؟ قال علي : (أنفسنا بيد الله فإذا شاء بعثنا . فانصرف النبي وقال . وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) خ حـ١ (التهجد) ص ٨١

(٧٠) وإذا تنفل العبد فليتنفل وهو نشيط . وإذا غلبه النوم أو التعب فليسترح . وقد دخل النبي فوجد حبلا فى المسجد تربط فيه نفسها إحدى المؤمنات إن غلبها النوم وهى فى الصلاة . فقال : (لا ، حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد) خ حـ ١ (التهجد) ص٨٢

(٧١) ولقد كان يخفف التنفل فى ركعتى الفجر (كان يخفف ركعتى الفجر حتى سألت عائشة هل قرأ بأم القرآن ؟)(١) .

(٧٢) وصلاة الوتر والضحى سنتان مؤكدتان وإن قيل بوجوبهما (أوصانى بثلاث : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر) خ حـ ١ (التهجد) صـ ٨٣

(٧٣) ولا مانع من الصلاة نفلا بعد آذان المغرب وقبل صلاته ويروى: (صلوا قبل صلاة المغرب لمن شاء . قالها ثلاث مرات) خ حـ١ (التهجد) صـ٨٣

(٧٤) والمساجد كلها فى الفضل سواء - إلا المسجد الحرام ، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاه ، والمسجد النبوى فبألف ، والمسجد الأقصى بخمس مائة ، والصلاة فى الروضة الشريفة بالمسجد النبوى فيها فضل كبير (مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة . ومنبرى على حوضى)(٢) .

---

(١) خـ حـ ١ (التهجد) صـ ٨٣

(٢) خـ حـ ١ (فضل المساجد الثلاث) ص ٨٤

(٧٥) وإذا داوم الإنسان على صلاة السنن فلا مانع من قضائها . هذا فى رأيي لحديث : (أتانى ناس من عبد القيس فشغلونى عن الركعتين اللتين بعد الظهر ، فهما اللتان أصليهما بعد العصر) خ ح ١ (السهو) ص ٨٥

(٧٦) ويسن التوجه فى يوم الجمعة إلى المسجد مبكراً ليحصل على مزيد من فضل الله (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول — فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر) خ ح ٢ (بدء الخلق) ص ٣٣ مختصرا .

الموضوع السادس عشر

باقى العبادات

الزكاة

(١) هى فريضة إسلامية لم تشرع لحل مشكلة الفقر ، ولكن تحل مشكلته بالعمل من القادرين عليه ، وإنما شرعت للتعاطف والتراحم ، وهى حق حيث إن المال مال الله فى أصله ، كان مباحا للجميع - لكن الذين عجزوا عن الحصول على حقهم كانوا ضمنا متنازلين لاخوانهم العاملين الذين حصلوا على المال بسعيهم ، فكانت هناك شركة بين العاجزين والقادرين - للعاجز ربع العشر (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذه بلهزمتيه يعنى بشدقيه ثم يقول أنا مالك ، أنا كنزك) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

(٢) ولكى تجب الزكاة يجب أن يتكامل النصاب وأن يحول عليه الحول ، والنصاب محدد فاضلا عن حاجته وحاجة أولاده ، وهو من الفضة مائتا درهم ، ومن الذهب عشرون مثقالا فيهما ربع العشر ، ومن الإبل فى كل خمس شاة ، والبقر والجاموس فى كل ثلاثين بقرة ، ومن الغنم فى كل أربعين شاة (ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

وهو يشير إلى الماليات والحيوان والحبوب ، والوسق ستون صاعا .

(٣) والزكاة تطهير للمال ، ولكى تقبل يجب أن تكون من كسب طيب وهى لاتنقص المال ، بل تنميه وتزيده (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

(٤) وأعظم الصدقة ما أخرجها الإنسان فى شبابه وصحته . (أى الصدقة أعظم ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٧ ،

(٥) ومن أنفق على المحتاج عوضه الله ، ومن أمسك أمسك الله عنه فضله (لا توكى فيوكى عليك) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٨ .

(٦) وتحبون المال حبا جما ، وإن الإنسان لحب الخير شديد ، لكن المنفقين يتغلبون على مافيهم من نوازع تنزع بهم نحو البخل فيتوارى مافيهم من عيوب : أما البخيل فلا يكاد يفكر فى الإنفاق حتى يتغلب عليه الشح فيكبل يديه (مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلاينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٧) وقد أوجب الشارع على كل مسلم صدقة مالية لمن عندهم الأموال أو بدنية ، أو كلامية كالنصيحة ، أو عملية كأن يكون قدوة صالحة ـ فإن هذا كله يعد صدقة (على كل مسلم صدقة . قالوا : فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٩ .

(٨) وتقوم الزكاة على أساس العدل ، فليس للعامل أن يضيف أموالا لا زكاة فيها إلى أموال فيها الزكاة ليكمل النصاب ، كما لايجوز ، أن يأخذ من النصاب شيئا ليعفى صاحب المال (ولايجمع بين متفرق ولايفرق بين مجتمع خشية الصدقة) خ ج ١ (ازكاة) ص ٩٩ .

(٩) وكل مايحتاج إليه الإنسان لازكاة فيه (ليس على المسلم فى فرسه وغلامه صدقة) خ حـ ١ (الزكاة) ص ١٠١

(١٠) ولا يأتى الخير بالشر ، كما لاتجلب الزكاة على صاحبها فقرا ، وفى السنة مثل لهذا : (أو يأتى الخير بالشر ؟ قال : إنه لايأتى الخير بالشر ، وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم (١) إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عـــين الشمس فثلطت وبالت ورتعت) خ حـ ١ (الزكاة) ص ١٠١ .

(١١) وزكاة الزروع العشر ، أو نصف العشر إن كان قد سقى بتكاليف (فيما سقت السماء أوالعيون أوكان عثريا العشر ، وماسقى بالنضح نصف العشر) .

(١٢) ومايحصل عليه الناس من ركاز مدفون فى باطن الأرض لايعرف له مالك ففيه الخمس (العجماء (٢) جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار ، وفى الركاز الخمس) خ حـ ١ (الزكاة) ص ١٠٤ .

(١٣) أما صدقة الفطر فهى على الأعيان(٣) فى الراجح ، خلافا للأحناف فإنهم أوجبوها على من عنده نصاب ، ويستحسن أن تؤدى قبل صلاة العيد وفى معنى الحديث (وأمر بصدقه الفطر أن تؤدى قبل الصلاة) خ حـ ١ (صدقة الفطر) ص ١٠٤ .

(١٤) والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم

---

(١) أى يقرب من القتل .

(٢) أى ما تحدثه البهيمة من جروح فى الانسان ـ فهو هدر لأنها غير مسئولة .

(٣) الأفراد .

وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، وهذا موقف من مواقفهم يوم القيامة (بشر الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم ، يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل) .

(١٥) والزكاة تخضع لتشريع الدنيا ، وللحاكم أن يأخذها ثم يعطيها لأهلها ، وله أن يعاقب مانعيها بإضافة غرامات عليهم فوق الزكاة ، وفى الأثر (من أعطى الزكاة محتسبا فله أجرها ، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا تبارك وتعالى) .

(١٦) ومن فاته عقاب الدنيا انتظره ذلك الوعيد الشديد ، يوقع عليه فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فتحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ـ فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل يارسول الله فالإبل ؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ، ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل : يارسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ـ كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل يا رسول الله فالخيل ؟ قال : الخيل ثلاثة : هى لرجل وزر ، وهى لرجل ستر ، وهى لرجل أجر ، فأما

التي هي له وزر فرجل ربطها رياء وفخرا ونواء على أهل الإسلام فهي له وزر ، وأما التي هي له ستر فرجل ربطها فى سبيل الله ثم لم ينس حق الله فى ظهورها ولا رقابها فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله لأهل الإسلام فى مرج أو روضة ـ فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات ، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ، ولا تقطع طولها فاستنت (١) شرفا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات . قيل : يارسول الله فالحمر ؟ قال: ما أنزل على فى الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) خ حـ ١ (الشرب) ص ١٤٤ ، ١٤٥ مختصرا .

---

(١) قطعت مرحلة .

الموضوع السابع عشر

الصــــوم

(١) الصوم عبادة روحية وبدنية ، ومن أركان الإسلام ، وقد رغب الشارع فيه وتوعد بالعقاب من ترك الفريضة منه . وحرم صوم الأعياد وكره صوم العيد الأسبوعى لحديث ؛ (لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٦ .

(٢) وللصائم جزاء لايحصل عليه سواه (إن فى الجنة بابا يقال له باب الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢١ .

(٣) والصوم تطهير للنفس وإحساس بمراقبة الله وتربية للعزائم .

وقد سبق أنه يحل كعلاج لغير القادرين على الزواج (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) خ ج ١ الصيام ص ١٢٢ .

(٤) والنسيان لايفطر الصائم (إذا نسى فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢٣ .

(٥) ورخص الشارع للمريض والمسافر الإفطار (أفطر النبى عند الكديد وهو مسافر إلى مكة) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢٣ .

(٦) ويحرم صوم الدهر كله لما فى ذلك من مشقة (لاصام من صام الأبد ، لاصام من صام الأبد) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢٥ .

(٧) وكل عمل يمكن أن يفسده الرياء إلا الصوم فإن القيام به لارياء

فيه ، وهودليل على مافى القلب من إخلاص ، ولذا فقد اعتبره الله من خالص عمل المرء لربه ، وكل ما يشعر به الصائم من تعب تعقبة فرحة ـ وهـــذا تصوير صادق للصوم وحكمه (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح وإذا لقى ربه فرح بصومه) خ حـ ١ (الصيام) صـ ١٢١ بالمعنى .

(٨) والذين يصومون يبتعدون عن النار . فى كل يوم يبتعدون عنها جزاء على ما صبروا (مامن عبد يصوم يوماً فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً)(١) .

(٩) والمفروض من الصيام هو شهر رمضان والنذر . ولرمضان فضل عن سائر الشهور (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) خ حـ ١ (الصوم) صـ ١٢١ .

(١٠) وكان النبى يقول عند حلول رمضان وفى كل شهر (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام . ربى وربك الله هلال رشد وخير) .

(١١) ويستحب أن يتسحر الإنسان ليقوى على عمله (تسحروا فإن فى السحور بركة) خ حـ ١ (الصوم) صـ ١٢٣

(١٢) ولا يصح للغنى أن يختصر فى الطاعة على مجرد الصوم ، بل عليه أن يطعم الفقراء الصائمين ليزداد أجره (من فطر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء) .

---

(١) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٧

الموضوع الثامن عشر

الحج

(١) هو من مقررات الإسلام والركن الخامس من أركان الإسلام .
وهو قصد بيت الله الحرام بأعمال وشروط مخصوصة محلها الفقه ، ويظن بعض الناس أنه كلما زاد التعب فيه كان الثواب أكثر ـ وهذا صحيح بالنسبة للمشقة التى تتولد عن الأعمال المشروعة ، أما التعذيب بالمشى فلا لحديث : (إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى ، وأمره أن يركب) خ حـ ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٢) وقال لمن نذر الحج ماشياً وجاء يتهادى بين ولديه ، (فلتركب ولتهد بدنة) خ حـ ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٣) ويجوز الحج عن الغير نيابة ، واختلف هل يجب فى الوكيل أن يكون قد أدى الحج عن نفسه أولا ؟ وهل من فرط فى الأداء وهو صحيح أتنفعه الإنابة وهو مريض ؟ الظاهر أنه ينتفع ، وفى الحديث : (إن أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال نعم) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٥ .

، والصدقة فى معنى الحج ، وجاء حديث بهذا المعنى فى الحج[١] .

(٤) وعلى المسلم ألا يقطع التلبية ويفهم معناها ـ فقد تجرد من الدنيا وأقبل على ربه يقول : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) خ حـ ١ (الحج) ص ١٠٦ .

---

(١) خ حـ ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٥) وإذا عاد الحاج استقبل بالأثر فيقول له مستقبله (حج مبرور وعمرة متقبلة ، سنة النبي صلى الله عليه وسلم) خ حـ ١ (الحج) ص ١٠٨ .

(٦) وإذا نظرنا إلى مايقوله الحاج ويعمله - بدت لنا مظاهر التجرد من الدنيا واضحة ، فإذا عاد فإنه يجب أن يظل صورة عملية مستمرة ليكون قدوة صالحة لغيره ، وبعض الناس يمتنع عن أداء هذه الفريضة نظراً لما يراه من سوء سلوك الحجاج بعد عودتهم - وهذا جهل وإثم كبير ، وما كان العمل المشروع ليرفض من أجل أنه لم يثمر مع فلان وفلان ، فالحج لله على من استطاع إليه سبيلا ، وعن عمر : (لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جندة فلم يحج ، فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين ماهم بمسلمين) .

(٧) ومن الناس من يؤخر الأداء ويكتفى بأنه ينوى - وهذا تأخير فى عمل البر ، بل هو تقصير خصوصا عند من يقول الحج مفروض على الفور ، وفى الحديث : (تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدرى مايعرض له).

(٨) وليعلم المتشدقون بتحكيم العقل فى كل شىء أن فى أعمال الحج اختبارا للقلوب ولمدى الإيمان ، ومتى ثبت فعل النبى له فعلناه ولو لم تستسغه عقولنا ، وحكمنا أن عقولنا محدودة وأنها تدرك وتوقن أن رسالة التوحيد لاتعود بالمرء إلى الوثنية ، ولكن نسأل أنفسنا هل نعبد الله بهوانا ، أو أنه لا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهذا عمر بن الخطاب الفقيه تحدثه نفسه عن الهرولة فى الحج فيقول : (فما لنا والرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شىء صنعه النبى فلا نحب أن نتركه) خ حـ ١ (الحج) ص ١٠٩ .

(٩) والإسلام يقر الخير ولو كان يعمل فى الجاهلية ، (كان العباس يسقى الحجيج فى الجاهلية فلما أسلم استأذن أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل السقايا فأذن له النبى) خ حـ ١ (الحج) ص ١١٠ .

(١٠) ويحرم على الحاج الفسوق والرفث والجدال ، ولا يتعرض لقتل صيد إلا بعض الدواب يقتلن فى الحرم (خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور) خ حـ ١ (جزاء الصيد) ص ١١٧ .

(١١) ومن السنة زيارة المدينة لقبر النبي والمسجد ولما فيها من فضل (أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد) خ حـ ١ (فضائل المدينة) ص ١١٩ .

(١٢) والمدينة دار الهجرة وبلد الأنصار ومأوى المؤمنين ، (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)(١) .

(١٣) والمدينة بلد عصمه الله من الدجال الذى سيظهر فى قرب قيام الساعة (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق) خ حـ ١ (فضائل المدينة) ص ١٢٠ .

(١٤) والوقوف بعرفة هو الركن الأعظم وهو مهبط الرحمة ، فيه يتجلى الله على عباده فيغفر ذنوبهم ويباهى بهم (ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى ، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة) .

(١٥) وفضل الله الذى كان ينزل على النبي وصحابته ممتد إلى يوم القيامة (أتانى جبريل عليه السلام آنفا فأقرأنى من ربى السلام وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات .

---

(١) خ حـ ١ (فضائل المدينة) ص ١٢٠ .

فقال عمر : هذا لنا خاصة ؟ قال النبي : لكم ولسائر الناس ليوم القيامة) .

(١٦) والحج من أفضل الأعمال وأعظم القرب ، فيجب أن يكون بمال حلال ، ليس القائم به مدينا لأحد ، وليستسمح من ظلمه من غير أن يتعرض لتحديد جريمته إن كان صاحب الحق فيها لا يعلمها ، وليتب إلى ربه - فقد تهيأ للقائه ، وفى الحديث : (أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، ثم الجهاد ، ثم الحج المبرور) خ ج ١ (الإيمان) ص ١٠ .

(١٧) وإذا كان الحج فى زمان معلوم فإن العمرة لم تحدد بزمن - وهى الطواف والسعى ، وحكمها سنة (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) خ ج ١ (العمرة) ص ١١٥ .

(١٨) ومن حج مستكملا للشروط والأركان مؤديا ما عليه رجع كيوم ولدته أمه وكان من العتقاء ، ومن حظى بفضل عرفات الذى يقول فيه النبي: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفه) .

(١٩) وما أحسن العمرة إن كان المعتمر صائما ، أو كانت فى رمضان - ففيها من الفضل ما كان يتمناه الإنسان لو تقدم به الزمان ليحج مع خير الأنام (عمرة فى رمضان تعـــدل حجة أو حجة معى) خ ج ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٢٠) وإذا اصطحب الحاج طفلا معه كان الطفل متنفلا ، وكان من صحبه مأجورا (ألهذا حج ؟ قال : نعم ولك أجر) .

(٢١) ويجوز للحاج أن يتجر ، وأن يبيع ويشترى من غير أن تطغى التجارة على أعماله فى الحج (كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا فى المواسم ، فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) .

الموضوع التاسع عشر

الجهاد

١ — القتال شرع فى الإسلام للدفاع لا للهجوم والقهر — فالحرية الدينية منحها الإسلام للجميع ،ولكن قد يضطر لحمل السلاح أى إنسان إن هددت نفسه أو منع من نشر مبدئه الداعى إلى السلام والإصلاح . ولقد عاش المسلمون بضعة عشر عاما يتحملون من الأذى حتى أنزل الله « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » وكل آيات القرآن تشير إلى السبب الذى من أجله شرع القتال . والذين تعلموا من النبى دروس الجهاد قد سألوه للموازنة بين حياتهم التى يعيشونها وحياتهم التى يأملون فيها (يارسول الله أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟ قال : فى الجنة . فألقى السائل تمرات كن فى يده وقال : لئن عشت حتى آكل التمرات إنها لحياة طويلة ، ثم قاتل حتى قتل) خ ج٢ (غزوة أحد) ص ٧٥

٢ — بهذه الروح العالية تلقى المسلمون دروسهم ، وبهذه التوجيهات السامية نشر المعلم دروسه فى صدق وبعد عن الإغراء بالدنيا ، بل كان يعد تلاميذه للحرب فى جهتين حرب ضد عدو ، وحرب على النفس والهوى وسلطان الدنيا (لغدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا ومافيها) خ ج ٢ (الجهاد) ص ١٤

٣ — ولقد كان يعلمهم أن انتظار العدو والاستعداد له أعظم من حياة مليئة بالاستعباد والفساد (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدينا وماعليها ، وموضع صوت أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) خ ج ٢ (الحور) ص ١٩

٤ — والجهاد طاعة لله لاتدانيه طاعة .وللمجاهد أجر ورزق لاينقطع.

وهو معصوم من الفتن التى قد تفسد على المرء دينه (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذى كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان) .

(٥) وقد يظن المفسدون أنهم مجاهدون ، كما قد يظن أعوان الظلمة أنهم مجاهدون . ولكل إنسان أن يدعى أنه مجاهد بعمله . والفيصل بين الحق والباطل هو سبيل الله واعلاء كلمته وأية وجهة تسلك سبيلا غير هذا أو تتجه اتجاها بعيدا عن هذا فليس ذلك بجهاد (رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) .

(٦) وماجاء من فضل للمجاهدين إنما يعنى طوائف معينه ونفوسا محددة . قلوب حركتها إلى الجهاد شعور ومسئولية ، ونفوس حملها على البذل إيمان بالله ورسله هم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه هؤلاء تكفل الله لهم بالأجر وهم قد قبلوا عهده (تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى . فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة . والذى نفس محمد بيده مامن كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيأته يوم كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق ذلك على المسلمين ماقعدت خلف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) .

(٧) هكذا أمنية نبى ورسول ، وإحساس بشعور من حوله . تكاليف مادية هى التى تمنع المسلمين من الخروج فى سبيل الله . (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) يالها من نفوس

طيبة وقلوب مؤمنة جاهدت فى سبيل الله فاستحقت تكريما لا يناله إلا مجاهد ، والحق أن كل طاعة تخف عندما توزن بالجهاد (دلنى على عمل يعدل الجهاد ؟ قال : لا أجده ، ثم قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطع ذلك ؟) خ جـ ٢ (الجهاد) ص ١٤ .

(٨) وإذا كان الجهاد طاعة متواصلة ومن أعظم الطاعات ، فإن الله أفرد له جزاء لم يمنحه لسائر الناس (إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) خ جـ ٢ (الجهاد) ص ١٤

(٩) ومن الناس من يملك المال ، ومنهم من يقدر على حمل السيف ولا مال له — فإذا تعاونا معا كان كل منهما مجاهدا وحده (من جهز غازيا فقد غزا) خ جـ ٢ (الحور) ص ١٧

(١٠) وقد يكون للمجاهد من كان يرعاهم . وكان من الضرورة رعاية مصالحهم حتى يعود إليهم من يعولهم . والقائمون بهذا لهم نصف أجر المجاهدين (أيكم خلف الخارج فى أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج) .

(١١) وإذا انتقل المرء من الدنيا وأراحه الله من شرورها وأدخله الجنة، فلن يتطلع إلى الدنيا إلا المجاهد فإنه يتمنى أن يعود إلى الدنيا ليتكرر استشهاده فينال عند الله بكل شهادة كرامة (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شىء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

(١٢) وذلك الأجر ليس لكل قتيل ، ولكن للصابر الذى احتسب نفسه عند الله — قابل الموت بشجاعة ليس بحريص على الدنيا (إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر) .

(١٣) ولما حزنت امرأة على قتل ولدها قالت للنبى أين ولدى ؟ قال لها : فى الجنة ، فسألت عنها فقال : إنها جنان فى الجنة وأن أبنك أصاب الفردوس الأعلى) خ ج ٢ (الحور) ص ١٦

(١٤) وعندما يرى الشهيد ما أعده الله له لا يحس من وقع القتل إلا بشىء يسير كالخدر الذى تجرى له الجراحة لا يشعر منها بشىء (مايجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) .

(١٥) ومن الناس من يستهين بالحروب ولا يفكر فى آثارها ولا يدرك من مسئولياتها إلا مجرد كلمات فارغة يحمس بها بعض الناس ، فإذا جاءت الساعة كان أول الهاربين وأعلى الناس صياحا وأغزرهم دموعا على ماضاع. وهذا الخلق لم يرب الإسلام عليه أبناءه ، بل خلق آخر يعودهم المسئولية ويدربهم النبى عليه (لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية . فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب أهزمهم وانصرنا عليهم) خ ج٢ (الحور) ص ٢٢

(١٦) والمجاهد قريب من ربه يستجيب منه دعاءه (ثنتان لاتردان أو قلما تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا) .

(١٧) وعلى المهرة المدربين أن يسرعوا إلى حمل السلاح إن دعا الداعى، فإن تأخروا فهم العصاة البعيدون عن الاسلام (من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو فقد عصى) .

(١٨) وإذا كانت الحروب تتطلب كثرة الإنتاج وتوحيد الجهود فإن الإسلام يقرر هذا المبدأ ويوجب التعاون من الصانع والجندى وسائر الأفراد . فكل من يحتسب بعمله ويرجو به رضوان الله فهو شريك

فى أجر المجاهد (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ـ صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ومنبله) .

(١٩) ولقد كان النبى يحمس الناس ويذكرهم بأمجادهم (ارموا بنى لحيان فإن أباكم كان راميا) خ جـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

(٢٠) والجهاد ضريبة على كل مسلم قادر عليه ، فإذا انقضت حياته ولم يشترك فى الجهاد إن كان هناك باب للجهاد ، وإن لم يكن فلا أقل من أن يكون مستعدا إليه مجندا نفسه من أجله ، وإلا فإن حياته لم تكن كحياة المؤمنين (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق) .

(٢١) والمتأخرون بسبب الأعذار لهم من الأجر كما لو اشتركوا فعلا لأنهم ما منعهم إلا العذر والله أعلم بهم (إن بالمدينة لرجالا ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض) خ جـ٢ (الجهاد)ص١٧ .

(٢٢) والواقفون فى ميدان القتال تختلف وجهاتهم ، وثواب المرء على ما يعمله وينوى عليه ويخلص فيه (يارسول الله : الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ـ فأى ذلك فى سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) خ جـ ١ (العلم) ص ٢١ .

(٢٣) ولقد عودهم النبى أن الجهاد ليس نزهة بحرية أو رياضة بدنية ـ بل علمهم أن حرص المجاهد على الحياة ينقص من أجره ، وأن موته أنفع له وأحفظ لكرامة أمته وأبقى لكرامة دينه (مامن غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثى أجرهم ، وما من غازية أو سريه تخفق وتصاب إلا تم لهم أجرهم) .

(٢٤) والجهاد سياحة الأمة (إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل) .

(٢٥) وكما يكون بالنفس يكون بالمال وباللسان ، كل حسب طاقته (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) .

(٢٦) وتجب الكياسة فى الحرب (الحرب خدعة) خ ح ٢ (الحور) ص ٢٤ .

(٢٧) وكل من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، وهناك آخرون شهداء لم يقتلوا فى سبيل الله (ما تعدون الشهداء فيكم ؟ قالوا : يارسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد قال : إن شهداء أمتى إذن لقليل . قالوا : فمن ؟ قال : من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات فى البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد) .

(٢٨) ويجب الدفاع عن المال وتقرير حق الدفاع الشرعى ، ومن أصيب وهو يدافع عن حقه فهو شهيد (أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك . قال : أرأيت إن قاتلنى ؟ قال : قاتله . قال : أرأيت إن قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد . قال : أرأيت إن قتلته . قال : هو فى النار) .

(٢٩) والحقوق التى يجب الدفاع عنها هى الضرورات (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) .

(٣٠) ولا يسمو القتال بصاحبه إلا حين يخلص العمل لله غير ملتفت إلى شهرة ولا إلى منصب ، وهكذا لا يثمر العمل إلا إن كان خالصا لله (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها . قال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت ، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على

وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ـ قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء ـ فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وآتاه من أصناف المال ثم أتى به فعرفه نعمه فعرفها ـ قال فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك أعطيت ليقال جواد . فقد قيل ـ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار) .

(٣١) فإن لم يبغ شهرة ولكنه اشتهر من غير تدبير منه ولاسعى إليها فشهرته بشارة له (أرأيت الرجل الذى يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرى المؤمنين) .

(٣٢) ولنساء المجاهدين حرمة على القاعدين كحرمة أمهاتهم فى وجوب تكريمهن وتساوى ظلمهن بالظلم الواقع على الأمهات ، وخيانة المجاهد فى أهله تجعله يأخذ من خائنه كل حسناته عند الله (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم . مامن رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة يأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى . ثم التفت النبى وقال : ما ظنكم) .

(٣٣) وللشهيد من التكريم ماليس لسواه . فيروى أن عبدالله بن حرام والد جابر بن عبد الله لما قتل ونقلوه قال النبى لهم : (مازالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

(٣٤) وللقتال نظام يجب أن يتبع ، وكله يوحى بمعانى الإنسانية ، فلا يصح باسم الحروب تجاهل الإنسانية والرحمة (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه) خ حـ ١ (العتق) ص ١٥٢ .

(٣٥) وقد عرف الإسلام نظام المخابرات واستعمله فى الحروب ضد الأعداء ليتعرف على قوتهم (من يأتينى بخبر القوم يوم الأحزاب ؟ قال الزبير أنا . قال النبى : إن لكل نبى حواريا وحوارى الزبير) خ حـ ٢ (الحور) ص ١٨ .

(٣٦) وأشار إلى وسائل كسب الحرب من إعداد العدة كل زمان وما يتناسب له : وكانت الخيل تساوى عندهم المدرعات فأشار إليها (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة - الأجر والمغنم) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٨ .

(٣٧) وكانت المرأة تجاهد فتقوم بعمليات التمريض ويعرف لها الصحابة حق قدرها - فقد قال عمر (أم سليط أحق بالمرط من بنت بنت النبى . إنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٩ .

(٣٨) وعن الربيع بنت معوذ (كنا نغزوا مع النبى نسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٩ .

(٣٩) وكان النبى يعد العدة ويأخذ الحيطة (كان سهرا فقال: ليت رجلا من أصحابى صالحا يحرسنى الليلة إذا سمعنا صوت سلاح . فقام سعد بن أبى وقاص بالحراسة) خ حـ ٢ (الحور) ص ١٩ .

(٤٠) وكان لا ينسى المواقع التى انتصر فيها والتى انهزم فيها ، إن مر عليها عاد إلى ذاكرته النفر الذين بذلوا أرواحهم معه . كان يقول عن أحد (هذا جبل يحبنا ونحبه) خ حـ ١ (الزكاة) صـ ١٠٣ .

(٤١) وللمجاهد أن يفطر فى رمضان ليقوى على العمل ولينال الأجر (كانوا فى الجهاد فقال النبى : ذهب المفطرون اليوم بالأجور)(١) .

---

(١) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٩ .

(٤٢) ولا يدرى أحد بعد الأخذ بالأسباب مقدار الصلة بين تلك الأسباب ونتائجها ، لكن على المحارب ألا يحتقر أحداً معه فلعله أن ينتصر به ، وفى الحديث : (إبغـونى فى ضعفائكم ـ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٩ .

(٤٣) وقد تنبأ النبى بما ستكون عليه الجيوش الإسلامية فقال مبشراً : (أول جيش من أمتى يغزون فى البحر قد أوجبوا ، وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم)[١] .

(٤٤) ومن قواعد الحرب فى الإسلام أنه لا يحارب إلا المحارب دون تعرض للمسالمين ، وفى الحديث (أنكر النبى قتل النساء والصبيان)[٢] .

(٤٥) إلا إذا اشتركن فى الحرب فيجوز أسرهن ، وقد كانت المرأة تقوم بدور فعال كما سبق ، وفى الحديث : (ما تلفت يمينا أو يسارا إلا رأيتها أى نسيبة بنت كعب المازنية تذود عنى) .

(٤٦) وشاركت نسيبة فى حرب اليمامة وفقدت ذراعها وأنفق أبو بكر عليها حتى ماتت ، وكانت المرأة تساهم لتنال الشهادة وتحظى بفضل الشهداء الذين جاء فيهم . (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا) .

(٤٧) ولما كانت غزوة أحد واستشهد فيها سبعون وتساءل الناس عن مصير الشهداء قال لهم النبى : (لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم

---

(١) خ حـ ٢ (الحور) صـ ٢٠ .
(٢) خ حـ ٢ (الحور) صـ ٢٣ .

قالوا : من يبلغ عنا أننا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهـــدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، قال : فأنزل ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(٤٨) وفى سرية مؤتة عندما أصيب القواد الثلاثة : زيدبن حارثةوجعفر، وعبد الله بن رواحة - قال النبى عنهم : (رأيتهم يرفعون إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ورأيت فى سرير عبد الله بن رواحة إزورارا عن عن سريرى صاحبيه فقلت مم هذا ؟ فقيل لى مضيا تردد ثم مضى) .

(٤٩) ولقد كان يهتم بأسر الشهداء ويرعى أبناءهم ويقول فى دعائه لهم . (اللهم أخلف جعفرا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه . وقال لزوجته : العيلة تخافين وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة) .

(٥٠) ثم أخذ يقول لأسر الشهداء ويصف أحوالهم (ما يسرهم أنهم معنا . أجل إن الأجر الذى صاروا إليه أحب لنفوسهم وأقر لعيونهم من الدنيا وما فيها ومن فيها ، أما أسرهم ففى كنف الله وهـــو نعم المولى ونعم النصير) .

الموضوع العشرون

القرآن

(١) هو دستور الأمة ، والمصدر الأول لتشريعها ، ندب الشارع إلى حفظه ، وكرم الله المستمسكين به الواعين له ـ فهم واحد من طوائف ثلاث أجلهم الله (إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم ، وحاملى القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط) .

(٢) ولقد كان العمل بالقرآن مسوغا للتفضيل ومقدما لصاحبه حتى فى الآخرة ، ويروى أن النبى كان يسأل عن قتلى أحد ويقول : (أيهما أكثر أخذا للقرآن ـ ليقدمه فى اللحد يوم أحد) (١) .

(٣) ويجب قراءته فى الصلاة ، ويستحب قراءته فى غير الصلاة ، فإن التلاوة وسيلة للتدبر وطريق للحصول على الأجر ، (اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه) .

(٤) والمعول عليه هو العمل بما فيه وليس مجرد ترداده . فقد يكون حجة على التالى الذى لم يعمل ، أما العاملون به فإنهم يجيئون يوم القيامة تدافع عنهم آيات كانوا يعملون بها فى الدنيا (يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجان عن صاحبهما) .

(٥) ولكل إنسان أن يقرأ من القرآن ما شاء ، لا يمنعه عدم تجويده أو تعثر فى القراءة ـ فإنه مأجور ، ويحاول أن يتعلم فلا يصد ، (الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) (٢) .

---

(١) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩١

(٢) خ جـ ٢ (تفسير القرآن) صـ ١١٤ .

(٦) وللإيمان حلاوة وللقرآن ريح طيبة ، وفى معنى الحديث : (مثل المؤمن الذى يقرأ كالأترجة طعمها حلو وريحها كذلك ، والمؤمن الذى لا يقرأ كالتمرة طعمها حلو ولا ريح لها والمنافق الذى يقرأ كالريحانة طعمها مر وريحها طيب ، والمنافق الذى لا يقرأ كالحنظلة لاريح لها وطعمها مر) (١) .

(٧) ولقد كان القراء يحسون بمشاركة الملائكة تستمع لما يقرءون وهذا قارىء كان يقرأ سورة الكهف فرأى سحابة أظلته ، فسأل النبى فقال : (تلك السكينة تنزلت للقرآن) خ ج ٢ (إسلام أبى ذر) صـ ٥٤ .

(٨) وللقارىء أجر عن كل حرف يقرؤه لا يحده عدد ، ولا حرج على فضل الله (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف واللام حرف والميم حرف) .

(٩) والقرآن غذاء روحى ، إذا خلا القلب منه اعتراه الذبول (إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب) .

(١٠) وكلما قرأ حرفا ارتفع به منزلة عند ربه (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت تتلو فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) .

(١١) ومن الكبائر أن يحفظه إنسان أو يحفظ شيئا منه ثم لا يردده فيضيع منه (تعهدوا هذا القرآن ، فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها) خ ج ٢ (فضائل القرآن) صـ ١١٧ .

(١٢) ورتل القرآن ترتيلا بإخراج الحروف من مخارجها ، والتزام قواعد التجويد ، والخشوع ، وتحسين الصوت (ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) .

---

(١) خ ج ٢ (فضائل القرآن) صـ ١١٧ ، ١١٨ .

(١٣) وللقرآن فضل ، ولبعض الآيات فضل (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه) خ ج ٢ (المغازى) ص ٧٣ .

(١٤) ويجب صيانة المصحف فلا يعرض للإستهزاء به (نهى أن يسافر بالقرآن لأرض العدو) خ ج ٢ (الحور) ص ٢٣ .

(١٥) ومن يستطيع أن يقرأ القرآن بتجويد فقرأه بغير تجويد فقد وقع فى الحرام (اعترض ابن مسعود على قراءة بغير مد للفقراء فى قوله تعالى : إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية ، وأنكر على القارىء قراءته بغير مد) .

(١٦) وتعلم القرآن وتعليمه من صالح العمل (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ .

(١٧) والقرآن لا تنتهى عجائبه ومعين من المعانى لا ينضب ـ كلما ازددت فيه قراءة انكشف لك كما لو كنت لم تقرؤه من قبل ، والمهم العمل (القرآن شافع مشفع وما حل مصدق ، من جعله أمامه قاده ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار) .

(١٨) وينتفع الوالدان من قراءة ولدهما ، لأن الولد امتداد لوالديه (من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا ؟) .

(١٩) والتلاوة تدريب للسان على النطق الصحيح (عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض ، وذخر لك فى السماء) .

(٢٠) وعلى الحامل للقرآن أن يكون عزيزا به ، لا يقرؤه فى مكان لا يستمع القرآن فيه ، ويؤسفنا أن نرى أولئك الذين يقرءونه فى الطرقات ويزهدون الناس فى القرآن بعرضهم الرخيص والبذىء ، هدانا الله وأعزنا بالقرآن (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ،

ولا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله) .

(٢١) ويحتوى القرآن على كنوز من المعارف يشير إليها باشارات دقيقة وكل قارىء يأخذ نصيبه بقدر استعداده ، وهذا وصف للقرآن ممن نزل عليه القرآن : (إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع ـ عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعـــوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات) .

(٢٢) وللقرآن قوم تخصصوا فى أحكامه ، وهم أدرى الناس بها ، فيجب الرجوع إليهم عند الحاجة (استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل) (١) .

(٢٣) ولمجلس القرآن آداب يجب أن تراعى ، وكلما زاد الخشوع كثر عدد الملائكة المستمعين ، وقد قال النبى لقارىء حسن الصوت : (تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) خ جـ ٢ (فضائل القرآن) صـ ١١٦ .

(٢٤) ولعوامل دخيله على الإسلام استهان البعض بمن يعلمون القرآن . مع أنهم من خيرة الناس وأفضلهم (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) خ جـ ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٥) ومن الناس من يتلاعب بالقرآن ، يظهر مايؤيده ولا يهتم بما يعارضه ومنهم من يستدل بالقرآن ولا يعمل به فى نفسه ـ هؤلاء لا يؤثرون كثيرا فى غيرهم ، ولكن حين يظهر النفاق منهم ويخدعون البعض ويضللون باسم

(١) خ جـ ٢ (فضائل الصحابة صـ ٦٠) .

الدين ـ فهنا تبدو خطورتهم واضحة ، يحذرنا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : (يخرج فيكم قوم تحتقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر فى النصل (١) فلا يرى شيئا ، وينظر فى القدح (٢) فلا يرى شيئا ، وينظر فى الريش (٣) فلا يرى شيئا ، ويتمارى فى الفوق)(٤) خ ج ٢ (فضائل القرآن)ص ١١٧ .

(٢٦) ويجب الاستماع والإنصات ـ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، ومن الناس من ينصرف عن الإستماع بذهنه ، ولو أنه إنصرف أو اسكت القارىء إن لم يكن غيره يسمع معه ـ لو أنه فعل ذلك لكان أقل شرا من سماع ، والقلب فى شرود بعيد عن التدبير عن التدبر (اقرءوا القرآن ماتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه) خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٨ .

---

(١) جزء من السيف أو السهم .

(٢) ما يشرب فيه .

(٣) مايلزق على السهم .

(٤) يتشكك فى النصر .

الموضوع الحادى والعشرون

الكذب

(١) لما كان الكذب يتنافى مع الإيمان أفردت له موضوعا أشير إليه لبيان خطورة الكذب . وأول مانفتتح به هذا الموضوع الظن الذى يدور بخلد بعض الناس فيظنون السوء من غير مبرر ، وهذا من الكذب (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) خ حـ ٢ الأدب ص ١٤١

(٢) وكل ما يشكك الإنسان من غير أمارات على التشكك فيجب طرحه حتى لا يعيش الإنسان فى قلق ، وعلى الإنسان أن يسلك كل سبيل مستقيم لاشبهة فيه (دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) .

(٣) ويمكن أن تجتمع بعض الخصال المذمومة فى نفس المؤمن ولاتخرجه عن الإيمان ، ولكن توجد خصلتان لاتجتمعان مع الإيمان (يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب) .

(٤) والكذاب لا يدخل الجنة لأنه ليس بمؤمن — إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله : وفى دركة الكذاب الزانى الذى لم يتب والمغرور الذى لا يعرف قدر نفسه (ثلاثة لا يدخلون الجنة : الشيخ الزانى والإمام الكذاب والعائل المزهو) .

(٥) وكلما زاد الضرر المترتب على الكذب زاد خطره . ومن أكذب الكذب — الكذب على رسول الله لما فى ذلك من خداع (إن كذبا على ليس ككذب على أحد : فإن من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٨٨

(٦) ومن هذا الباب كذب الأدعياء المنتسبين للعلم الذين ينشرون الباطل ويلبسون الحق به وقد حذرنا النبى صلى الله عليه وسلم مما يقولون

(يكون فى آخر أمتى أناس دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فاياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم) .

(٧) وقد يتهاون المرء فى كلمة لا يظنها من الكذب وهى منه . وهذه امرأة تعد طفلها بتمرة فيقول لها النبى (لولم تعطه تمرة كتبت عليك كذبة).

(٨) والكذب يحاسب عليه الإنسان باعتبار ما يترتب عليه من ضرر (إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذبية كذبية) .

(٩) ومن الناس من يلهو ويطلق الكلمة بالباطل يريد أن يضحك بها الناس وهو لا يدرى أنها كتبت عليه وسجل عليه أثم الكذب (ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ويل له) .

(١٠) ومن الناس من يستغل طيبة قلوب بعض الناس فيخدعهم ويصدقونه ، زاعما أنه استحوذ عليهم وامتلك قلوبهم وهو فى الحقيقة عند الله خائن كذاب (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب) .

(١١) وقد يخاف المؤمن ويجبن ، وقد يحرص ويبخل من غير نقصان للفرائض التى افترضت عليه ، ومع ذلك البخل والجبن يعد مؤمنا ، لكن إذا كذب إنسلخ من الإيمان (يارسول الله : أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم . أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم . أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : لا) .

(١٢) والصدق مع الله .والإقبال عليه بقلب سليم يحقق للإنسان مانواه باخلاص ولو لم يبلغه بعمله (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

(١٣) ولقد دعا الإسلام المسلم ليصلح بين الناس ، وتجاوز الله عما يقوله المسلم يريد به الإصلاح ولو كان فى صورة تخالف الواقع ، حرصا على أزالة الضغائن وتأليف القلوب (ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيرا) خ ج ٢ (الاصلاح) ص ٦

الموضوع الثانى والعشرون

الجزاء

(١) للإسلام وسيلتان يحقق بهما العدل :

ا — التوجيه .		ب — التشريع

والتوجيه هو حديثنا فى هذا الموضوع . ومن المعلوم أن الناس يندفعون إلى العمل للحصول على مكافأة من ورائه ، أو يحجمون عن عمل خوفا من عقاب عليه . وكل تكاليف الإسلام تخضع لهذا القانون الثواب والعقاب .

ولقد أقام الإسلام تشريعات عادلة تطبق على أناس يسهل ضبط أعمالهم وإثباتها عليهم من غير تجسس ، وحينئذ يطبق عليهم تشريع الدنيا الذى قرره القرآن وبينته السنة ، وتوجد بعض الأعمال لا تخضع للإثبات أحيانا كالكذب غير المادى والإفطار فى رمضان سراً — فلمثل هذه الجرائم عقاب أخروى . وإذا نظرنا إلى الحركة الكبرى التى قام بها النبى لجعل من عرب الصحراء عباقرة ومفكرين، ومن متكالبين على الدنيا إلى راغبين فى الآخرة، ومن كفرة بربهم إلى مؤمنين به وبكل فضيلة . إن سر هذا الاندفاع لم يكن لإغراء مادى فى الدنيا ، ولم يكن خوفا من عقوبات تنفذ عليهم — ولكن سر هذا لما استقر فى ضمائرهم بفضل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما فهموه من أن الدنيا قصيرة والآخرة فيها حياة مديدة والله عادل ، فإذا انتهت الدنيا على مافيها من ظلم وانطوت معها الحياة عندئذ لم يتحقق عدل الله — فكان من الضرورى إقامة حياة أخرى يأخذ كل حقه فيها ، وعلى الجميع أن يذكروا أن طريق النار مفروش بالإغراءات وأما طريق الجنة فمحفوف

بالصعاب التى يتحتم على المؤمن أن يتغلب عليها . (حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره)(١) .

(٢) والنعيم المقيم الذى يحصل عليه الإنسان فى الجنة أو العذاب المقيم فى النار — ليس هذا أو ذاك فى غير مقدور الإنسان ، بل كلاهما يمكن تحقيقه بمجرد فعل خير أو شر (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك) خ حـ ٢ (الإستئذان) ص ١٤٥

(٣) ولو أن كل إنسان استغل كل وقته ومقدرته لتنمية الخير ما كان هناك خوف رهيب من الأشرار. (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٤) ولماذا يتكالب الإنسان على الدنيا وقد علم من آمن به أن الإنسان يخرج منها كما دخل فيها ؟ وأن كل ما افتقده فيها من أجل ربه يعوض بخير منه ، وكل ما أخذه لها وهو مغضب لربه سوف يؤخذ منه ويعاقب عليه بالنار ، لافارق فى هذا العدل بين كبير وصغير أو صحابى لرسول الله أو غيره (إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين . ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة ابراهيم صلى الله عليه وسلم،ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابى ؟ فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .فيقال لى : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩

---

(١) خ حـ ٢ (الاستئذان) صـ ١٤٤ ، ١٤٥

(٥) وللقضاء على الكبر والغرور والجبن ،ولنشر التواضع والإخلاص للخالق — وعد بالجنة وأوعد بالنار (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) صـ ١١٤

(٦) وللموازنة بين دار الأخيار والأشرار ليتعظ الناس يقول : (احتجت الجنة والنار فقالت النار : فى الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة : فى ضعاف الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابى أعذب بك من أشاء — ولكليكما على ملؤها)[1] .

(٧) وقد يتساءل الإنسان عن النار وعن أحوال المعذبين فيها ، ولبيان الحقيقة وتبصرة الغافلين ولئلا يتساهل أحد فى عمل يدخله النار بعد ويقول إن العذاب على هذا العمل قد لا يضر كثيراً . فيقال له ولأمثاله : (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه — ما يرى أن أحداً أشد منه عذابا ، وإنه لأهونهم عذابا) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧

(٨) وللمحاكمة عند الله موقف يتصبب فيه الإنسان عرقا من هول مايراه (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم) خ جـ ٢ (الاستئذان صـ ١٤٦)

(٩) ولن ينصرف أحد من مكان المحاكمة حتى يسأل عن كل نعمة منحت له (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه) .

---

(١) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) صـ ١١٢

(١٠) والله لا يضيع عمل عامل آمن به أوكفر ، ولكن جزاء الكافر في الدنيا وجزاء المؤمن فى الآخرة ، وقد يكون فى الدنيا (إن الكافر إذا عمل حسنه أطعم بها طعمة من الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله تعالى يدخر له حسناته فى الآخرة ويعقبه رزقا فى الدنيا على طاعته) .

(١١) والإيمان ليس مجرد كلمة ولا الإسلام مظهر ، ولكنه طاعة واخلاص ، والمؤمنون قليل (أترضون أن تكونوا ربع اهل الجنة ؟ قلنا : نعم قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : والذى نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر) .

(١٢) وليست الجنة مجرد دار يعيش المنعم فيها ، ولكنها حوت من المتع ما يحدثنا عنها من رآها (الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وإنها قيعان ، وإن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) .

(١٣) وعلى الإنسان أن يستعين بربه بكلمة هى من كنوز الجنة (لاحول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة) خ حـ ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١

(١٤) والحياة الآخرة جزاء بعد المحاكمة العادلة التى يقضى الله بها بين عباده ، ولهذا فقد وجب أن يسدد الإنسان ما عليه كى لا تبقى فى عنقه مظلمة لأحد (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أومن شىء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم — إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) خ حـ ١ (المظالم) صـ ١٤٨ .

(١٥) وأول مايقاضى الإنسان عليه القتل (أول مايقضى بين الناس يوم القيامه فى الدماء) خ جـ ٢ (الاستئذان) صـ ١٤٦ ، ١٤٧

(١٦) ولقد وعد الله المؤمنين بالجنة ولايتصورها العقل على حقيقتها ومعرفتها تحصل عن طريق السمع الصحيح ـ وتلك طائفة من الأحاديث التي تبين أحوال أهل الجنة وماهم فيه من نعيم . (يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولايتغوطون ولايتمخطون ولايتبولون ، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥ .

(١٧) ويستحيل أن يدرك الإنسان كنه نعيم الجنة (أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٩

(١٨) (ومجامرهم الألوة عود الطيب . أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء) خ جـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(١٩) (ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لااختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(٢٠) (وقال موسى يارب فأعلاهم منزلة . قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها) .

(٢١) (إن للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة فى الجنة ، طولها فى السماء ستون ميلا . للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولايرى بعضهم بعضاً) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣

(٢٢) (إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة مايقطعها) خ جـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(٢٣) (إن أهل الجنة يتراءيون أهل الغرف من فوقهم كما تراءيون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهما . قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥ ، ٣٦

(٢٤) (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً) .

(٢٥) (إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن . فيتمنى . ويتمنى . فيقول له : هل تمنيت ؟ فيقول : نعم . فيقول : فإن لك ماتمنيت ومثله معه) .

(٢٦) (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى ياربنا وقد أعطيتنا مالم تعط لأحد من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧

(٢٧) (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته) خ حـ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥١

(٢٨) (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم) .

(٢٩) وإذا كانت الجنة كما وصفت لنا ، ففى النار أهوال تذيب القلوب

(إن لله ملائـكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها)

(٣٠) وعلى العاقل أن يغتنم أوقات العافية فيصل فيها ربه ليصله فى وقت الشدة (إغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك).

(٣١) فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره والناس يجزيون بأعمالهم : لـكن قد يغلب الشر أو يغلب الخير فيغفر الله أو يعذب ثم يعفو . (يدخل أهل الجنه الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد أسودوا ، فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل . ألم تر أنها آخرها صفراء ملتوية)(١) .

(٣٢) وكل قول له صدى فى قلب صاحبه فإنه ينجه من العـــذاب (يخرج من النار من قال لاإله إلاالله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ووزن برة ووزن ذرة) خ جـ١ (الايمان) ص ١٢

(٣٣) وكل امرىء يستره عند الله مقدار تدينه ، وفى الحديث : (بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها مايبلغ الثدى ومنها مادون ذلك . وعرض عمر وعليه قميص يجره . قالوا : فما أولت ذلك؟ قال: الدين) خ حـ ١ (الايمان) ص١٠

(٣٤) ولقد ذكرنا النبى بسؤال القبر ، ليعلم الإنسان أنه قد انتهى منه حياة لاحساب فيها ودخل فى حياة أول لحظة منها الحساب والمناقشة (وأوحى

---

(١) خ حـ ١ (الايمان) ص ١٠

إلى أنكم تفتنون فى قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال . يقال ماعلمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد رسول الله ،جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبناه وتبعناه ـ هو محمد ثلاثا . فيقال : نم صالحا قد قد علمنا أن كنت لموقنا به . وأما المنافق أو المرتاب فيقول لاأدرى ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته)(١) .

(٣٥) والموفق يثبته الله . والإجابة الصحيحة عن سؤال القبر تعتمد على العمل لا على العلم ـ فكم من عالم يتخبط وكم من أمى يجيب (إذا أقعد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد ألا إله إلا الله محمد رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٣ .

(٣٦) والأموات يحسون بالعذاب ، كما يحسون فى كل مايوجه لهم من أهل الدنيا (يارسول الله أتدعو أمواتنا ؟ قال : ماأنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٣

(٣٧) وينكشف عن الميت الغطاء حين يموت ، ويعلم ما كانت تحجبه عنه الدنيا (إنهم ليعلمون الآن أن ماكنت أقوله لهم حق ، وقد قال الله إنك لاتسمع الموتى) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٣

(٣٨) ولقد أحس النبى بتعـــذيب بعض من فى القبور (خرج وقد وجبت الشمس ، فسمع صوتا فقال : يهود يعذبون فى قبورهم)(٢) .

(٣٩) وإذا مات العبد أراه الله مكانه لو أحسن ، ودركته لو أساء ـ ليزداد المحسن فرحا ويزداد المسىء حسرة . (وإن أحـــدكم إذا مات

---

(١) خ حـ١ (العلم) ص ١٧

(٢) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٣

عرض عليه مقعده بالغداة والعشى : إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) خ حـ ١ (الجنائز) صـ ٩٣ .

(٤٠) والأطفال لا يعذبون . وأبناء المشركين سئل عنهم النبي فقال : (الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين) خ حـ ١ (الجنائز) صـ ٩٣ .

(٤١) وهذه أحوال بعض الناس المعذبين رآها النبي فى منامه . ومعناه : (رأيت رجلين أخرجانى إلى الأرض المقدسة إذا برجل يشق فاه بحديدة ، وآخر يضرب رأسه بحجر ، وجماعة فى تنور ضيق أعلاه وواسع أسفله وفيه نار ، ورجل قائم فى نهر من دم يرمى بحجارة فى فيه ، وروضة فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان ، ورجل قريب منها يوقد نارا ، فصعدا بى وأدخلانى دارا لم أرى أحسن منها - فيها جماعات ، وأدخلت أخرى أفضل - فيها شيوخ وشباب ، قلت أخبرانى عما رأيت ؟ قالا : نعم ، الأول الكذاب ، والثانى من علم القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به فى النهار والثالث الزناة ، والرابع آكل الربا ، والشيخ إبراهيم ومن معه أولاد الناس حوله ، ومن أوقد النار مالك خازن النار ، والدار الأولى لعامة المؤمنين ، والأخرى للشهداء ، وكلانا جبريل وميكائيل ، فارفع رأسك ، فرفعته فإذا بمثل السحاب فوقى ، فقالا : منزلك ، قلت دعانى أدخله ، قالا : إنك بقى لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته أتيت منزلك ، والمعذبون على حالهم إلى يوم القيامة) خ حـ ١ (الجنائز) صـ ٩٤ . بالمعنى

(٤٢) وكل إنسان يجب أن يأخذ ماله ويدع ماليس له ، فإن أخذه سئل وعذب (من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين) خ حـ ١ (المظالم) صـ ١٤٨ .

(٤٣) والنعيم الذى أعده الله ليس من جنس نعيم الدنيا وإن اتفق معه

فى التسمية فإنة يختلف عنه فى النوع والكيفية (لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت مابينهما ولملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٤ .

(٤٤) وكذلك العذاب يختلف عن عذاب الدنيا (ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم ، قيل : إن كانت لكافية ، قال : فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) خ حـ ٢ (بدء الخلق) صـ ٣٦ .

(٤٥) وهذا تصوير لموقف ومشهد من مشاهد القيامة أثناء المحاكمة وتوقيع الجزاء (يقول الله يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير فى يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ـ فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، قالوا : وأين ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا[١]) ثم قال (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قطرة وغبرة ، فيقول له : ألم أقل لك لا تعصنى ؟ فيقول : اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتنى ألا تخزنى يوم يبعثون ـ فأى خزى أخزى من أبى إلى بعد ؟ فيقول الله عزوجل : إنى حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار)[٢] .

(٤٦) وهذا موقف آخر : (إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب ـ فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا :

---

(١) خ حـ ٢ (بدء الخلق) صـ ٣٩ .
(٢) خ حـ ٢ (بدء الخلق) صـ ٣٩ .

كنا نعبد عزيرا ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ربنا فأسقنا ـ فيشار إليهم ألا تريدون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضه بعضا فيتساقطون فى النار ، ثم يدعى النصارى فيقولون : عيسى ، ويفعل بهم مثلهم ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها ، فيقال : ماذا تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : فارقنا الناس فى الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصحبهم ونحن ننتظر ربنا الذى كنا نعبد ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : لا نشرك بالله شيئا مرتين) خ حـ٣ (تفسير القرآن) صـ ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٤٧) والناس يوم القيامة منهم الهين على ربه وإن كان له شأن فى الدنيا (يأتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، واقرءوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٧ .

(٤٨) والحياة فى الآخرة لا تخضع للأقيسة فى الدنيا ، فإن كان لها أول فإنها لا تنتهى (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ـ فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ـ وكلهم قد رآه ، ثم ينادى : يا أهل النار فيشرئبون ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ـ وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم ينادى يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) صـ ١٠٧ .

(٤٩) والجنة واسعة رحبة ، والنار مكتظة بمن فيها (يلقى فى النار وتقول هل من مزيد ، حتى يضع قدمه فتقول : قط قط)(١) .

---

(١) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) صـ ١١٢ .

(٥٠) أما دار السلام فنعم دار المتقين (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه فى جنة عدن)(١) .

(٥١) ولا ينظر إلى ربه إلا من أخلص العبادة له وحده (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى كل من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) صـ ١١٤ .

(٥٢) وهذا تصوير لمكان المحاكمة (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقية ليس فيها معلم لأحد)(٢) .

(٥٣) وتلك حالة الفاجر فيها (ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع) خ حـ ٢ (الاستئذان) صـ ١٤٧ .

(٥٤) وهذا مزيد من الإحساس بالفضل أو مزيد من زيادة الحسرة (لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ، ولا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة) خ حـ ٢ (الاستئذان) صـ ١٤٧ .

(٥٥) وهذا مشهد من مشاهد عصاة المؤمنين الذين تعلقت بهم حقوق العباد وأسقط الله عنهم حقه (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فيدخلون الجنة) خ حـ ١ (المظالم) صـ ١٤٧ ، صـ ١٤٨ .

---

(١) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) صـ ١١٢ ، صـ ١١٣ .
(٢) خ حـ ٢ (الاستئذان) صـ ١٤٦ .

وقد اخترنا التعبير بعصاة المؤمنين تمشيا مع ما يقوله البعض ، وإن كنا لا نميل لهذا التعبير ، فهؤلاء قد ارتكبوا ذنوباً لم تخرجهم عن الإيمان .

(٥٦) وفى كل صلاه يقول المؤمن اهدنا الصراط المستقيم ، وهذا تصوير للصراط (يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل .

وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنه مثل شوك السعدان - غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله - فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرم الله على النار أن تأكل آثار السجود فيخرجون من النار وكل ابن آدم تأكله النار إلا آثار السجود فيخرجون من النار ما قد امتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل) خ ح ١ (الآذان) ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٥٧) وهذا مشهد آخر من مشاهد أهل النار (إن رجلين ممن يدخل النار يشتد صياحهما فيها - فيقول الله تعالى : أخرجاهما ، فيقول الله لأى شىء صياحكما ؟ فيقولون : فعلنا ذلك لترحمنا ، فيقول : إن رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما فى النار ، فيقومان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله عليه بردا وسلاما ، ويقوم الآخر فيلقى نفسه فلا يفعل ، فيقول الله تعالى : مامنعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : ربى إنى لأرجو ألا تعيدنى فيها بعد أن أخرجتنى منها ، فيقول الله تبارك وتعالى : لك رجاؤك ، فيدخلان الجنة معا برحمة الله تعالى) .

(٥٨) ولا ينفع المرء عند الله إلا عمله الطيب ، والخبيث لا ينقلب طيبا وإن بذل فى سبيل الخير (من اكتسب مالا من مأثم فوصل رحما

أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك جميعا فقذف به فى جهنم) .

(٥٩) وهو علام الغيوب (لو أن أحدكم يلعلم فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج للناس عمله كائنا من كان) .

(٦٠) والله يحاسب المرء على ما كان ينويه (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى) خ حـ ١ (بدء الوحى) ص ٥ .

الموضوع الثالث والعشرون

آداب وإرشاد

(١) لقد كان الإسلام ولم يزل دينا للدنيا والآخرة معا ، يدعو لكل فضيلة وينهى عن كل رذيلة . وهذه ارشادات تتعلق بمعيشة الانسان قد يظن البعض أن الاسلام خلا منها . وأردت أن أذكر إشارات ليتبين القارىء عموم السنة وشمولها .

وللأكل والمائدة آداب فى الإسلام . وهاهو يرشد مريد الأكل فيقول (سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)(١) .

(٢) والشيطان يقف للإنسان بالمرصاد حتى اذا ماغضب قاده الى حيث ماشاء . وللتغلب على ذلك الشيطان كان على الإنسان أن يذكر الله كلما تحول الى حال أخرى،فان ذكرى الله مبعد للشيطان (إذا دخل الرجل بيتهفذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامهقال الشيطان لأصحابه لامبيت لكم ولاعشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى قال الشيطان : أدركتم المبيت . وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء) .

(٣) وقد يتساءل الناس عن الشيطان ماهو ومن هو الذى يشارك الإنسان طعامه ومبيته . والحق أن ذكر الله يشيع الخير فى جوانب الإنسان ، فان ذكرنا الله عند الطعام تذكرنا أن لغيرنا حقا فقنعنا بالقليل . وهكذا يقول لأعرابى أكل ولم يسم الله ثم تذكر وسمى (مازال يأكل معه الشيطان ، فلما ذكر اسم الله استقاء مافى بطنه) .

(٤) والذين يأكلون بنهم وشراهة لايعرفون للقناعة معنى .

---

(١) خ ﺣ ٢ (الأطعمة) ﺻ ١٢٧ .

وهذا مانراه فى الدهماء والسوقة (إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر اسم الله تعالى عليه ، وأنه جاء بهذه الجارية فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابى ليستحل فأخذت بيده ، والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يديهما، ثم ذكر الله وأكل) .

(٥) وقد اشتكت جماعة عدم كفاية الطعام رغم أنه كثير ولا يكفيهم. فقال لهم النبى : (أما أنه لو سمى لكفاكم) .

(٦) ومن أدب المعاشرة أن تكون رقيقا فى نقدك لأهل بيتك حساسا فى توجيهك (ماعاب رسول الله طعاما قط : إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه) خ ح ٢ (اسلام ابى ذر) ص ٥٢ .

(٧) وإذا انتهى الإنسان من طعامه طالبه الله بشكر النعمة وعلمه النبى أن يقول : (الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مستغنى عنه ربنا) خ ح ٢ (الأطعمة) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٨) ومن أدب المائدة فى الإسلام أن يجتمع أهل البيت على مأدبه واحدة فان فى ذلك تعاطفا وألفه وبركة . أما الذين يتفرقون فانهم يضيعون من الطعام مايكفى أمثالهم (يارسول الله إنا نأكل ولا نشبع . قال : فلعلكم تفترقون ؟ قالوا : نعم . قال : فاجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه) .

(٩) ومن الآداب أن من دعى فليلب (من دعى فليجب، فان كان صائما فليصل ، وان كان مفطرا فليطعم) .

(١٠) ومن الإرشاد والتوجيه الحسن أن يأكل الإنسان مما يليه لا يتعداه إلى مكان غيره أو إلى وسط الإناء .

ولا مانع من أن يأخذ كل انسان مما يليه فى اناء يخصه يأكل منه وحده (البركة تنزل وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه) .

(١١) وقد كانوا يستعملون وسائل للتنظيف لقلة الماء عندهم لاتتفق مع حياتنا . ومن القواعد المقررة أن العبرة بالغايات ـ فمثلا (إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها) خ حـ ٢ (الأطعمة) صـ ١٢٨ .

لايريد بهذا إلا مجرد التنظيف . فاذا وجد الماء والصابون فلا داعى لهذا العمل .

(١٢) وأوصى بالأكل فى اعتدال فلا يأكل وهو مضطجع أو متكىء تسهيلا لعملية الإبتلاع ، وفى الحديث : (لا آكل متكئا) خ حـ٢ الأطعمة صـ ١٢٧ .

(١٣) وفى الاجتماع على الطعام فوائد : كالتعلم والبركة ، (طعام الإثنين كافى الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة)(١) .

(١٤) ولم تخلو تعاليم الإسلام من آداب الشرب (لاتشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم) .

(١٥) وقد ثبت أنه (نهى عن اختناث(٢) الأسقيه) خ حـ ٢ الأشربة صـ ١٣٢ .

(١٦) والذين يشربون دفعة واحدة من غير أن يتنفسوا فى الاناء فلا بأس بهذا . فتفريق الشرب على دفعات يراد منه ألا يتنفس الإنسان فى الإناء ـ وعليه فانه لايصح التمسك بضرورة أن يكون الشرب على دفعات ، ولعل هذا الأثر يفصح لنا عن هذا الحكم (القذاه أراها فى الإناء ، انى لا أروى من

---

(١) خ حـ ٢ (الأطعمة) صـ ١٢٧ .
(٢) كسر أفواهها والشرب منها .

نفس واحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأبن القدح إذن عن فيك) .

(١٧) ويروى (كنا نأكل ونشرب ونحن نمشى) .

(١٨) ويروى كذلك (شرب النبي قائما) خ حـ ١ (الحج) صـ ١١٠ .

(١٩) ومن يقدم للناس الشراب فهو آخر من يشرب لحديث : (ساقى القوم آخرهم) .

(٢٠) ويجب عدم الإسراف خصوصا فى أوانى الطعام (إن الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة يجرجر فى بطنه نار جهنم) خ حـ ٢ الأشربة صـ ١٣٢ .

(٢١) ولقد شملت الارشادات النبوية ملابس الإنسان - فلا يصح أن تشبه ملابس الرجال ملابس النساء ولا العكس .

وفى الحديث : (نهى أن يتزعفر الرجل وقال : أملك أمرتك بهذا ؟ قلت : أغسله . قال : بل احرقه) خ حـ ٢ اللباس صـ ١٣٧ .

(٢٢) وهذه سماحة الإسلام فى حكم يتعلق بالطعام (إن قوما يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال : سموا الله عليه وكلوه) خ حـ ١ (البيوع) صـ ١٢٩ .

(٢٣) ومن الإرشاد أن يبدأ الإنسان بتناول شىء من الحلوى فى أول النهار (من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر) خ حـ ٢ (الأطعمة) صـ ١٢٨ .

وقد يستغرب البعض مثل هذا الحكم . والحق أن الحديث لا يمنع من وقوع ضرر بعد ذلك اليوم . فمن أكل فى يوم الإثنين فلا مانع أن يضر فى يوم الثلاثاء .

(٢٤) وكل آنية نشك فى طهارتها للأكل فيها فهذا هو الإرشاد (أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها ، وإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها) خ حـ ٢ (الذبائح والصيد) صـ ١٣٠ .

الموضوع الرابع والعشرون

(الموت — وأحكامه)

(١) إذا انطوت حياة الإنسان تبعه عمله وانعكس على الناس صدى عشرته معه . وأول مظهر من مظاهر البر أو العقوق يبدو في عدد المصلين عليه من المودعين له . فإذا زاد المصلون المؤمنون فإن الله يقبل شفاعتهم فيه (مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه) .

(٢) ويشعر الميت بما سيصير إليه فيتعجل الخير إن كان ينتظره . وإن كان ينتظره غير ذلك قال بلسان حاله ما بينه الحديث عنه : (إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني وإن كانت غير ذلك قالت : ياويلها أين تذهبون بها ؛ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه صعق) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٠

(٣) ومن السنة أن يوصي الإنسان بشيء يتصدق عليه به بعد موته فينتفع الميت بصدقة نفسه (ماحق امرىء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده) خ حـ ٢ (الوصايا) ص ١٢

(٤) ومن السنة كذلك أن يتذكر الإنسان الموت لينكمش مافيه من غرور (أكثروا من ذكر هازم اللذات) .

(٥) ومن أراد واعظاً فالقبر يكفيه . ومن المستبد به الطمع في الدنيا فليتذكر مالا بد منه وهو الموت . وفي الأثر : (كان بعد ثلث الليل يقول : ياأيها الناس أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه . قلت : يارسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ماشئت .قلت : الربع ؟ قال : ماشئت . قلت : النصف؟ قال : ماشئت . قلت:

الثلثين ؟ قال : ماشئت ـ فإن زدت فهو خير لك . قلت : أجعل لك صلاتى كلها ؟ قال : أذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك) .

والصلاة على النبى من أعظم القرب . ومعنى جعل صلاته كلها للنبى أنه بعد أن يقوم بالفرائض وكل مكتوب عليه يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) وزيارة المقابر لانتفاع الحى (فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا الآخرة) .

(٧) وزيارة المقابر يقال فيها عند الدخول (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية) .

(٨) ولا يصح أن يطلب الإنسان الموت (لايتمنى أحدكم الموت إن كان محسناً فلعله يزداد وإن كان مسيئاً فلعله يستعتب) خ حـ٢ (التمنى) ص ١٦١ .

(٩) ومن أحكام الموت تغسيل الميت غير الشهيد . ولما ماتت زينب قال النبى لمن تغسلها : (إبدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٨٧

(١٠) ويستحب أسماع المحتضر كلمة التوحيد . ولا يطالب بالنطق بها وهذا معنى الحديث : (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) .

(١١) والبكاء على الميت لابأس به . فإن كان الميت قد أوصى بالبكاء عليه فإنه يعذب . أما إذا لم يوص فلا يعذب الباكى ولا المبكى عليه (إن الله لايعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم ـ ويشير إلى لسانه) خ حـ ١ (الجنائز) صـ ٨٩ ، ٩٠

(١٢) ويجب ألا يبيح المغسل مايراه على الميت من جروح أو أحوال يراها (من غسل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة) .

(١٣) ولقد خالف الناس السنة فلم يهتموا بالسير فى الجنازة ولا الصلاة عليها قدر إهتمامهم بالذهاب إلى سرادقات العزاء التى قامت على الإسراف، مع أن السنة بخلاف هذا والأجر فى شهود الجنازة (من شهد الجنازة حتى يصلى عليهافله قيراط. ومن شهدهاحتى تدفن فله قيراطان. قيل: وماالقيراطان قال: مثل الجبلين العظيمين) خ حـ ١ (الإيمان) ص ١٣،١٢ بالمعنى.

(١٤) ومن تأمل الصلاة على الميت وجدها تدور على الدعاء للميت وأخيراً الدعاء للحى. ويروى: (بعد التكبيرة الرابعة قل: اللهم لاتحرمنا أجره. ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله).

(١٥) وقد حضر النبى صلى الله عليه وسلم وفاة رجل وقال مايؤكده العلم الحديث من أن العينين إذا أخذنا بعد الموت مباشرة أمكن الانتفاع بهما وفى حضور النبى للميت قال: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر. لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون. اللهم أغفر لأبى سلمة، وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له فى قبره ونور له فيه).

(١٦) وصلاة الجنازة فريضة. وكأن الله فرض على الأحياء أن يصلوا الأموات بالدعاء لهم. وأحسن الدعاء الدعاء المأثور: (اللهم أغفر له وارحمه، وعافه وأعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، وأغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم أبدله داراً خيراً من داره، وأهلا خيراً من أهله، وزوجا خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار).

(١٧) ويجب التعجيل بالدفن والإسراع بها من غير هرولة (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وأن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) خ حـ ١ الجنائز ص ٩٠

(١٨) ويجب سداد دين الميت من تركته إن كانت له تركة وإلا استسمح الدائن ، وفى الحديث (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) .

(١٩) وإذا قبر الميت استحب أن يستغفر له الأحياء (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

(٢٠) ومن كلام عمرو بن العاص : إذا دفنتمونى فأقيموا حول قبرى قدر ماتنحر الجزور ويوزع لحمها لأستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى .

والحق أن ألسنة الخلق تنطق بما كان عليه الرجل من خير أوشر . وقد مرت جنازة فأثنى المسلمون عليها خيراً ، فقال النبى : (وجبت لها الجنة . وأثنوا على أخرى شراً فقال : وجبت لها النار . أنتم شهداء الله فى الأرض خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٣

(٢١) وشهادة الناس بإخلاص لارياء فيها تنفع الميت (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة) خ حـ١ (الجنائز) ص ٩٣

(٢٢) ويجوز زيارة مقابر غير المسلمين لعبرة الأحياء . وفى الحديث (لاتدخلوا على هؤلاء المعذبين قبورهم إلا وأنتم باكون ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لايصيبكم ما أصابهم) .

(٢٣) ويحرم سب الإنسان بعد موته خصوصاً إذا كان بريئاً مما يقال فيه (لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا)(١) .

(٢٤) ومن النساء من يفعلن على الميت فعلا يغضب ربهن ويفسد عليهن

---

(١) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٥

دينهن ، وليست من ورائه فائدة - كحلقهن رؤوسهن حزنا ونواحهن . وفى الأثر (إن رسول الله برىء من الصالقة (١) والحالقة ، والشاقة) خ ح ١ (الجنائز) ص ٨٩

(٢٥) وبعض البيوتات تستأجر من تنوح لهن ويتبعنها (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب) .

(٢٦) وإذا رضى الميت قبل موته بما يقال عنه فإنه يعذب عليه . وقد يكون رضاؤه عن طريق غير مباشر كأن يسمع كلاما عن نفسه وهو ليس فيه فيسكت عليه راضيا بمديحهم (مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبلاه واسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا كنت ؟) .

(٢٧) وللمرأة أن تحزن حزنا مشروعاً لاتقول مايغضب ربها ، وقد قدر الشارع ظروفها حين تنكب فقال : (لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام ، إلاعلى زوج أربعة أشهر وعشراً) خ ح ١ الجنائز ص ٨٧

(٢٨) وإذا مات الحاج غسل وكفن فى إحرامه وبعث على حالته (اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا) خ ح ١ (الجنائز) ص ٨٧

ويجب الاقتصاد فى الكفن وعدم الإسراف فيه . ويستحب أن يكون اللحاد رجلا صالحا (هل فيكم رجل لم يقارف الليلة ؟ وأنزل أبا طلحة القبر فدفن المرأة) خ ح ١ (الجنائز) ص ٨٨

---

(١) أى من ترفع صوتها عند المصيبة .

(٢٩) ومن السنة القيام للجنازة عند المرور بها (إذا رأيتم الجنازة فقوموا ولو يهودى) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٠ بالمعنى .

(٣٠) وصح أنه قرأ بالفاتحة فى صلاة الجنازة (قرأ فى صلاة الجنازة بفاتحة الكتاب وقال : ليعلموا أنها سنة) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩٠ عن ابن عباس .

(٣١) ولا مانع من كتابة اسم الميت على قبره ، على أن لا يغالى فى تشييد القبور (فلو كنت ثم لأريتكم قبر موسى إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر) خ حـ ١ (الجنائز) ص ٩١ مختصرا .

الموضوع الخامس والعشرون

﴿ كياسة ﴾

(١) من أهم مظاهر الإسلام اليقظة والإحساس بالمسئولية وتحمل تبعاتها والتغلب على الصعاب من غير يأس والأخذ بالأسباب . وكل هذه من معانى القوة التى يعبر عنها فى الإسلام بالكياسة . أما الغفلة والضعف والتواكل فهى من مظاهر العجز الذى يحاربه الإسلام ويقابل بينه وبين الكياسة كما فى الحديث (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

(٢) ولا يتوهم أحد أن العمل لما بعد الموت يقتضى تجاهل الدنيا ـ كلا ! (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ـ فإن أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء) .

(٣) ولا تعنى الكياسة غلظة القلب ، ولكنها رقة فيه مع سرعة فى الإدراك والموازنة الدقيقة بين الأشياء والإنتفاع بما يتلقنه من مبادىء (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) خ حـ ٢ (الطب) ص ١٣٥

(٤) ويقول البعض حسبى الله ونعم الوكيل ـ وهذه كلمة جليلة المعنى واسعة الدلالة . فبعد الأخذ بالأسباب وعدم التوصل إلى المراد يقولها الإنسان . وقد قالها إبراهيم حين ألقى فى النار . وقالها محمد حين قال لهم الناس :(إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) خ جـ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٠ ، ١٠١

(٥) والتوكل الذى هو من مظاهر الكياسة يجب تمييزه عن التواكل الذى هو من مظاهر العجز . والتوكل آخذ بالأسباب وانظر إلى التشبيه بما بلغ قمة

التوكل وقد أخذت بالأسباب (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً) .

(٦) وتلك كلمات يعلمهن النبي ابن عباس ليدربه على الكياسة المرجوة (أحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا) .

(٧) ولله نعم على عباده ، فإن كانوا أكياساً يستثمرونها في وجوه الخير فهى معهم وهم الأمناء عليها - وإلا تحولت إلى غيرهم وتلك سنة الله (إن لله عند قوم نعما أقرهم عليها ما كانوا في حوائج المسلمين مالم يملوهم ، فإذا ملوهم نقلها الله إلى غيرهم) .

(٨) وليس كل من تلفظ بالإسلام يعد كيساً ، ولكن الكيس من ينتفع بمبادىء الإسلام وتعاليمه (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) خ حـ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩

(٩) ويجب على الكيس أن يكون بدله بعد الرجوع إلى دينه ، وأن تكون مروءته بعد استساغة العقل السليم بما يقوم به ، وأن يكون ضميره وإحساسه هما المحركان له (كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه) .

(١٠) والكياسة في الإسلام بعد عن التظاهر والرياء ، ومساهمة في كل أوجه الخير - إذ في انتشاره انتصار للكياسة (طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا مالم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا - أولئك هم مصابيح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء) .

(١١) والكيس هو الذى ينتفع بوقته وينتفع بما عنده (نعمتان

مغبون فيهما كثير من الناس — الصحة والفراغ)(١) .

(١٢) وانظر إلى أى مدى تصل الكياسة فى ذلك الحديث الشريف لاتهدد لأحد عملا ، ولكنها تقومه فى إنصاف واعتدال (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . أحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا ، ولكن قل قدر الله وماشاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) .

(١٣) ومن ضيع على نفسه فرصة منحت له فقد فاتته الكياسة ولا عذر له (أعذر الله إلى أمرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة) خ ح ٢ (الاستئذان) ص ١٤٣

(١٤) ومن القواعد المقررة أن العمل بخواتيمه ، ومن هنا وجبت الكياسة (يبعث العبد على مامات عليه) .

(١٥) والكيس لايستهين بشىء وإن كان تافها بل يباركه وينميه ، ولا يصعب أن يجد له جزاء يقابل به ذلك العمل (لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق) .

(١٦) وهو الذى ينتفع بكل خير ويتمتع بالاستعداد لتقبله . وطوائف الناس لا تكاد تتفق وعلى قدر كياستهم ينتفعون (إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى .

---

(١) خ ح ٢ (الاستئذان) ص ١٤٢ ، ١٤٣

إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ — فذلك مثل من فقهه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به من الهدى والعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به) خ ج ١ (العلم) ص ١٦ .

(١٧) والحيطة التى كان يعاها النبى لأصحابه لدليل واضح على ما كان يعنيه من الكياسة . وهذا الحذر الذى كان يعلمه ويعلمه كل أصحابه مثل رائع على الفطنة والكياسة (لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ماسار راكب بليل وحده) خ ج ٢ (الجهاد) ص ٢٣ .

(١٨) وقد تكون فى السفر مخاطرة ، فإذا لم يتجنبها الانسان وقع فيها . وهذا إرشاده فى السفر وما يتطلبه من كياسة (إذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض . وإذا سافرتم فى الجدب فأسرعوا عليها السير وبادروا بها نقيها . وإذا عرستم[1] فاجتنبوا الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل) .

(١٩) والخلق العظيم تعبير عن الكياسة خصوصا إذا أدار الإنسان الكلمة فى قلبه قبل أن ينطق بها لسانه — فإنه مسئول عنها لا محالة . ومن أجل هذا كان الصمت محبوبا (عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك) .

(٢٠) ومن هنا جاء الربط بين الإيمان والقلب واللسان . (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

(٢١) ومن الناس من تفوتهم الكياسة فيتكلمون بما سيندمون عليه . ويحكى أن رجلا شهد لرجل بالخير فقيل له : (أو تدرى فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه) .

---

(١) استرحتم آخر الليل .

(٢٢) والكيس يحاسب نفسه لا يعفيها من الحساب وإن كان هازلا . وكثيرا ما يؤاخذ الناس على ما يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم (إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس فيهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه) .

(٢٣) ولقد كان الإسلام ولم يزل يعلم الناس الكياسة مع الناس ويلقنهم كيف يستقبلونهم (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) .

(٢٤) والذين تفوتهم الكياسة فى الحديث هم من شر الناس (إن من شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء فحشه) .

(٢٥) وشر منهم الذين يستعملون كياستهم فى التزوير وقلب الحقائق (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)(١).

(٢٦) وقد يتوهم البعض أن الكياسة فى الحديث هى المحاورة والسفسطة وهذا خطأ — فإن تضييع الوقت بجدل لفظى وسفسطة يقصد بها الغلبة وليس هو الوصول إلى الحق — كل هذا ضلال لا كياسة فيه (ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) .

(٢٧) والذين يخدعون الناس بما أوتوا من جدل فقد أبغضهم الله (إن الله لايحب هذا وأضرابه ، ويلوون ألسنتهم للناس لى البقر بلسانها المرعى ، كذلك يلوى الله تعالى ألسنتهم ووجوههم فى النار) .

(٢٨) ومن الكياسة أن يعود الإنسان لسانه النطق بالخير والبعد عن

---

(١) خ جـ ١ (المظالم) ص ١٤٨ :

قول لا ترجى منه فائدة . ويحكى أن عيسى بن مريم قال عندما لاطف الخنزير : (إنى أخاف أن أعود لسانى النطق بالسوء) .

(٢٩) ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام . هؤلاء أعطوا من قوة الحجة ما يمكنهم من خداع بعض الناس . فإذا لم يتوبوا فقد باءوا بغضب من الله . وكم كان النبى صلى الله عليه وسلم يحذر من الجدل اللفظى والمقصود منه الغلبة ، أما المقصود منه الوصول إلى الحق فذلك مشروع (مهلا يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا : ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى إثما ألا تزال مماريا ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة : رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق . ذروا المراء فإن أول ما نهانى عنه ربى بعد ترك عبادة الأوثان المراء) .

(٣٠) ومن الكياسة ألا يتكاسل الانسان وأن يظل نشيطا دائب العمل . وهذا موقف من النبى لمن نام طول الليل) ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه) خ ج ١ (التهجد) ص ٨٢ بالمعنى .

(٣١) وطول النوم يعود الانسان الكسل والقعود عن السعى ، وفى ذلك ما فيه من ضياع للمجهود وتدهور للمستوى . والقليل من الراحة قد يتعب البدن وخير الأمـــور الوسط . ونظام الإسلام فى الصلوات خصوصا بين العشاء والفجر واف بالمطلوب (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارق ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى إنحلت عقدة ، فإن توضأ إنحلت عقدة ، فإن صلى إنحلت عقده كلها — فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) خ ج ١ (التهجد) ص ٨٢ .

(٣٢) وقيام الليل وقيام رمضان والدعوة إلى النافلة من غير أن يأمرهم بوجوبها — كل هذا ليتسابق الأكياس (كان يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة) .

(٣٣) وأحيانا كان يقرهم على ما تفتجه كياستهم ولو كان ذلك فى أمر غيبى . ففى ليلة القدر يقول لهم : (أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحراها فى السبع الأواخر) خ ج ١ (فضل ليلة القدر) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣٤) والربط بين مرضاة الله والمظهر الحسن كياسة (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) .

(٣٥) والحق أن الكياسة تبدوا واضحة فيم يغفل عنه الكثير — فكلما كانت الغفلة أطبق كانت الكياسة أنفع . وكثيرا ما يغفل الناس عن الكياسة فى الكلمة — ولذا نكرر التنبيه عليه (وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) .

(٣٦) وعلى قدر كياسته فيها يؤجر أو يعاقب (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات . وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم) خ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٤ .

(٣٧) وتلك وصية من أكيس الناس وأعلمهم بربه : (أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) .

(٣٨) وهذا تصوير صادق لدور اللسان وتحقيق الكياسة (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن أعوججت أعوججنا) .

(٣٩) وتعاليم الإسلام من غير استثناء يعقلها الأكياس من الناس . وبقدر كياستهم يدركون الخير الذى يكمن فيها (ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل — ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟قلت : بلى . قال : فأخذ لسانه وقال : كف عليك هذا . قلت : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟)

(٤٠) وقد يتوهم البعض أن التعاظم والغرور يمنحهم هيبة . وقد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون . ومن الكياسة البعد عن الكبر الذى قد يبعد صاحبه عن إدراك الحق أو يحمله على جحوده ، وفى الحديث : (الكبر بطر الحق وغمط الناس) .

(٤١) وقد يكون للمرء منافس له فيصاب . وليس من الكياسة إظهار الشماتة به — فالمفروض أن المنافسة فى الخير (لاتظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك) .

(٤٢) ويجب على المسلم أن يكون يقظا يميز بين الصدق والكذب ، فالتصديق بالكذب كتكذيب الصدق كلاهما خطر على صاحبه .

وقد مر رسول الله على بائع حنطه بلها من داخلها كى تثقل فى الميزان — فوضع يده فيها فقال له البائع هذا من المطر . فقال له النبى : (أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا) .

(٤٣) والذين يغرون الناس ويخدعونهم بما أوتوا من لباقة . فهم برآء من الإسلام(ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة:رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) خ ج ١ (البيوع)ص ١٣٥

(٤٤) وليس من الكياسة أن يعرض الإنسان نفسه للسخرية منه بحجة لا يعبأ بمظهره . وقد أرشدتنا السنة إلى الاهتمام بكل ما يصون هيبته (إذا أنقطع شسع نعل أحدكم فلا يمشى فى الأخرى حتى يصلحها) .

(٤٥) وانظر إلى الحيطة التى ينبهنا الرسول لها حتى فى داخل بيوتنا (لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون) خ ج ٢ (بدء الخلق) . ص ٣٦ .

(٤٦) وقد لايهتم الإنسان بتغطية إنائه وليس هــذا من الكياسة وفى الحديث : (غطوا الإناء ، وأوكئوا السقاء ، وأغلقوا الأبواب ، وأطفئوا السراج — فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابا ولا يكشف إناء — فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا ويذكر اسم الله فليفعل فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيوتهم) .

(٤٧) ومن الكياسة أن يكون الإنسان سهلا فى حياته (نهينا عن التكلف) .

(٤٨) ومن الكياسة ألا يعرض الإنسان نفسه للمخاطر ولا يضع نفسه فى مكان يتأذى منه الآخرون . وليس منها أن يتراجع الإنسان عن هدفه لأنه تشاءم . وفى الحديث : (لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل وهو الكلمة الطيبة) خ ج ٢ (الطب) ص ١٣٥

(٤٩) وإذا كان التشاؤم شيئاً يجدونه فى صدورهم ولا حيلة فى دفعه

فليحاولوا أن يغيروا مايتشاءمون منه . وفى الحديث : (وإن كان الشؤم فى شىء ففى الدار والمرأة والفرس) خ حـ ٢ (الحور) ص ١٨ وفيه إشارة إلى أنه يجب أن يتغلب الإنسان على نفسه قدر الطاقة فإن كان مايتشاءم منه ملازماً له لايستطيع التخلص منه إلا بتغييره فليغيره فى الثلاثة المذكورات والله أعلم .

(٥٠) وهذا بعض مانهى عنه الشارع ـ وبالتأمل فيه نرى مكان الكياسة واضحة فى سر النهى عنه كالنهى عن التصوير الذى لاضرورة فيه واقتناء الكلب وتعليق الجرس ـ فإن فى هذا مضيعة للوقت وعبثاً بالجهد الإنسانى الذى يجب أن يوفر لما هو مفيد (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله)[١] (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة)[٢] (ومن اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطين كل يوم)[٣] (الجرس من مزامير الشيطان) .

(٥١) والمساجد أماكن للعبادة يدخلها الفقير والغنى والعالم والجاهل ، فإذا رأى الأكياس فيه من غيرهم مايقلقهم أو يضايقهم فليقوموه برفق . وقد أوصى الإسلام بأن تصان المساجد فهى لله . وكل من يخرجها عن رسالتها فهو محروم من رضوان الله . وانظر إلى كياسة الشارع فى الوصية بها . (البزاق فى المسجد خطيئة وكفارته دفنه)[٤] (إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا لاأربح الله تجارتك . وإذا رأيتم من ينشد ضالته فقولوا لاردها الله عليك) (من أكل ثوما أو بصلا أو الكراث فلا يقربن مسجدنا

---

(١) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٥ بالمعنى
(٢) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣١
(٣) خ حـ ١ (المزارعة) ص ١٤١ ، ١٤٢
(٤) خ حـ ١ (الصلاة) ص ٤١

فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم فمن أكلهما فليمتهما طبخاً)
خ حـ ١ (الآذان) ص ٦٩ رواه مختصرا .

بالتأمل فيما ذكر يستنبط الكيس ماوراء هذه الوصايا من عمق ومعانى إنسانية . فالبصاق خطيئة وفاعله مخطىء ، لكن إهانته فى المسجد قد تجر إلى معارك تخرج البيت عن حرمته وتضيع التآلف المرجو من وراء الاجتماع . والبيع والشراء فى المسجد يقلبه سوقا ويصبح من شر البقاع بعد أن كان من خيرها . ولا يؤخذ الدعاء على البائع أو المشترى على ظاهرهما ، بل يخبران برفق أن بيعاً فى المسجد لا بركة فيه . ولو كان إنشاد الضالة على بابه من الخارج لكان أولى وأوصل للغرض . وانظر إلى ما يؤذى الإنسان . يقال للتنفير منه أنه يؤذى الملائكة . حقاً إنها لكياسة فى التعبير وقول حق ممن أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم .

(٥٢) وتلك وصايا أخرى نلمح فيها الكياسه إن تأملناها (إن أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى بملك الأملاك) .

(٥٣) (لا تسبوا الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد) (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ماتكرهون فقولوا . اللهم نسألك من خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أمرت به ، وأعوذ بك من شر هذه الريح وشر مافيها وشر ماأمرت به) (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة) .

نلمح الكياسة فيما تقدم ، ولعل البعض يتعجبون ويقولون لماذا لا نسب الحمى أو الريح أو الديك ؟ ولو كانوا أكياساً لصانوا ألسنتهم عن شتم مالا يعقل . ومعلوم أننا أمرنا بالتداوى . ومظاهر الطبيعة لا فائدة من سبها بل يجب أن نستفيد منها ونبتعد عما فيها من ضرر وهذا معنى الدعاء ، وحقاً إن كثيراً من الناس يتيقظون من نومهم على صياح الديكة . والذى يسمى بملك الأملاك ويقبل هذه التسمية فهو تافه معتوه لا يعى ماينادى به .

(٥٤) وهذه طائفة ثالثة تكمن فيها الكياسة وراء حديث الشارع الحكيم : (ماكان الفحش فى شىء إلا شانه ، وماكان الحياء فى شىء إلا زانه)

(إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا . وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون والمتشدقون) .

(٥٥) ولقد كان الشارع مرهف الحس يستثقل كل ماهو ثقيل على السمع فيغيره بكياسة (لايقولن أحدكم خبثت نفسى ولكن ليقل لقست نفسى) .

فالخبث كلمة ثقيلة يعبر بها عن خبث الطوية .

(٥٦) (لاتسموا العنب الكرم فإن الكرم المسلم) خ حـ ٢ (الأدب) صـ ١٤٢ ـ هكذا يختار للمسلم الكلمة الطيبة فيسميه بها .

(٥٧) ويجب أن تكون الكياسة بين الزوجين ، فلا تحدث الزوجة زوجها عن امرأة أجنبية تصرف ذهن زوجها إلى تلك الأجنبية وتزهده فى حليلته . وهكذا تعكر صفو الحياة إن ضاعت الكياسة (لاتباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها)(١) .

(٥٨) وحتى الكياسة يجب أن تكون فى دعاء الله (لايقولن أحدكم اللهم أغفر لى إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له)(٢) (لاتقولوا ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ماشاء الله ثم ماشاء فلان) وهذا من الفقه .

(٥٩) وفى يوم أراد النبى أن يبرهن لهم على أن الأجل قصير وإن طالت حياة المرء فيعظهم بطريق غير مباشر (أريتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لايبقى ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد) خ حـ ١ (العلم) صـ ٢٠

(٦٠) ومن الكياسة محاربة النفاق (إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب) .

(٦١) ومن الكياسة أيضاً تشجيع المؤمنين الأقوياء كما شجع النبى عمر فقال له : (مارآك الشيطان سالكا فجا إلاسلك فجا غير فجك) .

---

(١) خ حـ ٢ (النكاح) صـ ١٢٤

(٢) خ حـ ٢ (الدعوات) صـ ١٥٨

(٦٢) والموقف الذى تعرض له المسلمون فى عهد عمر حين انتشر الطاعون لدليل واضح على الكياسة والحيطة ، ولا يعتذر بالتواكل وقضاء الله (إذا سمعتم أووقع الطاعون بأرض فلا تقدموا عليها . وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه)(١) (وقال عمر . أرأيت لو كان لك إبل بواد له عدوتان إحداهما خصبه والأخرى جدبه - إن رعيت الخصبة أليس بقدر الله) .

(٦٣) ولا غنى للإنسان عن بعض الأماكن كالمساجد والأسواق فيجب أن يدخلها بكياسة ويخرج منها بحسنات أكثر من السيئات (أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغضها أسواقها) (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت)(٢) (لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته) .

(٦٤) والذين تتعامل معهم ليسوا من الملائكة الذين لاتصضر منهم هفوة ولامن الجن الذين لاطاقه لك على معاشرتهم ولكنهم بشر ، فعاملهم بما تحب أن تعامل به فأنت تعرف خصائصهم وطبائعهم (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم كما وصف لكم) .

(٦٥) وأولى الناس بالكياسة أئمة المسلمين . وقد رأيت من ينكر حديثاً صحيحاً لأنه لم يفهمه . وفاته أن فى الإسلام ظاهراً وتأويلا . ومحكما ومتشابها . وواضحاً وخفياً . ومشكلا ومبهما ونصاً وغير ذلك :

فمثلا فى الحديث : (سيحان ، وجيحان ، والفرات ، والنيل كل من أنهار الجنه) .

---

(١) خ حـ ٢ (بدء الخلق) صـ ٤٧

(٢) خ حـ ٢ (الأدب) صـ ١٤١

فلا مانع من أن يكون المعنى أصل الماء العذب الذى لا كدر فيه موجودا فى الجنة مع اختلاف بين مائها وماء الأنهار الموجودة فى الأرض. ولا مانع من إرادة أنه أهل بلاد هذه الأنهر سيهديهم الله ويكونون من أهل الجنة . وليس بلازم أن هذه الأنهر تنبع من الجنة كما يظن الجهلة .

(٦٦) وقد علمنا الله التأنى ، وضرب لنا مثلا وهو على كل شىء قدير . وفى الحديث : (خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم صلى الله عليه وسلم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل) .

(٦٧) وفى كل جزئية من مقررات الاسلام لا تخلو من الكياسة . فمثلا يلتزم الانسان إما بما فرضه الله عليه أو بما فرضه هو على نفسه كالنذر، وهو قربى إلى الله فلا يلزم أن كان معصية لخلوه من الحكمة (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) خ ح ٢ (الأيمان والنذور) ص ١٤٩ .

(٦٨) ومما يتوقف البعض فيه ولا يرون له حكمة ماورد فى الأدوية - لا يرون اتفاقها مع الطب الحديث . وفى الحديث : (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين) خ ح ٢ (تفسير القرآن) ص ٩٩

والمعلوم أن السنة أمرتنا بالتداوى ، ولا يلزم من الدواء أن يشفى كل الناس فقد يفيد فى بعض الأحوال .

(٦٩) والذين يتواكلون ولا يأخذون بالأسباب يلامون من الله (إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكياسة . فاذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل) .

(٧٠) والأخذ بالسبب هو عين التوكل (من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) .

(٧١) والمسلم مطالب بالكياسة مع حسن النية . وقد توجد الكياسة فيفسدها سوء الطوية - وهذا تصوير لبعض من رضى الله عنهم وبعض من عمهم الله بسخطه (أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال. وأهل النار الخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن مالك وأهلك ، وذكر البخل والكذب ، والشنظير الفحاش) .

(٧٢) ومن الكياسة اختيار الصديق فان له أثرا كبيرا (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل) .

(٧٣) ومن الحكمة إذا أمرنا أو نهينا أن تكون لها فائدة عاجلة. وانظر إلى الربط بين طاعة الله وسعة الرزق فى الدنيا يقول النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم بارك لأمتى فى بكورها) ويقول لفاطمة يحضها على صلاة الفجر : (يا بنية قومى أشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) .

(٧٤) ولا يمر بالكيس شىء إلا أخذ منه عبرة . أما الذين طمست بصائرهم فكم من آية يمرون عليها وهم عنها معرضون (إن المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ، ولم يدر لم أرسلوه) .

(٧٥) وكلما كانت قيادة الرجل لعدد أكثر كانت الكياسة اليه ألزم ليضع الشىء فى موضعه فلا تنفر منه القلوب ولقد كان رسول الله يعطى من هو أقل حبا ، ولا يعطى من هو أشد له حبا (ياسعد أنى لأعطى

الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله فى النار) خ ﺣ ١ (الإيمان) ص ١٠ .

(٧٦) وانظر إليه حين يزهدهم فى الدنيا بطريقة لم يبغضهم فيها ، وأن المؤمن هو أكثر الناس نفعا لغيره (من فى الدنيا ضيف ومافى يديه عارية ، والضيف مرتحل والعارية مؤداه) (إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) (إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها وإنها مثل المسلم وهى النخلة) خ ﺣ ١ (العلم) ص ١٤ .

(٧٧) والتفقه نماذج حيه لما كان يتمتع أهله بكياسة وحكمة . وقد نجد فى السنة ما ظاهره التعارض فيجدر أن نتفهمه بحكمة (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) (إن الرزق لاتنقصه المعصية) .

ولنعلم أن ماعند الله هو خير وأبقى . والتقوى من أحسن الأرزاق فيحرمها من وقع فى الذنب . أماالرزق المادى فقد يكون العصاة أكثرالناس تملكا له . وبنحو هذا يستقيم معنى الحديثين السابقين .

(٧٨) ومعلوم أن ارتكاب الذنوب حرمان من خير عميم (من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا) .

(٧٩) وقد دعا الإسلام للإنفاق وحض عليه ليتغلب الإنسان على نفسه ومافيها من حرص على الدنيا . ومن الناس من يتيقظ فى آخر عهده بها . والكيس من جعل الآخرة أكبر همه ومنتهى أمله ، وجعل الدنيا وسيلةاليها (مثل الذى تصدق عند الموت مثلالذى يهدى بعد ماشبع)(من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة.ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له فلا يمسى إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا . وماأقبل عبدعلى الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد اليه بالود والرحمة ، وكان الله

بكل خير اليه أسرع) (من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى) .

هذا الضرر يحدث لو أن إنسانا خير بين أمرين أحدهما يجلب عليه دنيا ويغضب ربه ، والآخر يرضى ربه ويبعد عنه دنيا . فعليه أن يختار مايبقى على مايفنى . وحين لا يكون التعارض فمن أحب آخرته كفاه الله أمر دنياه .

(٨٠) وعلى الإنسان ألا يأخذ من الدنيا إلا بالقدر الذى لا يغريه بها . ومن الناس من يمد يده فيسأل غيره وهو فى غنى عن هذا السؤال . والويل له (من سأل وعنده مايغنيه فإنما يستجمع من جمر جهنم . قالوا : ومايغنيه ؟ قال : مايغديه ويعشيه) .

(٨١) والكيس يدرك أن خير ما أكله هو ما كان من نتاج يده وبكده هو (ماأكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن داود كان يأكل من عمل يده فى الدروع من الحديد) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٨٢) ويخلط الناس بين الإنفاق والتبذير . وفى الحديث : (التبذير إنفاق المال فى غير حقه) .

فقرش واحد فى غير حقه تبذير . وآلاف الجنيهات التى توضع فى حقها لاتبذير فيها .

(٨٣) ويشتد تلاعب الشيطان بالإنسان كلما قلت كياسته . فسكر أو غضب أو بخل بما لا يؤثر عليه . قال ابليس : (ماأعجزنى بنوا آدم فلم يعجزونى فى ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بماأحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ، والثالثة نبخله بما فى يده ونمنيه بما لا يقدر عليه) .

(٨٤) وهذا تعريف للكيس من الناس : (يارسول الله : من أكيس

الناس وأكرمهم ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم إستعدادا له ـ أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) .

(٨٥) وإذا كانت الدنيا ممرا إلى الآخرة كان على الكيس أن يتجنب مافيها من أخطار (ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء)[١] (أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير) .

(٨٦) وخير وجهة للإنسان فى حياته هى ما كانت لله ـ فلا اعتزاز إلا به ولاخوف إلا منه (وإن أشرف المجالس مااستقبل به القبلة ، ومن أحب أن يكون أعز الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده) .

(٨٧) والمؤمن الكيس يجب أن يكون صورة عملية لدينه (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء) .

(٨٨) فيحب كل من نصر دينه ويبغض كل من خذله (آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار) خ حـ ١ (الإيمان) صـ ٩ .

(٨٩) ومن الناس من يفقدون دينهم لشهوة عارضة فيسكرون ويرتكبون مالا يحل ، وهذا العمل لا كياسة فيه وانذار بفنائهم ، ومن أجل هذا نهى عن الخمر وعن أوعيتها التى توضع فيها (نهى عن الحنتم ، والدباء ، والنقير ، والمزفت ، والمقير) .

(٩٠) (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا) خ حـ ١ (العلم) صـ ١٦ .

---

(١) خ حـ ٢ (النكاح) صـ ١١٩ .

(٩١) ولقد كانت مجالس النبي يستنبط فيها كياسة السائل أو غفلته (يارسول الله فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال : إذا رأت الماء . قالت امرأة : أو تحتلم المرأة ؟ قال : نعم . تربت يمينك فبم يشبهها ولدها)(١) .

(٩٢) والكياسة تفتح للإنسان أبوابا من الخير وتزيد من رزقه (بين أيوب يغتسل عريانا فخرج عليه جراد من ذهب فجعل يحثى فى ثوبه . فناداه ربه : ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ولكن لا غنى لى عن بركتك)(٢) .

(٩٣) وأحيانا تكون الحيطة فى غير موضعها . ويروى أن رجلا جنبا أبى أن يجلس مع النبي حتى يتطهر . وهذه حيطة لا داعى لها ولذا فقد قال له النبي : (سبحان الله إن المؤمن لا ينجس) خ ح ١ (الغسل) ص ٣١ .

(٩٤) والكياسة لازمة للمفتى . ومن المعلوم أن الإسلام حرم التصوير الذى لا فائدة منه . ويروى أن ابن عباس قال لمن لا عمل له إلا التصوير لما أخافه وعيد النبي . قال له : (إن كان ولا بد فعليك بالشجر ومالا روح فيه) خ ح ١ (البيوع) ص ١٣٥ .

(٩٥) ومما يتساءل الناس عنه حديث: (تدرى أين تذهب يريد الشمس؟ ثم قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها . وتستأذن فلا يؤذن لها — يقال لها إرجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله : والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) خ ح ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ ، ٣٣ .

---

(١) خ ح ١ (العلم) ص ٢٢ .
(٢) خ ح ١ (الغسل) ص ٣١ .

يتساءلون عن سجودها وهى لا تغيب عن أعين الناس إن غربت فى بلد أشرقت فى آخر . ومن معانى السجود فى اللغة الميل . ولم لا يكون هذا كناية عن سيطرة الله على كل شىء ؟ فهو الذى يحرك الشمس ويسخرها ويأذن لها بالسير أو التوقف . والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة فإن قال عالم الشمس لا تجرى فسيجىء آخر يقول بعكس ما قال . وكم شاهدنا ذلك كثيرا — (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

(٩٦) والكيس يستنبط العلة ويقيس الأمور على أشباهها ، ويدرك أن الناس قد يتأثرون بفكرة تصل إليهم ومن هنا نرى قياسا فى قوله (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها)(١).

(٩٧) والكياسة فى الرجل أكثر من المرأة (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية ومريم : وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)(٢)(خير نسائها مريم ، وخير نسائها خديجة) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٩٨) والأنبياء هم أكيس الخلق وأكملهم . وما ينسب إليهم ودالا على غير هذا يجب تأويله — ومن ذلك (رأى عيسى رجلا يسرق فقال : أسرقت ؟ فحلف أن لا . فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت عينى) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥ .

لا يفهم من هذا سذاجة ولكن هى كياسة . فلما حلف الرجل تصور عيسى أن الرجل مأذون له ، والمأذون له لا يعد سارقا .

(٩٩) ولقد كان النبى يقيسنا على من تقدمنا من الأمم ، ويحذرنا ويكل

---

(١) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٨ .
(٢) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

كل إنسان إلى كياسته (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥ ، ٤٦ .

(١٠٠) ولكي نتجنب شرور التقليد الذى يفقدنا شخصيتنا ويضيع كياستنا — أمرنا ألا نقلد (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٦ .

(١٠١) ويجب أن يعتز الانسان بكرامته لا يتمسح فى غيره (ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار) خ حـ ٢ (مناقب قريش) ص ٤٨ .

(١٠٢) والكيس هو الذى يميز بين الأشياء ، فلا يخلط . ويروى إستأذن حسان فى هجاء المشركين فقال له النبى : كيف بنسبى ؟ قال حسان : لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٣ .

(١٠٣) ومن الكياسة أن تطلب تأييد الحق بأى مؤيد ولو كان فاجراً (إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر) خ حـ ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١٠٤) ولا يغرن أحداً كياسته فلا بد أن يضاف إليها الخوف من الله (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) خ حـ ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١٠٥) وانظر إلى كياسة النبى حين قدم عليه وفد فأدرك بفطنته ما تنطوى عليه نفوسهم (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا — الإيمان يمان والحكمة يمنية) خ حـ ٢ (قدوم الأشعريين) ص ٩١ .

(١٠٦) وفى قصة السائل عمن وجد مع امرأته أجنبيا دليل على الكياسة.

قال للنبي : (أيقتله فتقتلونه ؟ فأمرهما بالملاعنة وإلحاق الطفل بشبيهه إن كان الأب وإلا نسب لأمه) خ حـ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٨ .

(١٠٧) ومن الناس الأبله الذي يحسب أن كل شيء في الآخرة يسير كما في الدنيا فيسأل : (كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال النبي : أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه يوم القيامة على وجهه ؟) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٩ .

(١٠٨) ولما نزلت وآخرين منهم لم يلحقوا بهم . قال النبي (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء يشير إلى سلمان الفارسي) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣ .

(١٠٩) والكيس هو الذي يزن الكلام . وقد سبق أن أشرت إلى نوع من أدوية الدين والموقف منه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (الشفاء في ثلاثة — شربة عسل وشرطة محجم وكية نار . وأنهى أمتي عن الكي)(١) (وأيضا قوله : إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري ، ولا تعذبوا صبيانكم بالغز من العذرة وعليكم بالقسط) خ حـ ٢ (الطب) ص ١٣٥ .

وكان للنبي حجام يقال له أبو طيبة نافع أو ميسرة . ولا يلزم من شفاء رجل بعلاج شفاء جميع الناس . كما لا يصح إنكار علاج لم يشف منه بعض الناس .

(١١٠) ومن الكياسة الثورة على كل تقليد غير مفيد . فلقد اشتهر أهل الجاهلية بطول الثياب تعبيراً عن الثراء فجاء الإسلام يقرر (ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار)(٢) (خالفوا المشركين ووفروا اللحى

---

(١) خ حـ ٢ (الطب) ص ١٣٤

(٢) خ حـ ٢ (اللباس) ص ١٣٧ .

واحفوا الشارب)(١) (وقد ثبت أنه نهى عن القزع وهو قص بعض الشارب) خ ﺣ ٢ (اللباس) ص ١٣٨

وهكذا يجب استقلال شخصيتنا .

(١١١) وكان رسول الله خبيراً بالناس ويقول عنهم : (إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة)(٢) .

(١١٢) وكانت لهذه الكياسة صداها فى نفوس أصحابه . فعن حذيفة : (إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان) خ ﺣ ٢ الفتن ص ١٥٥

(١١٣) وقال على : الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب أو عقاب . وقال بعض الحكماء : العلم كله بلاء حتى يعمل به .

وكان أيوب عليه السلام لا يسمع أحداً يحلف إلا كفر عنه . وقال يوسف : أخاف أن أشبع فانسى الجياع .

وقالت الريح لسليمان لما لصق القميص بجسمه فتلذذ : إنما أمرنا أن نطيعك ما أطعت الله ووضعته على الأرض . وهكذا يجب ألا يعطى الإنسان للدنيا أكثر مما تستحق .

وفى الحديث : (من جعل الهم هما واحدا كفاه الله سائر همومه) .

وقال عيسى : بحق أقول لكم إن حب الدنيا رأس كل خطيئة وفى المال داء كبير . قالوا : وما داؤه ؟ قال : لا يعطى حقه . قالوا : فإن أعطى ؟ قال : يكون فيه فخر وخيلاء . قالوا : فإن لم يكن ؟ قال : يشغلك اسطصلاحه

---

(١) خ ﺣ ٢ (اللباس) ص ١٣٨

(٢) خ ﺣ ٢ (الإستئذان) ص ١٤٥

عن ذكر الله . ويروى : يقول ابن عوف للنبي حين يفتقده على الصراط ويحبس ابن عوف . يقول : (لم أزل أحاسب بعدل كثرة مالى حتى جرى منى من العرق ما لو وردت عليه سبعون من الإبل عطاشا قد أكلت حمضا لصدرت عنه رواء) .

(١١٤) وانظر كيف يطالب الإسلام بالكياسة فى تصريف المال (الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا)(١) (ما من غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أن الله تعالى كان قد جعل رزقه فى الدنيا قوتا) .

(١١٥) وقال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف غبنوا سهروا الحمقى وصيامهم ، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمال المغترين .

ويروى : تلك الدنيا تمثلت لى فقلت إليك عنى . قالت : إن تنج منى فلن ينجو منى من بعدك . قال أبو بكر : فأخاف أن تكون قد أدركتنى ونحى الإناء وبكى . وقال الفضيل : المتوكل على الله الواثق به لايتهمه ولا يخاف خذلانه .

وقال بعض الحكماء : إن دون كل باب عقبة فن تجسم ركوبها أفضت به إلى الراحة ، ومن هاله ركوب العقبة فلم يرقها بقى مكانه . ويروى : غنيمة الصديقين ما انزوى عنهم من الدنيا .

(١١٦) وقد وعظ النساء قائلا لهن : (عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولاتغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات) .

(١١٧) والناس يعظمون الكعبة ـ وهى حقا معظمه لـن أنظر كيف

---

(١) خ ح ١ (الحجر) ص ١٤٦

يضعها النبي فى الموضع اللائق بها ـ فيقول مخاطبا لها (ما أجلك وأجمل ريحك ، وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن عند الله أعظم حرمة منك حرمة دمه . وماله) .

(١١٨) ويوم ينسى المسلمون هذه المقررات فقد صح فيهم (بطن الأرض خير لكم من ظهرها) .

(١١٩) ويوم أن يفقه المسلمون تلك المقررات فستدوم لهم الكلمة وتحق لهم السيادة ، ويكون كل شيء نافعا فى الدنيا من نصيبهم كما قال النبي عنه : (تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله) .

الموضوع السادس والعشرون

﴿ العدل ﴾

(١) به قامت السموات والأرض ، وعليه تستقيم مصالح الخلق . وقد التزم الله به وألزمنا به بعد ذلك ، ونهانا عن الظلم بعد أن حرمه على نفسه . وجعل الدنيا فرصة ممنوحة لكل مكلف ليسأل بعددا عن مدى استمساكه بهذا المبدأ - فإن أخذ فوق حقه فذلك هو الجور الذى لم يرض الله عنه . والحقيقة التى لامفر منها هى إما أن نقيم العدل فيما بيننا ، أوسنسأل عنه ، ثم يطبق الله عدله فينا (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) أى من صاحبها .

(٢) ومن حكمة الله أنه لم يجعل الخطأ مبرراً للخطأ ، ولا الفجور مبرراً لظلم الفاجر - فهذا شىء وذاك شىء ، ومن عدله أن (دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) .

(٣) وإذا لم يكن العدل كان الظلم الذى لاقيام للحق معه . ولقد أحسن الشارع حين جمع بينه وبين الشح . فالشح حبس الخير والظلم إطلاق الشر . وفى الحديث (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم - حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) خ حـ١ (المظالم) ص ١٤٨

(٤) ولقد بلغ التشريع الإسلامى ذروة العدل وقمة الفضل ، وكشف لنا عن بعض نماذج العدل التى يطبقها الله بين خلقه . ومنها أن الإستتار بالمعصية أقل إثماً من المجاهرة بها - فالمجاهر فضح نفسه . فليس من العدل أن تناله المغفرة ويسوى بينه وبين المتقين ، أوحتى بين العصاه المستورين الذين لم يعلم أحد بجرائمهم (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل

الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول. يافلان عملت البارحه كذا وكذا ، وقد بات يستره الله فيصبح يكشف ستر الله) خ حـ ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٥) وإذا كان العدل هو أخذ الحق وأعطاؤه بالقسطاس . فإن الإسلام بعد أن قرره وأوجبه إرتقى بأصحاب الحقوق بعد أن ملكهم حقهم إرتقى بهم إلى درجة أسمى من العدل ـ درجة التسامح بعد المقدرة . وأما المتسامحون فهم الرحماء وأولى الناس بدار السلام (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ كل قريب هين لين سهل) .

(٦) أما حقوق الجماعة فليس لأحد أن يتنازل عنها أو يتسامح فيها ـ وهى المعروفة بالحدود . ولما سرقت امرأة من قريش وأهمهم قطع يدها ـ كلموا أسامة بن زيد حب النبي ليشفع لها : فقال له النبي يعظه ويرشد الأمة (أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ وخطب قائلا : إنما أهلك من قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) خ حـ ٢ (فضائل الصحابة) صـ ٥٩

(٧) ومن العدل أن يطالب كل ملتزم بما التزم به ، وأن يفى كل بوعده متى تعهد . وبصرف النظر عن معاهده ـ فتى قبل العهد فإن من العدل أن يسأل عنه (أيما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله فأنا من القاتل برىء وإن كان المقتول كافراً) .

(٨) وكل من أخذ من غيره شيئاً فهو دين عليه يقاضى عليه بالعدل (إن الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة إذا مات ، إلا من تدين فى ثلاث خلال : الرجل تضعف قوته فى سبيل الله فيستدين يتقوى به على عدو الله وعدوه . ورجل يموت عنده مسلم فلا يجد مايكفنه به ويواريه إلا بدين ،

ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه — فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة) .

وبالتأمل إلى تلك الديون الثلاثة التى يقضيها الله عن العبد — نعلم أن كلها كانت للمصلحة العامة . فدفن الميت والجهاد فى سبيل الله والزواج خوفا على الدين بدين لابعد اليد ولكن بعفة — كل هذه مصالح فواتها يهدد المجتمع .

(٩) ولقد راعى الاسلام حرمة أموال الناس وأوجب المحافظة عليها ، وتوعد المتلفين لها ، وجازى الله بالإحسان من يأخذها لينتفع بها ثم يردها (من أخذ أموال الناس يريد آداءها أدى الله عنه . ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) خ حـ ١ (الحجر) ص ١٤٦

(١٠) والدين يجب سداده ، فإن العدل أن يرد كل شىء لصاحبه . والذين قتلوا فى سبيل الله لم يزالوا مسئولين عن ديونهم (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين) .

(١١) ولما كان الإنسان لايعلم الغيب فإن قيد نفسه بيمينه ثم كشف له الغيب عن شىء هو خير مما تقيد به — فمن العدل أن يفعل الخير ولا يهدر يمينه ولكن يكفر عنه ، جمعاً بين مصلحته وعظمة الله الذى حلف به (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير) خ حـ ٢ (قدوم الأشعريين) ص ٩١

(١٢) ومن العدل العقاب على المعاصى والتناسب بين العقوبه والجريمة ، وألا يقصد من العقاب الإنتقام بل التقويم . ويروى أن رجلا عيره أبوذر بأمه وقال يا ابن السوداء . فقال له النبى : (إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم وخولكم — فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم مايغلبهم — فإن كلفتموهم فأعينوهم) خ حـ ١ (الايمان) ص ١١

(١٣) ولقد أجمل الإسلام وأحسن حين أوصى المخدومين بالاحسان إلى خدمهم ؛ فهذا مقام قد يضيع فيه العدل فضلا عن الإحسان ـ ولذا نرى الإسلام يأمر بهما مع كل الناس وأخصهم الضعفاء منهم (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين ـ فإنه ولى علاجه) خ حـ ٢ العتق ص ١٥٢

(١٤) وكلما كان العمل شاقا كان الأجر مضاعفاً ـ وهذا عدل الله (إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين) .

(١٥) وهكذا يكون الأجر حسب المشقة ، وتقدر الأجور بعد تقويم العمل (ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وبمحمد . والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه . ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران)(١) .

(١٦) وكلما إشتط الناس كان الأجر على الاستقامة أعظم ـ وهذا من العدل . فالذى تغلب على البيئة ونجا من عدوى الشر ـ من العدل إجلال عمله (العبادة فى الهرج كهجرة إلى) .

(١٧) ومن العدل مراعاة شعور صاحب الحق . فإن تسامحوا معه إذا انفعل وهو يطالب بحقه لكن إلى حد ما . وفى الحديث لمن طالب بحقه (دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ، أعطوه سنا مثل سنه . قالوا : لا نجد إلا أمثل منها . قال : أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء) خ حـ ١ (الوكالة) ص ١٣٩ ، ١٤٠

(١٨) ويجب على المسلم أن يكون مرهف الحس يقبل المعذرة ـ فمن

---

(١) خ حـ ١ (العلم) ص ١٨

العدل قبولها . فإن كان المعتذر صادقا فلاحق لك عنده . وإن كان كاذبا فاعتذراه تعبير عن ندمه . وليس من العدل أن ترفض اعتذاره (من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة مكس) .

(١٩) والعفو والتسامح يفتحان لصاحبهما أبوابا من الرحمة . والتشدد يحرمه من خير عظيم (من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد على الحوض) .

(٢٠) والقساه الذين يجودون على غيرهم ولا يقيمون العدل فيما بينهم — هؤلاء من شرار الخلق (ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى . قال : إن شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده . أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يارسول الله . قال : من يبغض الناس ويبغضونه . قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى . قال : الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا . قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى . قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره) .

(٢١) وتكبير الجريمة بمقدار آثارها وترويعها وهتكها للفضيلة ومن ثم كانت جرائم الأعراض من أبشعها (أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ، ثم قرأ « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا » .

وكلما كان الإتهام كذبا كان العقاب عليه أشد ، وهذا من العدل (من ذكر امرىء بشىء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ماقال فيه) .

(٢٣) وكلما انتشرت الإشاعة بالباطل كان من العدل تشديد العقاب ، نظرا لما تحدثه من آثار (أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها

برىء يشينه بها فى الدنيا ، كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى بنفاد ماقال) .

(٢٤) والذين يفسدون بين الناس بما يختلقون من أكاذيب فإنهم أصحاب النار (لايدخل الجنة نمام أو قتات) خ ج ٢ الأدب ص ١٤٠ .

(٢٥) ولقد جاء الإسلام يعالج فساد القلوب واعوجاج السلوك ، ولا تجتمع تعاليمه وشيئا من ذلك الإعوجاج (إن النميمة والحقد فى النار لايجتمعان فى قلب مسلم) .

(٢٦) وإذا كان من العدل إنزال العقاب بالجرم ، فإن من العدل كذلك إثابة المحسن (من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة) .

(٢٧) والتشهير بالناس ولو كانوا مخطئين لايليق . إلا من أذن الله أن تشهر بهم (من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤودة) .

(٢٨) ومن ادعى شيئا ليس له بأهل فمن العدل عقابه (ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ) (١) .

(٢٩) وكذا من عظم الحقير أو عاد إلى مانهاه الله عنه (من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال . ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة . وليس على رجل نذر فيما لايملكه . ولعن المؤمن كقتله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

(٣٠) ومن العدل أن نلتزم بما أمرنا به خالقنا ، فلا نلعن إلا من لعنهم الله ، ولا نعذب بما يعذب به الله العصاه (لاتلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار) .

---

(١) خ ج ١ (البيوع) ص ١٣٥ .

(٣١) ومن العدل التسوية بين الشيئين إن كانت نتيجتهما واحدة (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) خ جـ ١ (الإيمان) صـ ١٣ .

(٣٢) ومن العدل أن يتحمل الإنسان نتيجة يحاول أن يحملها لغيره إثما وعدوانا (لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) خ جـ ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

(٣٣) والبادى بالشر أظلم مالم يرتكب الآخر أضعاف ماارتكبه المبتدىء ـ هـــذا هو العدل (المتسابان ماقالا فعلى البادي منهما حتى يعتدى المظلوم) .

(٣٤) وإذا كان التشريع الدنيوى لايطبق أحيانا لظروف وملابسات ـ فليس معنى ذلك ضياع العدل . ولكن من فاته حقه فى الدنيا أخذه فى الآخرة تحقيقا لمبدأ العدل (من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال) خ جـ ٢ (المحاربين) ص ١٥١ .

(٣٥) وعلى الحاكم أن يحكم بالعدل بين الناس من غير تجسس ولا تتبع للعورات فإن فى ذلك فسادا كبيرا (إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم) .

(٣٦) ومن العدل أن يكون العقاب بالمثل فيما تمكن فيه المماثلة (من سمع سمع الله به ، ومن يرائى يرائى الله به) خ جـ ٢ (الاستئذان) صـ ١٤٥ .

(٣٧) ولا يعاقب الإسلام على مجرد النية ، ولكن على المعصية التى وقعت بالفعل . فإن كانت مقدماتها تعد فى ذاتها معصية عوقب عليها صاحبها وإلا فلا . ولا احتجاج بقضاء الله فإننا لانعلمه (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة . العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الإستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها

الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) خ ج ٢ (الأحكام) ص ١٥٦ .

(٣٨) ومن الظلم أن يتهاون الإنسان ولا يتمسك الحق الذى قرره الشارع ، فيضيع بذلك العدل وتحل محله الخيانات والظلمات (أياكم والدخول على النساء . فقال رجل : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت) خ ج ٢ (النكاح) ص ١٢٤ .

(٣٩) ومن القواعد المقررة أن ماجعلته لله كان عليك ألا تأخذ منه شيئا ـ وهذا أمر تعبدى . وفى الحديث : (من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذى الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا حتى يضحى) .

(٤٠) والمرء العاقل من العدل أن يصبح كلامه حجة عليه (من حلف فقال أنا برىء من الإسلام ـ فإن كان كذبا فهو كما قال ، وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالما) .

(٤١) والحلف إلتزام أمام الله فيجب فيه الصدق والحزم معا (من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان . ثم قرأ : إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا ، أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) خ ح ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٤٢) ولما كان الناس قد يصدقون إن حلف لهم غيرهم كانت جريمة من خدع الناس بيمينه أعظم (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . فقال له رجل : وإن كان شيئا يسيرا يارسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيبا من أراك) .

(٤٣) ومن أجل هذا حذر الإسلام من الحلف خصوصا فى الأماكن

التى كثيرا مايخدع فيها العبد (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب) خ جـ١ (البيوع) ص ١٣٠ .

(٤٤) ومن العدل ألا نطلب بالعظيم إلا العظيم (لايسأل بوجه الله إلا الجنة) .

(٤٥) وعلى المرء أن يكون يقظا (من استعاذ بالله فأعيذوه . ومن سألكم بالله فأعطوه . ومن دعاكم فأجيبوه . ومن صنع لكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ماتكافئونه به فادعوا له بخير حتى تروا أنكم قد كافأتموه) .

(٤٦) ومن العدل أن من طلب الحرام عوقب بنقيض ماطلب ورجع عليه اثمه (من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) .

(٤٧) والزوجان التزما معا بعهد الله وميثاقه ، فيجب الوفاء على كل منهما (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانا عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) خ جـ٢ (بدء الخلق) ص ٣٤ .

(٤٨) وهكذا كل من التزم بشىء فقد وجب عليه الوفاء (أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة) .

(٤٩) ويجب ألا يعرض الإنسان غيره لما يؤذيه ، كما يجب الإلتزام بالقواعد الصحية وعقاب من يخالفها (اتقوا اللاعنين . قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذى يتخلى فى طريق الناس وظلهم) .

(٥٠) وفى الحديث الآخر : (لايبولن أحدكم فى الماء الراكد)(١) .

(٥١) ومن عدله سبحانه أن جعل أمانته فى عنق الإنسان بعد أن أبت حملها السموات والأرض . وسواء كان الحمل التكليف بها أم خيانته لها - فمن المؤكد أنه المكلف لأنه سيد هذا الوجود فإذا قام بما كلف به استحق الأجر وإلا فقد تخلى عن أهم ميزة فيه .

---

(١) خ جـ١ (الوضوء) ص ٢٩ .

وفى معنى الحديث (لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتتكفأ ، فأرساها بالجبال فاستقرت فتعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت ياربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبـــال ؟ قال : نعم الحديد وأشد من الحديد النار وأشد منها الماء وأشد منه الريح وأشد منه ابن آدم إذا تصدق صدقة بيمينه فأخفاها عن شماله) وهكذا فإن الإنسان يصبح مسخرا كل شىء ، ومسخرا له كل شىء إذا استجاب لربه .

والذين يتعيشون بالكذب على هذا وذاك،فمن عدل الله معهم أن يذيقهم سوء العذاب (من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسى ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة) .

(٥٣) ومن يعتدى يلق جزاءه (وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) .

ولقد أوجب الله العدل على الناس لمصلحتهم ، وتدخلت عنايته فيما بينهم تشرف وتعاقب كل من خرج عليه (مامن مسلمين الا وبينهما ستر من الله عز وجل ـ فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر فقد خرق ستر الله) .

(٥٥) والإحسان فوق العدل وإن كان فى العدل نوع من الإحسان .

ولقد أوصى الله بالإحسان إلى المسىء (من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء) .

(٥٦) ولقد جاء الإسلام بطريقة تحبب الناس فى العفو من غير أن يرغمهم عليه ، ولا إثم على من يطالب بحقه لأنه العدل ، لكن الإحسان درجة فوقه (ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات ؟ قالوا : بلى .

قال : تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك) .

(٥٧) وقد يظن البعض أن تفاوت الناس فى الرزق مناف للعدل. ونسوا أن كل إنسان سيحاسب على ماعنده (أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة) .

(٥٨) وليست الدنيا وحدها هى التى ينظر اليها فى مجال التطبيق لعدل الله ولكن عدله كذلك فى الآخرة . وهذه منزلة الدنيا عنده (إن الله ضرب مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا) .

(٥٩) ومن ظن أن الدنيا منتهى أمله فعمل فيها كأنه لاحياة بعدها فله ذلك الوعيد (من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مزلة يوم القيامة وألهب فيه نارا) .

(٦٠) ومن العدل أن تقيد المباحات عند الحاجة اليها ـ فالذهب مباح للنساء ، والمعصفر كذلك . فإذا كانت هناك حاجة إلى الذهب أو فتنة إلى المعصفر فالتقييد هو الشرع (ويل للنساء من الأحمرين: الذهب والمعصفر).

(٦١) والمسلم يؤجر على كل شىء إلا على شىء لافائدة منه ـ كتشييد القبور وإقامة الأضرحة وغير ذلك (إن المسلم يؤجر فى كل شىء ينفقه إلا فى شىء يجعله فى هذا التراب) .

(٦٢) ولا قيمة لرأى مبتدع فى الدين ماليس منه (إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى) .

(٦٣) وانظر إلى العدل الذى توهمه البعض تعصبا فصحح لهم النبى فهمه (انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا : ننصره وهو مظلوم فكيف ننصره وهو ظالم ؟ قال : تحجزه عن ظلمه فذلك نصره) خ جـ ١ (المظالم) صـ ١٤٨

(٦٤) ويجب على كل إنسان أن يساهم فى رفع الظلم كل وما يستطيع (لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه) .

(٦٥) وهذه مبادىء قامت على العدل (اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة ـ أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم) .

(٦٦) وقد أمر الله الناس أن يشهدوا بالحق ولو على أنفسهم ، وحذرهم من كتمان الشهادة أو شهادة الزور (لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار . ومن كتم شهادة دعى اليها كان كأنما شهد الزور) .

(٦٧) ومن قضائه العادل صلوات الله وسلامه عليه أن قرر فى اللعان إذا جحد النسب (الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وأمر سوده أن تحتجب منه) خ حـ ١ (البيوع) صـ ١٢٨ ، ١٢٩

كانت تظن أنه عمها من الرضاع . فلما ثبت خلافه أمرت بالحجاب .

(٦٨) وكل من آمن بنبى ورسول فهو من المأجورين إن توافرت فيه باقى شروط الإيمان ، وإلا فإنه لا أجر له وإن آمن بالبعض وكفر بالبعض وذلك قسطاس مستقيم ـ بل عليه عقاب . وفى معنى الحديث (مثل اليهود والنصارى والمسلمين برجل استأجر أجراء بالنهار فعملا كل من اليهود والنصارى إلى العصر ، وعمل المسلمون إلى آخر النهار فاستحقوا أجرهم كاملا بعدما رفض اليهود والنصارى العمل بقية اليوم) خ حـ ١ (مواقيت الصلاة) صـ ٥٢ بالمعنى .

(٦٩) ولمراعاة هذا المبدأ المقدس فرق الإسلام بين عقوبة الأعزاب والمتزوج فى الزنا (إن ابنى كان عسيفا على هذا فزنا بامرأته وإنى أخبرت

أن ابني عليه الرجم فافتديته منه بمائة شاه ووليدة فسألت أهل العلم فأخبرونى أنما على إبنى مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم . فقال النبي: الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام . اغدو يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها . فاعترفت . فأمر برجمها) بخ حـ ٢ صـ ٧ (الشروط) .

(٧٠) ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى. والعدل مع العدو أحق وأجدر تعبير عن سماحة الإسلام (لما فدع(١) أهل خيبر ابن عمر قال عمر لأحد بنى الحقيق : لم أنس قول النبي كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك(٢) ليلة بعد ليله . فقال اليهودى: كانت هزيلة من أبى القاسم . فقال له عمر كذبت . وأجلاهم وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر) بخ حـ ٢ (الشروط) صـ ٧ ، ٨

(٧١) ومن الناس من تبلغ فيه الفطنة مبلغا قد لا يتفق لغيره مثل ذلك . فمن العدل أن يكون لهذا مايختلف عن ذلك ـ وهذا أمر بديهى . وبناء عليه فلا غرابة إن رأينا شهادة الرجل بشهادة امرأتين ، وشهادة أحد الرجال كخزيمة الأنصارى بشهادة رجلين . ويروى (نسخ ابن ثابت فنسى آية من الأحزاب ووجدها مع خزيمة الأنصارى وقد جعل النبي شهادته بشهادة رجلين ـ والآيه : من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه)(٣) .

ومن المعلوم أن القرآن نقل متواترا . ولا يقال إن هذه الآية نقلت بخبر الواحد ، فقد كانت معروفة . وأكثر الصحابة يعرفون أنها نزلت فى أنس بن النضر ـ فاذا كتبها ابن ثابت عن رجل جعلت شهادته بشهادة اثنين

---

(١) أصيب فى رسغ يده .

(٢) الفتى من الإبل .

(٣) بخ حـ ١ (الحور) صـ ١٥ ، ١٦

فلا ينافى أن مائة صحابى كانوا يحفظونها ـ فثبت تواترها .

(٧٢) ولقد ثبت أن معرفة أقدار الرجال له قيمته . وهذا ما كان النبى دائم التنبيه عليه ـ وتلك إشارة منه لامرأة (إنى أرحمها قتل أخوها معى) خ حـ ٢ (الحور) صـ ١٧ ، ١٨

(٧٣) ولكل انسان حق الدفاع عن نفسه . ويروى أن رجلا أهدر سنا بيده كان صاحب السن قد عض عليها ـ فشكاه إلى النبى . فقال له : (أيدفع يده اليك فتقضمها كما يقضم الفحل ؟ وأهدر سنه) خ حـ ٢ (الحور) صـ ٢٢ .

(٧٤) وإذا كان الإنسان يعمل عملا ثم انقطع عنه من غير تعمد فهو أحق بالأجر عدالة . ومن هنا كان المريض أحق براتبه فى مرضه منه وهو صحيح يعمل . وعلى هذا القسطاس المستقيم جاء الحديث : (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا) ح حـ ٢ (الحور) صـ ٢٣ .

(٧٥) ويجب احترام العهود (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسافة أربعين عاما)(١) .

(٧٦) وكل عمل يجب أن يوضع فى موضعه ـ فاذا لم يوضع كان الظلم الذى يستجار منه إلى الله (من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول : يارب إن فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة) .

(٧٧) وأجدر الأشياء بهذا هو المال . فمن أجل الصلاة الجماعية وتيسير الخير ـ يجب أن يوضع (إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاه) .

(٧٨) ويجب منع الظالم عن الاستمرار فى ظلمه ومقابلته بالمثل . وفى

---

(١) ح حـ ٢ (الحور صـ ٣١) .

الحديث قال لحسان : (أهجهم أوهاجهم وجبريل معك) خ حـ ٢ بدء الخلق ص ٣٣

(٧٩) وعلى القاضى أن يكون بصيراً بالأمور لا يصدق كل ما يقال له ، وعليه أن يتحرى العدل (لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم ذكروها بالله واقرءوا عليها إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٠

(٨٠) ومن العدل تعذيب الإنسان إن لم يحتمل ويصبر . فإن تسرع وانتحر فقد باء بمثل ما انتحر به وسوف يعذب كما انتحر (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً يتردى . ومن تحس سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً (خ حـ ٢) (الطب) ص ١٣٦

(٨١) والعدل فى جرائم الحدود أن سوى بين القليل والكثير — لأنها اعتداء على حق الجماعة ، ولأن القليل يؤدى إلى الكثير . ومع اشتراط النصاب فى القطع عند أكثر الفقهاء ، ولكن منهم من لا يشترطه ويقطع فى القليل والكثير وله قول النبى :(لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده) خ حـ ٢ (الحدود) ص ١٥١

(٨٢) وأعظم الجرائم جرائم الدماء (لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما) خ حـ ٢ (الديات) ص ١٥١

(٨٣) وللنفس حرمة . ولا يحل الدم إلا بمبرر مشروع (لايحل دم أمرىء مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث :

النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمفارق لدينه التارك للجماعة) خ حـ ٢ (الديات) ص ١٥٢

(٨٤) (إن أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد فى الحرم ، ومبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه) خ حـ٢ (الديات) ص ١٥٢

(٨٥) ويجب على القاضى أن يكون هادئا (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان) خ حـ ٢ (الأحكام) ص ١٥٦

(٨٦) ولقد أحسن الإسلام وأجمل حين جعل على المغتاب دعاء لمن اغتابه (إن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول : اللهم اغفر لنا وله) .

(٨٧) والمسلمون كالجسد الواحد يجب الدفاع عنهم كعضو من أعضائه (من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم. ومن رمى مسلماً بشىء يريد شينه حبسه الله على جسر من جهنم حتى يخرج مما قال) .

(٨٨) والحق أن خذلان المسلم جريمة . كما أن نصرته أمر لا بد منه . ومن وراء ذلك عدل الله يجازى كل بما قدم (مامن امرىء يخذل امرأ فى موضع تنتهك فيه حرمته وتنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته . ومامن امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موضع يحب فيه نصرته) .

الموضوع السابع والعشرون

على هامش المعاملات

(١) نتحدث فى هذا الموضوع عما يمس الأخلاق بطريق مباشر ، ولا نتحدث عنه من الناحية الفقهية إلا بقدر . وأول ما نتناوله الهبات والصدقات والتبرعات التى يبذلها الإنسان مختاراً راجياً مثوبة الله . تلك التبرعات لا يصح الرجوع فيها ولا الاحتيال على استردادها لأن ذلك ينافى المروءة وينقد العزم الذى عزم عليه المتبرع — وفوق هذا فهو عمل غير إنسانى . عن ابن عمر : (حملت(١) على فرس فى سبيل الله فأضاعه الذى كان عنده — فرأيت أن أشتريه وظننت أنه يبيعه برخص . فسألت النبى فقال لا تشتره ولا تعد فى صدقتك فإن العائد فى صدقته كالعائد فى قيئه) خ ﺣ ١ (الزكاة) ص ١٠٣

(٢) وكل فضيلة فلا مانع لدى الإسلام أن تكون من مقرراته . وكل أمر مشين فإن الإسلام يمقته ويستنكره ويهيب بالمسلم أن يجتنب كل الرذائل سواء كانت فى المعاملات أم فى غيرها (اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) خ ﺣ ٢ (الوصايا) ص ١٣

(٣) وإذا كان الربا هو الذى له صلة بموضوعنا فنرى إفراده بكلمة — لقد أحل الله البيع وحرم الربا ونهى عنه وتوعد بالنار والحرب كل متماد فيه، ونهى عن أكل الربا القليل منه والكثير . وقوله لا تأكلوا الربا أضعاف مضاعفة باعتبار ما كان . ولقد جاءت الآية وحرم الربا . وقوله ومن عاد

---

(١) أى تبرعت به فى سبيل الله .

فأولائك أصحاب النار هم فيها خالدون . واتفق المسلمون على أن تحريم الحلال فسق وأجمعوا على أن تحليل الحرام كفر - لكن يجب أن نفهم قواعد الإسلام ولا نرمى الناس بالبهتان . فكلمة الربا كلمة من المحتمل أن تكون مجملة لم تبين ، أوعامة خصصت . ولا خلاف فى أن متى ثبت الربا فهو حرام . لكن تختلف الأنظار فى صورة من الصور لايرى البعض بها بأساً لأنها ليست من صور الربا فى نظرهم. ويرى الآخرون أنها من صور الربا فيحرمونها. والحق لاخلاف بين الفريقين أنه متى ثبتت ربويتها فهى حرام - وإلا فهى مباحة ، وعليه فلا يتهم من يحلل سورة أنه أحل الربا : كلا ! إن مسلما لا يرضى أن يحلل مافيه شبهة فكيف بما لاشبهة فيه ؟

على أن الفقهاء والأئمة إختلفوا فى بعض الصور . ومع ذلك لم يكفر بعضهم بعضاً . وبمقتضى مذهب أهل الظاهر ألاربا إلا فى الأصناف الستة التى ذكرها الحديث - الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح . ومع ذلك لم يكفرهم أحد .

فإذا تعرضنا لصورة أبحناها أومنعناها فيجب أن يعلم أنها من وجهة نظر يشبهها بأقرب شيء لها ونحن ندرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن آكل الربا وموكله) .

(٤) ولايصح أن يخصص أحد الورثة بشيء من التركة لأن ذلك تفويت للعدل وإثارة للعداوة . وقد سبق حديث النعمان بن بشير لما أوصى له أبوه بغلام وجاء يشهد النبى على الوصية فقال : (أكل ولدك نحلت مثل هذا ؟ فقال : لا . قال: إرجع - إتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم ، أشهد عليه غيرى لا أشهد على جور . أيسرك أن يكونوا فى البر سواء ؟ قال ، نعم . قال : فلا إذن . كلها روايات)(١) .

---

(١) خ حـ ١ (الهبة) ص ١٥٤

(٥) ولقد حارب الإسلام الاستغلال فى أى صورة من صوره : وفيما ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه الإحتكار أو التدليس أو التلاعب بالأسعار (لا تتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى الأسواق) خ ح ١ (البيوع) ص ١٣٣

(٦) ونهى عن كل مافيه أضرار بالناس سواء فى ذلك البائع أم المشترى وسواء فى ذلك الضرر المباشر أم عن طريق السمسرة القائمة على الغش والخداع (لا تتلقوا الركبان ولا يبع حاضر لبادى . قالوا : مايبيع حاضر لبادى؟ قال: لايكون له سمسارا) خ ح ١ (البيوع) ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٧) وفيما يتعلق بالزواج تثور الضغائن نتيجة خاطب يتقدم إلى مخطوبة لشخص تقدم إليها من قبله ـ وهذا عمل قبيح وخلق سيء . وفوق هذا أنه لا يجوز شرعا مالم تفسخ الخطبة من قبل أن يخطب الثانى ولادخل له فى فسخها كما أن بعض السيدات تشترط على الخاطب أن يطلق زوجته أولا ـ وهذا حرام . فإما أن يقبل الرجل على حاله متزوجا وإما أن يرفض (ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه . ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ مافى آنيتها) خ ح ١ (البيوع) ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٨) ومن الناس من يغالى فى المديح فى سلعة أوفى مديح رجل ـ وهذا خطأ . وهل انتشر النفاق إلا من السكوت على مديح فى غير موضعه من مداح كذاب أشر . ويروى أن رجلا أثنى على رجل فقال له النبى :(ويحك قطعت عنق صاحبك يقوله مراراً إن كان أحدكم مادحا لامحالة فليقل : أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ولا يزكى على الله أحد) خ ح ٢ (الشهادات) ص ٥ ، ٦

(٩) وهكذا يرشدنا رسول السلام أن نقف أمام مروجى الكذب بالمرصاد (إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب)

(١٠) ولقد أرشدنا إلى أقوم الطرق وأيسر سبل التكسب الحلال (إن

أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا اشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمطلوا . وإذا كان لهم لم يعسروا) .

(١١) وتقوم المعاملات الإسلاميه على اساس الإسلام وقواعده (اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) .

(١٢) وقد أقام الإسلام للبيع والشراء قاعدة عادلة تقوم أساساً على الإختيار الحر ثم الإلتزام بما اتفق عليه بعد الصدق والوضوح (البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٠

(١٣) والغدر من أقبح الخصال (خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : البغى ، والغدر ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، ومعروف لايشكر) .

(١٤) والإخلاص فى العمل من أسمى الفضائل ، وسيمنح الله أطيب الجزاء لمن ضحى من أجله (من ضحى طيبة بها نفسه محتسباً لأضحيته كانت له حجاباً من النار) .

(١٥) وإذا كانت الأضحية نسكا معلوما دعا إليه الشارع فى وقت معلوم، فإن الإسلام ينهى عن التبذير ، ويقرر النبى (الإقتصاد نصف المعيشة) .

(١٦) ولا يجوز المقتصد على حق قرره الله لغيره ـ كأن يمنع الزكاة مقصداً ، فإن ذلك لايجوز. ويتساءل بعض الناس عن حكم التأميم ـ والمؤكد أنه قد أمم عمر رقعة من الكلأ وأبعد ماشية الأغنياء وقال : (فإنه إن تهلك ماشية الفقير يأتينى متضوعاً لأولاده يقول ياأمير المؤمنين طالباً الذهب والفضة وليس لى أن أتركه ـ فبذل العشب من الآن أيسر على من بذل الذهب والفضة يومئذ) .

وهذا يدلنا على أنه يجب أن يقصد به المصلحة وأن يلتزم بيت المال

بحاجة كل محتاج ، وأن يكون فى حدود ضيقه لا يشمل أصحاب الكسب الحلال قائماً على العدل حسب الطاقة .

(١٧) وإذا كانت الأضحية تحدثت عنها ـ فمن أحكامها أنها بعد صلاة العيد (ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له) خ حـ ١ (صلاة العيدين) ص ٧٤

(١٨) وإذا أراد إنسان أن يستبدل بورقة الخمسين قرشاً بدلها قروشا مثلا فإن ذلك هو المعروف بالصرف عند الفقهاء . ولهم فيه أحكام لا تتفق مع العصر الذى نعيش فيه ـ فمثلا لو دفعت جنيها إلى بدال فأبقى منه عشرة قروش حكم عليه بعدم الجواز لأنه إستبدال مال بمال ـ وهذا لا يجوز إن كان أحد العوضين ناقصاً وهما من جنس واحد . ورأينا فى هذا أنه يجوز لأنه لا استغلال فيه . وفى الحديث (وإن كان الصرف يداً بيد فلا بأس ، وإن كان نساء فلا يصلح) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٢٩ـ ونرى حكمة المنع هى الاستغلال ، ومتى انتفى الاستغلال وكان فى ذلك اليسر ومصالح الناس فلا نرى به بأساً .

(١٩) ومن المسائل التى تتصل بالوضع الإجتماعى الرهن وهو تمليك المرتهن عيناً نظير مال أو شىء يتسلمه الراهن . فإن أعطى للمرتهن حقه كان من حق الراهن استرداد عينه وهو مشروع بالكتاب « فرهان مقبوضة » وبالسنة : (رهن درعه عند يهودى وقال : ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وإن عنده لتسع نسوة) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٢٩

ولنا تعليق فى هذا الباب ـ نحسب أنه رهن تشريعاً للمسلمين أن يتعاملوا مع غيرهم كى لا يقال أين كان المسلمون وأغنياؤهم حين رهن نبيهم درعه عند يهودى ويتساءل الناس عن جواز الإنتفاع بالرهن . وجمهور الفقهاء يمنعه ، وأبو حنيفة يجيزه متى أباح الراهن الإنتفاع بالرهن للمرتهن . وللفقهاء وجهات نظر من المجيزين والمانعين : والذى نراه أنه لا بأس من الانتفاع

بالرهن بقدر مال المرتهن - فلودفع مائتى جنيه وأخذ من الراهن ماقيمته أربعمائه جنيه فإن له أن ينتفع بنصفه لأنه المساوى لما دفعه .

وإذا لم نجزهذا لماوجدنا من يقرض الناس أو يقبل أن يأخذ رهنا بلا فائدة والراهن يتمنى أن تظل غلة الرهن له ، ولكن لايجد من يقبل هذا الوضع .

ولقد أجزنا الإنتفاع تمشيا مع قول أبى حنيفة . أماالقرض الذى جر نفعا فلا نراه ينطبق على الراهن .

وتمشياً مع الاستحسان ومصالح الناس وتبادل المنافع - فالراهن انتفع بالمال ، والمرتهن لا بأس أن ينتفع بالرهن فى حدود المال الذى دفعه . والله أعلم .

(٢٠) والأصل فى المعاملات الجواز حتى يرد دليل بالمنع . كما أن الأصل فى العبادات البطلان حتى يرد إذن من الشارع . والحكم فى المعاملات يدور على المصالح وعدم الاستغلال - ومن أجل هذا ورد الحديث : (لاصاعين بصاع ولادرهمين بدرهم) خ حـ١ (البيوع) ص ١٣٠

(٢١) وللمصلحة الإنسانية يدور الجواز والنهى . ومن هنا جاء الأثر (نهى عن ثمن الدم) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٠

(٢٢) ولتجنب الغبن والنزاع فإن المبيع المكيل يجب كيله عند البيع (كيلوا طعامكم يبارك لكم) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٢

(٢٣) وكل مافيه غرر فهو باطل (نهى عن بيع حبل الحبلى - وهو بيع الناقة حتى تنتج مافى بطنها) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٣

(٢٤) ومن الناس من يتوسل لانتفاع غير مشروع بطريق البيع . ولذا قد جاء الحديث. (من اشترى غنما مصراة فاحتلبها فإن رضيها أمسكها ، وإن

سخطها ففى حلبتها صاع من تمر) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٣

هذا سد للاستغلال أورد المبيع بغير عيب فيه . والأخذ بهذا الحديث أولى من القياس الذى أخذ به البعض .

(٢٥) ويكثر كلام الناس حول الربا . ويتساءلون عن صورة بيع الذهب بالفضة مثلا مع التفاضل - هل هى من الربا أولا ؟ وهذه أقوال الفقهاء فى الربا أوردناها لإتمام الفائدة لهذا الموضوع الخطير .

(ا) أجمع العلماء على أنه لايجوز النسيئة فى الصنف الواحد مما احتواه الحديث . فلا يصح قدح بر الآن بقدحين بعد شهر . وكذلك التفاضل إلا ما نقل عن ابن عباس - فإنه يجوز عنده قدح بر بقدح وثلث من البر حالا . وخالفه الجمهور . والأصناف التى تعرض لها الحديث أنه لايجوز فيها التفاضل هى : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح .

وقد جاء فى رواية الحديث (وبيعوا الذهب بالورق كيف شئتم يداً بيد) فتضمن الحديث منع التفاضل فى الصنف الواحد . ومنع النساء فى الصنفين وإباحة التفاضل . فيجوز قدح من البر بقدحين من الشعير حالا .

وقال أهل الظاهر إنما يمتنع التفاضل فى صنف صنف من هذه الأصناف الستة فقط . والنساء يمتنع فى هذه الستة فقط اتفقت الأصناف أو اختلفت فلاربا عندهم فى قدح من الزبيب نظير قدحين لأن الحديث ليس فيه زبيب .

وقال ابن علية من أهل الظاهر : إذا اختلف الصنفان جاز التفاضل والنسيئة ماعدا الذهب والفضة . فيجوز عنده قدح من البر بقدحين من الشعير حالا أو مؤجلا .

والحديث عند أهل الظاهر خاص أريد به خاص لايجوز أن يحكم بالربا

فى غير الأصناف الستة . أما عند الجمهور فهذا خاص أريد به عام .

واختلفوا فى العلة التى من أجلها كان التحريم ، فعند المالكية المدخر المقتات فى الأصناف الأربعة . وفى الذهب والفضة كونهما رؤوس الأثمان وقيم المتلفات تلك علة النهى عن التفاضل عندهم .

أما علة النهى عن النساء فى الأصناف الأربعة فهى الطعم والإدخار فى الأصناف المختلفة . وعليه إذا اختلفت أصنافها جاز التفاضل دون النسيئة عند المالكية — فلا يجوز قدح بر بقدحين من الشعير حالا ولا يجوز مؤجلا .

وأما الشافعية فعلة منع التفاضل عندهم فى هذه الأربعه هو الطعم فقط مع إتفاق فى الصنف الواحد . وأما علة النساء فالطعم دون اعتبار الصنف مثل قول مالك .

وأما الحنفية فعلة منع التفاضل عندهم فى الستة واحدة وهو الكيل أو الوزن مع إتفاق الصنف . وعلة النساء فيها إختلاف الصنف ماعدا النحاس والذهب — الإجماع انعقد على أنه يجوز فيها النساء .

ووافق الشافعى مالكا فى علة منع التفاضل والنساء فى الذهب والفضة — أعنى أن كونهما رؤوسا للأثمان وقيما للمتلفات هو عندهم علة منع النسيئة إذا اختلف الصنف . فإذا اتفقا منع التفاضل . فيجوز جنيه ذهب باثنين فضة حالا . ولا يجوز مؤجلا . كما لايجوز جنيه ذهب بجنيه وربع حالا أو مؤجلا لاتحاد الصنف .

والذين قصروا الربا على الأصناف الستة فريقان :

(ا) أهل الظاهر الذين أنكروا القياس — أعنى استنباط العلل من الألفاظ .

(ب) من ينكر قياس الشبه وهو إلحاق المسوت بالمنطوق ، أما ابن الماجشون فقد ألحق المسكوت بالمنطوق بقياس العلة وهى المالية . أى حياطة الأموال .

وأما الباقلانى فقد ألحق المسكوت بقياس المعنى، فقاس الزبيب على التمر .

أما مذاهب الأئمة فالعلة مصدر الإشتقاق — الطعم عند الشافعى . والإدخار والإقتيات عند مالك ، والكيل والوزن عند الحنفى . والمهم منع الغبن .

(٢) مايجوز فيه التفاضل ويمتنع النساء : وعلة منع النساء عند مالك والشافعى فى الربويات الطعم . أما غير الربويات مما ليس بمطعوم فعلته عند مالك إتحاد الصنف فى النسيئة مع التفاضل . ولا نسيئة عند الشافعى فى غير الربويات ، وأما أبوحنيفة فعلة منع النساء عنده هو الكيل فى الربويات وفى غير الربويات الصنف الواحد متفاضلا كان أوغير متفاضل .

(٣) مايجوز فيه الأمران : التفاضل والنساء

فما لم يكن ربويا عند الشافعى : وأما عند مالك فما لم يكن ربويا ولا كان صنفاً واحدا متماثلا . أما أبوحنيفة فما لم يكن صنفاً واحد بإطلاق . ومالك يعتبر فى الصنف المؤثر فى التفاضل فى الربويات، وفى النساء فى غير الربويات إتفاق المنافع واختلافها ، فإذا اختلفت جعلها صنفين وإن كان الإسم واحداً، وأبوحنيفة والشافعى يعتبران الاسم، وإن كان الشافعى ليس الصنف عنده مؤثراً إلا فى الربويات فقط - أعنى أنه يمنع التفاضل فيه ، وليس هو عنده علة للنساء أصلا .

٤ — مايعد صنفا واحدا ومالا يعد :

والقمح والشعير صنف عند مالك . وصنفان عند أ حنيفة بي والشافعي.

هذا عرض سريع لأقوال الفقهاء نستسمح القارىء إن وجد فيه شيئا من الصعوبة . وهذا معنى ماورد من آثار فى هذا الموضوع : الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء ، وكذا كل موزون ومكيل ، (وبيعوا الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب كيف شئتم) خ حـ١ (البيوع) ص ١٣٢ .

(٢٦) وللمنع من التشاحن جاء الحديث : (لاتبيعوا الثمر حتى يبدو صلاحه ، ولا تبيعوا الثمر بالتمر . ورخص فى بيع العرايا(١) بالرطب أو التمر . ولم يرخص فى غيرها) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٧) وتعليلا لهذا المنع جاء الحديث : (أرأيت إذا منع الله الثمرة بما يأخذ أحدكم مال أخيه) خ ط (البيوع) ص ١٣٤

(٢٨) ويروى أن رجلا أراد أن يستبدل بكيلين من التمر الردىء كيلا واحدا من التمر الجيد . فقال له النبي : (بعهما بالدراهم ثم ابتع بالدراهم كلا جيدا) خ حـ١ (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٩) وكل بيع فيه غرر فهو منهى عنه (نهى عن المحاقلة(٢) والمخاضرة(٣).

---

(١) العرايا أن يهب الرجل ثمرة نخله ثم يشتريها من الموهوب له بتمر بشروط مخصوصة . والرخصة فيها عند الأحناف رجوع الواهب عن هبته . وعند مالك استثناؤها من بيع المزابنة الرطب بالتمر .

(٢) بيع الزرع فى سنبله بالبر .

(٣) قبول المزارعة ببعض مايخرج من الأرض .

والملامسة(١) والمنابذة(٢) والمزابنة(٣)) خ جـ١ (البيوع) ص ١٣٤ .

(٣٠) ومن الناس من يبيع القطن قبل أن يبدو صلاحه وهذا هو المعروف بالسلم ـ وهو بيع آجل بعاجل . وورد فيه (من أسلف فى تمر فليسلف فى وزن معلوم وكيل معلوم إلى أجل معلوم) خ حـ١ (السلم) صـ ١٣٦ .

(٣١) وحرصاً على حق الجار أولاه بالشفعة وقال : (الجار أحق بسبقه) خ حـ١ (الشفعة) ص ١٣٦ .

(٣٢) والإجارة جائزة وهى على المنافع . وتجوز على قراءة القرآن . والفقهاء الذين منعوها ومنعوا الأجر على التعليم كانوا يلزمون بيت المال بالإنفاق على هؤلاء . وورد أن جماعة من الصحابة نزلوا مكانا فقرءوا الفاتحة على مريض فشفاه الله ، فأعطاهم مالا فجاءوا للنبى يسألونه عنه ـ فقال : (وما يدريك أنها رقيا . قد أصبتم . اقسموا واضربوا لى معكم سهما) خ حـ١ (الإجارة) صـ ١٣٨ .

ولا يتنافى هذا مع ماذكر من قبل من أن أهل الجنة لا يسترقون ، لأن القوم لم يكونوا يعرفون أنها رقيا .

(٣٣) ولا تجوز الإجارة على عسب الفحل لحديث (أنه نهى عن عسب الفحل) ح حـ١ (الإجارة) ص ١٣٨ .

(٣٤) ومن كان عليه دين فمن حسن اسلامه قضاه فورا من غير مماطلة (مطل الغنى ظلم . وإذا اتبع أحدكم على ملى فليتبع) خ جـ ١ (الحوالة) ص ١٣٩ .

---

(١) الملامسة ما كانت العين مجهولة الصفة .
(٢) للجهل بتعيين أن هذا بذاك كبيع سبرة الطعام بكيلة تمر .
(٣) هى عند مالك بيع مجهول الكمية بمجهولها .

(٣٥) ومعاملة المسلمين يجب أن تكون على أساس من الإيثار (قالت الأنصار : تكفونا المؤنة ونشرككم فى الأجر ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا) خ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٦) وتجوز المزارعة دون اشتراط قدر من الزرع . فتجوز على النصف أو الربع مثلا لما ثبت أن النبي : (عامل أهل خيبر على شطر مايخرج من الثمار أو الزرع) خ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٧) وحض الإسلام على تعمير الأرض واستصلاحها (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق) خ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٨) أما الذين يزرعون على أن تكون أجرتهم الربع أو قدر معلوم ، فإنه لايجوز . ولا خلاف بين هذا وبين ماسبق ـ فالممنوع الإجارة بالربع لا المزارعة بالربع . وفى الحديث : (قال لمن يزرعون بالربع أو بخمسة أوسق ـ لاتفعلوا . ولكن إزرعوها أو أزرعوها أو أمسكوها) خ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ .

(٣٩) ومن كان له أرض لاتشرب إلا بمرور الماء من أرض الغير ، فليس للغير حق فى منعه لئلا تموت أرضه . ومن كلام عمر : لو لم أجد له ممرا سوى بطنك لأمررته عليه والناس شركاء فى الماء (لاتمنعوا فضل الماء لتمنعوا فضل الكلأ) (١) .

(٤٠) ولقد أشار إلى وعيد شديد للذين يمنعون فضل الماء (والذى نفسى بيده لأذودن رجالا عن الحوض كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض) خ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

---

(١) خ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٤١) وللإمام أن يؤمم أرضا تقام عليها مصلحة عامة لأنه قائم بالأمر والإشراف على مصالح الناس (لاحمى إلا لله ولرسوله) (١) .

(٤٢) وقد يختلف الناس فى نخل يباع لمن تكون ثمره إن بيع وعليه ثمر . وهذا قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم (من ابتاع نخلا بعد أن تؤبر فثمرته للبائع إلا أن يشترط المبتاع . ومن ابتاع عبدا وله مال فماله للذى باعه إلا أن يشترط المبتاع) (٢) .

(٤٣) وقد حرم الإسلام الغصب ـ وهو أخذ الشيء علانية (من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين) خ ج ١ (المظالم) ص ١٤٨ .

(٤٤) وقرر الإسلام حق الضيافة مراعاة للغريب وتقديرا لإنسانيته (إذا نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا . وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف) خ ج ١ (المظالم) ص ١٤٩ .

(٤٥) وأقر الإسلام الطريق العامة التى يمر منها الناس ولا تخضع لملكية أحد . وسعة الطريق أو تضييقها تخضع للظروف . وهذا حكمه : (قضى إذا تشاجروا فى الطريق الميتاء بسبعة أذرع) (٣) .

(٤٦) وإذا كان المرهون فرسا جاز إستغلاله نظير الإنفاق عليه إن كان مرهونا (الفرس يركب بنفقته إذا كان مرهونا . ولبن الضرع يشرب لنفقته إذا كان مرهونا فعلى الذى يركب ويشرب النفقة) خ ج ١ (الرهن) ص ١٥٠ ، ١٥١ وهذا ما معناه .

---

(١) خ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .
(٢) خ ج ١ (الشرب) ص ١٤٥ .
(٣) خ ج ١ (المظالم) ص ١٤٩ .

(٤٧) والعمرى جائزة وهى بجعل غلة الدار لشخص معين (قضى بالعمرى لمن وهبت له) خ حـ ١ (الهبة) ص ١٥٥

(٤٨) والوقف الخيرى من أعظم القربات إلى الله، ويجب ألا يمس. وفى الحديث: (تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ولكن ينفق ثمره) خ حـ ٢ (لوصايا) ص ١٣

الموضوع الثامن والعشرون

اجتماعيات

(١) لقد اهتم الإسلام بالمجتمع ككل كما أهتم بالأفراد . للمجتمع وتقاليده أثر كبير فى نفوس الأفراد . ومن أجل هذا لم يغفل أثر البيئة فى تقديره للأمور . ولم يجرد الفرد من المسئولية عن المجتمع الذى يعيش فيه — فأقام رقابة شعبية من المخلصين الأكفاء القادرين ليشرفوا على سير المجتمع ومدا استمساكه بالفضيلة . تلك الرقابة سواء كانت الحسبة عن طريق الإمام كتكليف رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، أم هى الواجب الكفائى أو العينى على كل فرد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وبقدر توفيق تلك الرقابة الشعبية يستقيم سير المجتمع . وبقدر إخفاقها وتهاونها يتخلف المجتمع عن الفضائل وتنتشر فيه عوامل التهلكة التى تصيب الأمم فى آخر عهدها بالحياة . وقد دعانا الإسلام إلى القيام بهذا الواجب وحذرنا من التقصير فيه (إن أول مادخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا أتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وجليسه . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ثم قال : كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق إطرا ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم) .

(٢) والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كلاهما فرض عين . وقيل فرض كفاية — والأول أظهر . ومن شروطهما الكفاءة وتجويز فائدة

والحكمة — وقد دعا إليهما الكتاب والسنة فى غير موضع (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا سنة ثم تدعو نه فلا يستجاب لكم) ،

(٣) وإذا عجز الإنسان عنهما فلا أقل من أن يستنكر المنكر بقلبه ويأمر بالمعروف من يرجو منه الهداية (إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون فمن كره فقد برىء ، ومن انكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع . وقالوا: ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة) .

(٤) وحرصاً على كرامة المجتمع ، فقد عمل الإسلام على تأمين أبنائه فى كل حركاتهم ، وييسر لهم طريقاً ينجون فيها من تجسس يرصد حركاتهم ويتتبع عوراتهم وإذا كان الجلوس فى الطرقات أمراً لا بد منه فإن على الجالس حقوقاً هو مسئول (إياكم والجلوس فى الطرقات . قالوا : مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . قال : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) خ ح ١ (المظالم) ص ١٤٩

(٥) والظواهر الإجتماعية ومشكلات المجتمع منها انخفاض مستوى المعيشة وتفكك الروابط الأسرية وعدم استقرار القيم والمعايير .

وهذه الثلاثة أسباب لمشاكل عديدة — ومن الخطأ اغفال السبب وعلاج النتيجة والسبب باق .

وعلم الاجتماع زودنا بالمنهج العلمى الذى يحدد المشكلة وعناصرها وأسبابها والجانب الوقائى منها والعلاجى لها .

وكل هذا لم يخرج عن تعاليم الإسلام — ولذلك نجد وصاياه تجىء بعد أن تدعمت المبادىء وتمركزت القيم وصححت الأوضاع . فالمظلوم

لا يصح أن ننهاه عن الحقد حتى يرفع الظلم عنه . وهكذا البحث عن الأسباب قبل تقديم النصائح . وهذه وصية قالها النبى فى المجتمع الإسلامى بعد أن انتشر فيه العدل : (لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله - التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات. بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

(٦) والتعاون فى حل المشكلات من مبادىء الاسلام . وللمتعاونين جزاء ضمنه الله لهم (من نفث عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفث الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخره والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة . وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده . ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبة) .

(٧) ويجب أن يكون المرء يقظا قوى الملاحظة . إن نقد غيره فعليه أن يبدأ بنفسه (لم تضحكون مما تفعلون) خ حـ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٤

(٨) والمجتمع الفاضل هو الذى يظهر فيه التعاطف . فإن اختفى التعاطف من مجتمع فقد سادته الأنانية وزادت مشاكله . والأغنياء أول من يسألون (شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله) .

(٩) ومن قواعد الإسلام أن من سن سنة حسنة فى المجتمع فله أجرها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . وهذا المبدأ ليرغب

الفضلاء ويرهب التعساء (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا) .

(١٠) وقد يجر الترف المجتمعات إلى التنفيس عن نفسها بارتكاب ما كان محظورا عليهم قبل أن يغنيهم الله من فضله . ومن هنا كانت مغبة الترف لا تقل خطورة عن ويلات الفقر ، مالم يتدارك الله المجتمعات بحب القيم (إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) خ حـ ١ (الزكاة) صـ ١٠١

(١١) وللحصانة من هذا الإنزالق ، أرشد الأفراد إلى عرفان نعمة الله ، ورسم لذلك طريقا (انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ـ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم) خ حـ ٢ (الاستئذان) صـ ١٤٥

(١٢) ولكى لا تعصف بالإنسان موجات الترف وحب الحياة ، يذكر الفرد بالفرق بين مايتمناه وبين مايحصل عليه (أتيت النبى وهو يقرأ ألهاكم التكاثر . قال : يقول ابن آدم مالى مالى ـ وهل لك ياابن آدم من مالك إلا ماأكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت) .

(١٣) ويمكن التوفيق بين حب المال ومطالب الدين ، ولكن لا يمكن التوفيق بين الحرص على المال وسلامة الفطرة . كما لا يمكن الجمع بين الأنانية والإيثار ـ فالوجهة فى كلتيهما متغايرة (ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) .

(١٤) والعناية بالفرد مهمة كالعناية بالمجتمع . وتختلف النظريات بأيهما يبدأ التنظيم الجماعى . والحق أن التدرج من الفرد أمر طبيعى ، فهو لبنة المجتمع . فإن كانت صلبة قوية ـ كان البناء متماسكا . وإلا كان بناء قائما على الهواء والفراغ ـ يحسبه الناظر شيئا وماهو بشىء . ومن ثم كانت التوجيهات

فى أغلبها تتجه إلى كل فرد على حدة — فهو أعرف بمسئوليته ، خصوصا فيما استودعه الله من مال (قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه).

(١٥) ولا مانع لدى الإسلام من أن يتقبل المسلم كل مال حلال — فهو عصب الحياة . ولكن يرشده إلى مايجب أن يكون عليه موقف المسلم من المال (إن هذا المال خضر حلو ، من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه — وكان كالذى يأكل ولا يشبع) خ ﺣ ١ (الزكاة) ص ١٠٢

(١٦) وقد انتشرت فى المجتمع الإسلامى أفكار نسبت إلى الدين وهى بعيدة عنه ، فأساءت إلى المسلمين أكثر مما لو نبذوها . من هذه الأفكار ترويج المسألة والعطاء لكل من سأل . واستغلت العاطفة الدينية كما أستغل مافى المسلمين من حب للخير ورغبة فى الإحسان ، وإذا كان هؤلاء المؤمنون يبذلون راغبين فى الخير ، وإن وقع فى غير موضعه — فإن السائلين هم الذين يتحملون أوزار الرزيلة المنتشرة فى مجتمعنا الاسلامى (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم) خ ﺣ ١ (الزكاة) ص ١٠٢

(١٧) وإذا كانت المسألة من غير حاجة تريق ماء الوجه فى الدنيا ، وتسخط الله — فإنها أحيانا تكون لامفر منها — فمن صاحبها الذى يستحق وتباح له المسأله ؟ (إن المسألة كد يكد بها الرجل وجهه ، إلا أن يسأل الرجل سلطانا أو فى أمر لابد منه) .

(١٨) والحاجة التى تجيز لابن آدم أن يسأل الناس إن هو لم يجدها — هى مايحتاج اليه لمعيشته وحياته (ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال: بيت يسكنه ، وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز ، والماء) .

وليس معنى هذا أن يعيش المرء على ماذكر . كلا : فرفع المستوى المعيشى للأفراد تتنافس فيه الأمم . وإنما معناه إذا لم يجد هذا ، سأل الناس

وإن وجد المسكن والطعام والكساء والشراب . فليس من حقه أن يسأل الناس .

(١٩) وكلما قنع المحتاج ، كان أحق بعطف المجتمع ، وأجدر بالرعاية (ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان . ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه . ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس) خ حـ ١ (الزكاة) صـ ١٠٢ ، ١٠٣

(٢٠) وقد يكون السائل أغنى من المسئول . ومع ذلك يمد يده فى ذلة . وهو بهذا العمل يأكل سحتا ويعيش على جمر من جهنم ، يستجمعه فى لقيمات يحصل عليها (إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فأحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ـ فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكل صاحبها سحتا) .

(٢١) وأقل الأعمال كسبا وإن تكلف جهدا ، فهو أفضل بكثير من مال يجىء عن طريق المسألة ولو بجهد قليل . وشتان بين عيش من كدك وعيش من كد غيرك (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره ، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه) خ حـ ١ (الزكاة) صـ ١٠٢

(٢٢) ولكى يسود المجتمع حب الخير ، فلا مانع من أن ينظر الفرد إلى من فوقه من أهل الخير ـ ليكون خيرا مثلهم ، وهذا مزيد من تقديره لنعمة الله : (لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها) خ حـ ١ (العلم) صـ ١٦

(٢٣) وكل عطاء يعطيه الإنسان من أجل المساهمة فى رفع مستوى الجماعة

التي يعيش بينها - كل عطاء من أجل هذا لا ينقص من المعطى شيئا (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل) .

(٢٤) ولقد فرض الله على القادرين أن يتعاونوا مع الضعفاء بأى شكل من أشكال التعاون . وإذا ساد الشعور الدينى ، فلن يسمح أحد لنفسه بفضل يستمتع به ويذيره فى حاجة اليه (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له . فذكر من أصناف المال ماذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل) .

(٢٥) وخير المجتمعات تماسكا ، هم الذين يسودهم شعور هذا التراحم (إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم) خ ح ١ (الشركة) ص ١٤٩ ، ١٥٠

(٢٦) ولقد كانت تقوم مظاهرات فى المجتمع الإسلامى ، لا على شكل التهريج ، ولكن تقوم هاتفة بالخير ، راجية فى الثواب ، لا تطمع فى المال من أجل ذات المال ، ولكن تقوم الطوائف المتظاهرة تسأل عن دورها الإجتماعى ، وقد توقفت بها امكانياتها دن السير - كما فعل الذين هم أقدر منهم على السير (جاء الفقراء إلى النبى يقولون : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . فقال : وماذاك ؟ فقالوا : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق . فقال : أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة : فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال

بمـا فعلنا ففعلوا مثله ، فقال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)(١) .

(٢٧) هذا التسابق فى الخير الذى كان يسود المجتمع الإسلامى ، يقابله مجتمع آخر المـال فى يد السفيه . والمحرومون من المـال يطلبونه لينافسوا السفهاء ويشاركوهم كبرياءهم — وما بهذا كانت تعاليم الإسلام ، فهى تحذر من التكبر (بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه ، مرجلا رأسه ، يختال فى مشيته — إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٧ .

(٢٨) وكل مجتمع يسوده التسامح فهو أشد تآلفا . ولقد دعا الإسلام إلى هذا التسامح ، وحمل المعتدى كل التبعات (وإن امرىء شتمك أو عيرك بما يعلم فيك ، فلا تعيره بما تعلم فيه — فإنما وبال ذلك عليه) .

(٢٩) ويجب أن يحتفظ الرجل برجولته ، والأنثى بأنوثتها — لا يتجاوز أحدهما مكانه الذى أعد له . ولقد اهتم الإسلام بهذا المبدأ وأولاه عناية — حتى من الناحيه المظهرية التى قد لا يعبأ بها الإسلام كثيراً (حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ؛ وأحلا لنسائهم) .

(٣٠) ولقد أوصى الإسلام بالأدب الرفيع واحترام الحقوق (لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا) خ حـ ١ (الجمعة) ص ٧١

(٣١) وإذا قام الإنسان من مجلس لحاجة ضرورية — فهو أحق به (إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه ، فهو أحق به) .

(٣٢) إذا عطس فعليه أن يراعى من حوله . وهذا من الأدب الرفيع

---

(١) خ حـ ١ (الآذان) ص ٦٨

والذوق السليم (إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض بها صوته) خ حـ ٢ (الأدب) ص ١٤٢

(٣٣) وثبت أنه قال لليهود العاطسين يهديكم الله ويصلح بالكم . وهذا هو المطلوب من العاطس المسلم أن يرد به على من شمته . وثبت كذلك قول النبي (إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧

(٣٤) وقد تطغى بعض التقاليد ، فتنسى الإنسان ما هو من فطرته ، فنرى حلق اللحية ، وترك للشارب ، وتربية الأظافر من السيدات إلى غير ذلك . وفى الحديث : (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة : الختان ، والإستحداد ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقص الشارب) .

أما ختان الأنثى فلا بأس به كما روى أنه قال للقابلة : أخفضى ولا تنهك .

(٣٥) وعلى المسلم ألا يندفع وراء التقاليد . فتذوب شخصيته الإسلامية فيها ، ويصبح تابعا — فى حين أن من واجبه أن يكون قدوة صالحة بقوله وعمله . ويروى أنه قال : (فو الله لأن يهدى بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) خ حـ ٢ (الحور) ص ٢١

(٣٦) وتجب النصيحة على المسلم لأخيه . ولا يصح الخلط بينها وبين الغيبة . فتلك محرمة شرعا (الغيبة ذكر أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) .

(٣٧) ومن الناس من يتهاون فى كلمة ، ويحسب أن ما يقوله ليس من الغيبة . وهذا خطأ . وقد سمع النبي من عائشة أنها تقول عن صفية :

لولا أنها قصيرة . فقال لها : (حسبك من جسميه كذا وكذا . تعنى قصيره . فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته . قالت : وحكيت له إنسانا . فقال : ما أحب أنى حكيت إنسانا وإن لى كذا وكذا) .

يريد أن ينتبه الإنسان لعيوب نفسه .

(٣٨) ويعمل الإسلام جاهداً على سلامة قلب أبنائه من الحقد والحسد، وعلى تقويم ألسنتهم — فلا تنطق إلا حقا (يارسول الله : أى الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب صدوق اللسان . قيل : وما مخوم القلب ؟ قال : هو التقى النقى ، لا إثم فيه ولا بغى ، ولا غل ولا حسد) .

(٣٩) وقد سبق أن العبادات وسائل لغاية — هى تهذيب نفس العبد وصلته بربه . ولذلك نرى الشارع يفضل عملا على هذه العبادات التى لم تحقق المرجو منها . أما لو حققته فهى أفضل (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى قال إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هو الحالقة — لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) .

(٤٠) ويجب أن يكون أفراد المجتمع على صلة تسودها المحبة والألفة (لا تقاطعوا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) خ حـ ٢ الأدب ص ١٤٠ ، ١٤١

(٤١) وثلاثة أيام هى الحد الفاصل بين المهاجران والصلة ، لا يحل لعبد أن يستغنى عن أخيه فوق هذه المدة — وإلا كان آثما (لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه — فإن رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر ،وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجر) خ حـ ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٤٢) وقد لا يرى الإنسان أخاه أشهرا ، ومع ذلك لا يعد هجرا لأن المهم فى الصلة والهجران أن يخلو القلب من الضغائن والأحقاد . ولو أن العبد قام بعمل عادى وخلا من الحقد ، لكان من أهل الجنة . ويروى فى هذا المعنى أن النبى قال : (يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ثلاثة أيام متتابعات ، وكان الرجل هو الذى يطلع عليهم فى كل يوم — فتبعه ابن عمر ونزل ضيفا عنده ليعرف أعماله التى رشحته للجنة ، فيقلده فيها ابن عمر . فلم يجد ابن عمر لهذا الرجل عملا غير عادى . فسأله وأخبره أنه من أهل الجنة . فقال الرجل لابن عمر (غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه) .

(٤٣) وإذا كان الرجل قد ارتفع بهذا ، فإنه ليس بالأمر السهل . فقد ارتفع فعلا بشىء عظيم صار إيمانه نقياً من كل ما يشوبه . وفى الحديث : (ولا يجتمع فى قلب عبد الإيمان والحسد) .

(٤٤) والإيمان تصديق بالله ورضاً عن قضائه . والحسد تمنى زوال نعمة الغير ، ونقص فى اليقين بالله وعدله . ومن أجل هذا حذرنا منه (إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) .

(٤٥) وكل جماعة تألفت يسودها البغض — فهى محرومة من الجنة (ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : رجل أم قوما وهم له كارهون . وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإخوان متصارمان) .

ولعل فى قوله لا ترفع صلاتهم — يشير إلى أن الجمع الذى يبغض أفراده بعضا ، لا يرجى من وراء اجتماعهم نفع ، ولا تجنى من جهودهم ثمرة .

(٤٦) والجماعة النافعة هى التى يتواضع أفرادها ويتجنبون البغى —

وهذا مما أوصى به الإسلام (إن الله تعالى أوحى إلى آن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

(٤٧) وكل جماعة لم تكن على الأمر الذى يجب أن يكون ، فإنها تقوم. وكل فساد عودنا الإسلام ألا نيأس من علاجة . وعلى الناس أن يتفاءلوا ولا ييأسوا (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) .

(٤٨) ولا يصح أن يكون الناقد سلبيا ، بل عليه أن يندمج فى مجتمعة ليصلحه . ولأمر ما قرر الإسلام وجوب الصلة بين أفراد المجتمع . وفى الحديث : (فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار) .

(٤٩) ويجب أن تتجنب المضايقات التى لا تليق.خصوصاً بين الأصحاب فى جلساتهم (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الثالث) خ حـ٢ (الأحكام) ص ١٥٧ .

(٥٠) ويعنى الإسلام بحسن مظهر الأفراد . ويروى أن رجلا جاء حالقا نصف شعره — فقال له النبى : (إحلقوه كله ، أو اتركوه كله) .

(٥١) ومن النساء من يفعلن برؤوسهن ما ينكره الإسلام (لعن رسول الله الواصلة(١) ، والمستوصلة(٢) ، والواشمة(٣) ، والمستوشمة(٤)) .

(٥٢) كما روى . (لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمصات(٥)

---

(١) التى تصل شعرها .

(٢) التى يفعل بها وصل الشعر .

(٣) الواشمة هى التى تجرح لفسها عند المصيبه .

(٤) التى تطلب من غيرها أن تغزها .

(٥) التى تأخذ من شعرها حاجب غيرها وترققه ليصير حسنا . أو تطلب من غيرها ذلك .

والمتفلجات(١) للحسن المغيرات خلق الله) .

(٥٣) وكل مجتمع تحترم فيه أفراده ، وتقدر فيه القيم — فإنه يرجى منه كل خير . أما المجتمع الذى لا نظم فيه يستحل ما حرم الله فهو مجتمع متخاذل — لا يرجى منه خير . وقد حارب الإسلام كل رذيلة .

وهذه بعض الرذائل التى كانت شائعة ونهى عنها (نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغى ، وحلوان الكاهن) خ حـ ١ (البيوع) ص ١٢٦

(٥٤) والمرأة جزء من المجتمع لها قيمتها ، خوطبت كما يخاطب الرجل ، وكلفت بما كلف به حسب قدرتها ، ووضعت فى الموضع اللائق بها من غير مغالاة أو ظلم (يامعشر النساء تصدقن وأكثرن من الإستغفار ، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار . قالت امرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير . مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن . قالت : مانقصان العقل والدين ؟ قال : شهادة امرأتين بشهادة رجل ، وتمكث الأيام لا تصلى) خ حـ ١ (الحيض) ص ٣٢

وتلك طبيعة المرأة لا ينكرها منصف . والشارع لم يطعن فى ذمتها ، ولم يتهمها فى دينها . لكن لأمر خارج عنها منعت من القيام ببعض أركان الدين فى بعض الأوقات فنقصت عن الرجل من أجل هذا . ولما فيها من عاطفة أو ذاكرة ضعيفة أضيفت إلى شهادة المرأة شهادة امرأة أخرى ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى .

(٥٥) وعلى كل فرد ضريبة لمجتمعه ، كبرت أو صغرت . والذى لا يؤديها مطالب باتخاذ ما شاء من الوسائل حتى يقدر على آدائها ، ولكى

---

(١) التى تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلا من غير حاجة إليه .

لا يكون كلا على مجتمعه وعبئاً ثقيلا عليه (تبسمك فى وجه أخيك صدقة . وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة) .

(٥٦) ولقد أوصى بأمر ميسور، ولكن هو فى نتائجه نشر السلام والمحبة بين الناس أجمعين (والله لا يؤمن ثلاثا . قيل من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه) خ ج ٢ الأدب ص ١٤٠

(٥٧) وقد ربط الشارع بين الإيمان والحياء — التدليل على أن مشاعر الناس المستقيمة لها صلة وثيقة بإرضاء الله سبحانه (الحياء والإيمان قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) .

(٥٨) ومن أجل هذا كان الإنسان مطالبا بالقول الحسن أو الصمت (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

(٥٩) ومروءة الأفراد تتضح فى أخلاقهم (والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد . والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) .

(٦٠) وبعض المجتمعات تسودها الرذائل ، وتختفى منها الفضائل . وتلك المجتمعات ليست من الإسلام وإن تسمت به (إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام فى شىء) .

(٦١) وقد يدرك الإنسان بحسن خلقه درجة عظيمة (إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله ، بحسن خلقه وكرم طبيعته) .

(٦٢) والنظافة من الإيمان . والتزام قواعد الصحة من وصاياه ، ومراعاة المظهر الحسن من جمال الإسلام (من بات وفى يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه) (من كان له شعر فليكرمه ، إن لى جمة أفلا أرجلها ؟ قال : نعم وأكرمها) .

(٦٣) ودخل رجل عليه وهو ثائر الرأس فأمره أن يصلح شعره . فلما دخل عليه بحالة حسنة . قال : (أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان) .

(٦٤) ودخل آخر فقال له : (أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه) .

(٦٥) والحمقى من الناس يتساءلون عن جواز التداوى ، والتداوى واجب ، والبحث عنه فريضة (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء)(١) (إن الله أنزل الداء والدواء . وجعل لكل داء دواء — فتداووا ولا تداووا بحرام) .

(٦٦) ومن لم يرع حق المجتمع فهو منبوذ منه (من آذى المسلمين فى طرقهم ، وجبت عليه لعنتهم) .

(٦٧) وقد حذرنا من أن يعرض المريض غيره للعدوى منه (لا يريدن ممرض على مصح) خ جـ ٢ (الطب) ص ١٣٦ .

(٦٨) ومظاهر الأفراد هو طبيعة المجتمع . ومظاهر المجتمع الإسلامى أن يسوده الحياء (إن لكل دين خلقا ، وخلق الإسلام الحياء) .

(٦٩) وكان الحياء خلق الإسلام ، لأن فيه الخير كله . والذى نزل بالأمم كان نتيجة حتمية لأنهم خرجوا على مبدأ الحياء . وفى الحديث :

---

(١) خ جـ ٢ (الطب) ص ١٣٤

(إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء . فإذا نزع منه الحياء ، لم تلقه إلا مقيتا ممقتا . فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة . فإذا نزعت منه الأمانه لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما ملعنا . فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الإسلام) .

(٧٠) وهكذا نراه يتسلسل منطقيا بالذين يتمتعون بالحياء إلى الجنة (الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة . والبذاء من الجفاء فى النار) خ حـ ١ (الإيمان) ص ١٠ بالمعنى .

(٧١) ومن الناس من يرزق نعومة فى الحديث مع خبث فى النية . فيجذب قلوب الناس إليه بالباطل وهؤلاء لهم وعيد شديد من الله (من تعلم صرف الكلام ليستبى به قلوب الرجال ، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) .

(٧٢) (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة) .

(٧٣) ويجب أن يشعر المجتمع الإسلامى بشعور واحد (مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) خ حـ ٢ الأدب ص ١٣٩

(٧٤) ويجب أن يكون للفرد جهد ملحوظ وعمل إيجابى فى مجتمعه ، وأن يكون رائده الإخلاص والنصيحة ، وشعوره بأن مصلحة الجماعة هى مصلحته (ثلاث لايغلوا عليهن قلب امرىء مسلم : إخلاص العمل لله ، والمناصحة لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم — فإن دعاءهم يحيط من ورائهم) .

(٧٥) وينهى الإسلام عن تكوين جماعة داخل الجماعة ، تختلف عنهم

فى مبادئها — مالم تنحرف الجماعة الكبرى عن الحق (الشيطان يهم بالواحد والإثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم) .

(٧٦) وإذا شعر الإنسان بالحب للغير ، فليخبره بذلك الحب ، والمفروض أن يكون الحب لله (إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه) .

(٧٧) ويجب فى الإخاء التعارف الكامل (إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن إسمه وإسم أبيه ، وممن هو — فإنه أوصل للمودة) .

(٧٨) وكل سينعطف إلى قرينه (الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) .

(٧٩) وأولى الناس بالصلة هم أصحاب الحاجات ، مع استحباب تبادل الزيارات (من عاد مريضا أو زار أخا له فى الله ناداه مناد : أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا) .

(٨٠) كما يسن تبادل الهدايا وخصوصاً عند المناسبات (تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر) .

(٨١) ويجب اختيار الصديق الصالح (لاتصاحب إلا مؤمناه ولا يأكل طعامك إلا تقى) .

(٨٢) ويجب ألا يتكاسل المرء ، وعليه أن يكون دائم النشاط ، دائب العمل (سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيئاً من الدلجة(١) ، والقصد تبلغوا) خ حـ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٤

(٨٣) وبقاء المجتمع أو فناؤه ، يرجع إلى ما ينشر فيه من روح

---

(١) التشمير من أجل الإقبال على الطاعة .

ديمقراطية أو دكتاتوريه (إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب) .

(٨٤) ويجب أن يكون سلوك المرء فى المجتمع ملائما له ، متجنبا عثرات المنحرفين ، مبتغيا رضوان ربه (ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان : خلق يعيش به فى الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل) .

(٨٥) وبتلك الخصال يجمع الغنى ، والفوز بالجنة واكتساب رضى الناس (إتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما . ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) .

(٨٦) وكلما أسعد الإنسان غيره ، وقدم للمحتاج عونا — كان أحظى الناس برضوان الله ، وأكثرهم حظا من الخير (إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم — أولئك الآمنون من عذاب الله) .

(٨٧) وعلى المرأة أن تشترك فى بناء المجتمع بجهودها فيما يناسبها . لا تمنع من دخول مسجد لحضور مؤتمر عام ، إلا لعذر كما روى أنه قال لحائض (أنفست ؟ قلت : نعم . قال : إن هذا أمر كتبه الله تعالى على بنات آدم ، فاقضى مايقضى الحاج ، غير ألا تطوفى بالبيت)[١] ويروى : (تخرج العواتق وذوات الخدور والحيض ، وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين . ويعتزل الحيض المصلى)[٢] ويروى : (كن لا نعد الصفرة والكدرة شيئا) خ حـ ١ (الحيض) ص ٣٣

---

(١) خ حـ ١ (الحيض) ص ٣١

(٢) خ حـ ١ (الحيض) ص ٣٣

(٨٨) وكل فرد مسئول عما يؤذى المجتمع ،أو يعرضه للأذى فى الطريق العام (بينما رجل يمشى بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكر الله له — فغفر له) خ حـ ١ (الآذان) ص ٥٧

(٧٩) ويجب على المجتمع أن يبذل قصارى جهده لرفع مستواه الاقتصادى (إلتمسوا الرزق فى خبايا الأرض) وأن يحسن استغلال كل ما يقع تحت يده (بين رجل يركب بقرة إذ قالت : إنى لم أخلق لهذا) خ حـ ١ (المزارعة) ص ١٤٢

(٩٠) ويجب على الفرد أن ينظر لمصلحة غيره ، فيدخر لنفسه إن عم الرخاء . ولا يحل له أن يستبقى لنفسه شيئاً فى وقت الشدة وفى الحديث : (من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة وفى بيته منه شىء . فلما كان العام المقبل قالوا : نفعل كما فعلنا العام الماضى ؟ قال : كلوا وأطعمو وادخروا ، فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها) خ حـ ٢ الأضاحى ص ١٣١

(٩١) وكلما سادت الديموقراطية انتشر العدل ، وكلما كانت الديكتاتورية كان الظلم . ولما أقام النبى مجتمعا ديمقراطياً تعاونياً خلاقا للحضارة بناء للقيم ،أعلن فيه قائلا :(لا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا) .

(٩٢) ويعترف الإسلام بما للإسلام بما للأسلوب الشعرى من تأثير ، وما للبيان من صدى فى القلوب (إن من الشعر حكمة ، وإن بعض البيان سحرا) خ حـ ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٩٣) والشعر المذموم هو الشعر الخليع ، الذى يتحدث عن الباطل (لأن يمتلأ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلأ شعراً)[1] .

---

(١) خ حـ ٢ (الأدب) ص ١٤٢

(٩٤) ويدرك المؤمن بنيته الحسنة ما يعجز عن تحقيقه بعمله ، وفى الحديث : (نية المؤمن خير من عمله) .

(٩٥) ويجب أن تكون غاية المؤمن إرضاء ربه (إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة) .

(٩٦) وحسن الهيئة من صميم الإسلام (ما لكم تدخلون على قلحا ، استاكوا) .

(٩٧) وحياة المؤمن المديدة كلها خير له ولغيره (لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا) (وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ، ويرزقه الله عز وجل الإنابة) .

الموضوع التاسع والعشرون

(مبـــادىء)

(١) لكل صاحب دعوة مبادىء يسير عليها ويسعى لتحقيقها . وحياة النبي كلها تقتبس منها المبادىء ، وتعاليمه وتوجيهاته ركائز الخير فى كل مجتمع . ولكننا تخيرنا اسم مبادىء لهذه العموميات من التوجيهات النبوية حتى يتضح لدارس السنة كيف كان النبي يوجه الناس ويدعوهم إلى الله ، ومعلوم أنه جاء على لسانه ذكر الجنة والنار ــ كجزاء حتمى عـــلى كل عمل فى الدنيا .

ولا يملك محمد أن يدخل فى الجنة أو يخرج من النار أحد . فالجنة والنار لله ، يرحم بالجنة أو يعذب بالنار ، ولم يخترعهما محمد صلى الله عليه وسلم للإغراء من أجل مصلحته ، ولا للتخدير من أجل أن يستغل غيره . كلا ! . إنهما حقيقتان ملموستان له . رآهما ثم تحدث عنهما ـ فمن يا ترى ذلك الإنسان الناجى من عذاب النار ؟ . . أهو الذى دفع لمحمد مالا ؟ أم هو الذى مكنه من تحقيق حلم ؟ كلا ! ثم كلا ! إن الناجى هو من خاف ربه وقلد محمداً فى خوفه من ربه .

والناجى كذلك من غبر قدميه فى سبيل الخير ونفع الناس (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم) .

(٢) والحقيقة الكبرى عند صاحب السنة فهم الأمور كما هى ، لا تنسيه العواطف شيئا ، ولا يصرفه الأمل عن صرف همته عن التافه لتحقيقه ، وكم افتتن الناس بالدنيا . أما هو وهو فيها نبي ورسول ، وحاكم موفق ، وسلطان يأمر وينهى ـ فلم يخدع بها (ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم ، فلينظر بم يرجع) .

(٣) وبر الناس أمر مقرر ، وإيذاء الناس منهى عنه ، وقد يختلف البعض فى البر والإثم - فقد يعد الظالم أعماله برا ، ولرفع هذا اللبس جاء الحديث (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

(٤) والتواضع من الإيمان - ففيه اقتراب من ضعاف الخلق ، واعتراف بقدر العبد ، والكبرياء لله وحده (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطرا) خ جـ ٢ (فضائل الصحابة) صـ ٥٦ .

(٥) والإنسان كائن مسئول ، عبر عن دقة المسئولية بالميزان الذى يخف ويثقل ، وعلى المسئول أن يجمع من الخير ما يرجح به ميزانه . وهذا ما يرجح الموازين عنده (ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذى) .

(٦) وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، وعن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال عن أكثر ما يدخل الناس الجنة : (تقوى الله وحسن الخلق) وعن أكثر ما يدخل الناس النار قال : (الفرج والفم) .

(٧) وإذا كانت الجنة يبشر بها بعض الخلق على لسانه ، فإن ذلك بأمر الخالق ، ولقد أوحى إليه أن دار السلام لا يدخلها إلا من إلتزموا بطاعة ربهم ونبيه ، ومن حقه حينئذ أن يبشرهم (أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء ، وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه) .

(٨) ونلاحظ أن أعلى الجنة للذى حقق الغاية من بعثته صلى الله عليه وسلم وهى مكارم الأخلاق (إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) .

(٩) والذين يحرمون على النار ، هم أولئك الرحماء (ألا أخبركم بمن

يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ قالوا : بلى . قال : كل قريب هين لين سهل) .

(١٠) والإسلام كله مبادىء ، ولكن أى الإسلام خير ؟ قال : (تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من تعرف ومن لم تعرف) (١) .

(١١) وإذا لاحظنا ماللسلام من قيمة ، علمنا إلى أى مدى يبغى الإسلام السلام ، وينشر الأمن والطمأنينة ، ويوجب على من بدىء بالخير أن يكون رده خيرا منه (لما خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم قال : اذهب فسلم على نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله - فزادوه ورحمة الله) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧ ، ٣٨ .

(١٢) وعلى المسلم أن يعرف نعمة الله عليه (كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع) .

(١٣) وعلى المسلم أن يدافع عن أخيه ، ولا ينتظر منه جزاء (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) .

(١٤) وعلى الإنسان أن يتحمل وأن يصبر على معاشرة الناس ، ويروى أن رجلا استأذن على النبى فقال (بئس أخو العشيره ، إئذنوا له) .

(١٥) ولم يخص أحدا بشىء كما يدعى البعض - أنه أولى على بن أبى طالب بشىء من العلم ، فجاء على كرم الله وجهه يكذب هذا وينشر ما كان فى صحيفته على الملأ (المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة

---

(١) خ ح ١ (الإيمان) ص ٩ .

صرفا ولا عدلا ، ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ـ فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، ومن ادعى إلى غير أبيه أوانتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) خ جـ ١ (فضائل المدينة) ص ١١٩ .

(١٦) ومن المقرر فى الإسلام أن العمل إن كان لغير الله فيه ذرة منه فهو باطل ، مهما كان العمل جليلا ، وهذا مجاهد من الصحابة يسأل (إنى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنى ؟ فنزل : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولايشرك بعبادة ربه أحدا) خ حـ ١ (العـــلم) ص ٢١ بالمعنى .

(١٧) ويعمل الإسلام جاهدا على تكوين الشخصية واستقلالها (لايكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم) .

(١٨) ويحث على فعل الخير ، وأن عليه جزاء فى الدنيا وفى الآخرة ، ويقدر الإخلاص فيه ـ يحظى العبد برضى ربه (صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب) .

(١٩) وخير الناس أنفعهم للناس ، وأقربهم من رحمة الله أوسعهم عفوا وأكثرهم راحة فى الدنيا أشدهم ذهدا لما فى أيدى الناس (ثلاثة أقسم عليهن مانقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولافتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر) .

(٢٠) والمؤمن يعتز بالله ، ولايرضى أن يذل نفسه (من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا) .

(٢١) ويجب الإعتزاز عند طلب الحاجات ، ومعناه ألا تعمل عملا مع

من تطلب منه لايفرك الإسلام عليه (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجرى بالمقادير) .

(٢٢) ويجب التنزه عما فى أيدى الناس مما لاحق لك فيه ، (عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، وإياك ومايعتذر منه) .

(٢٣) والمؤمن لا يستهين بذنوبه ، ومن أجل هذا يتوب منها قبل أن تغطى بصيرته (إن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب واستغفر ثقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه) .

(٢٤) والفاجر لايعبأ بذنبه ، وهذا تصوير لشعور المؤمن والفاجر نحو ذنبيهما (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه ـ فقال به هكذا فطار) خ ج ٢ الدعوات ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢٥) ومن أهم المبادىء فى الإسلام : محاربة الخرافات . فعلى كل مسلم وخصوصا العلماء منهم ألا يتهاونوا فى محاربة كل ماهو دخيل على الدين مما كان معمولا به فى الجاهلية فألغاه الإسلام . ثم عاد إلى أذهان المسلمين بطريق آخر . وتهاون فيه من ينتسبون إلى العلم . ونحن نهيب بكل عالم ألا يستبدل بآخرته دنياه ، وأن يبتعد عن التأويل لتثبيت البدع . وهذا مثل أضربه ليتعظ الجميع : إذا نذر بعض العامة حيوانا لولى ـ فمن حق هذا الحيوان أن يأكل من زروع الناس ، يخافون من الولى المنذور له إن منعوه . فأى فرق بين هذا وبين الفرع المعمول به فى الجاهليه ؟ (لافرع ولا عتيرة)(١) والفرع أول نتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم . والعتيرة تذبح فى رجب .

---

(١) خ ج ٢ (العقيقة) ص ١٢٩ .

(٢٩) ويجب على المسلم أن يجتنب الغرور ـ فهو لا يدرى لعل غيره أحسن عملا منه (من ظن أنه خير من غيره فقد تكبر) .

(٢٧) ومن أهم مبادىء الإسلام العدل . ومراعاته ، وشعور المسلم بالمسئولية عن عمله والجزاء عليه (البر لا يبلى ، والإسم لا ينسى ، والديان لا ينام ، وكما تدين تدان) .

تلك إشارات يسيرة اكتفى بها فى هذا الموضوع . وقد تعمدت تكرار بعض الأحاديث فيه ، ليزيد الإنتباه إليها . وكما قلت إن كل تعاليم النبى مبادىء .

الموضوع الثلاثون

القصص

(١) وهذا لون من القصص أقدمه للقارىء ليتذوق موضع العبرة فيه - فإن فى القصص عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكنه حقائق وقعت فى أزمان مختلفة - أفردتها فى باب خاص .

ويعتمد بعض المرشدين والدعاة على القصص . وعيبهم فيه أنهم يخلطون بين الصحيح منه وغير الصحيح .

وأول مانبتدىء به قصة الثلاثة أوردها « رياض الصالحين » فى باب المراقبة :

(إن ثلاثة من بنى إسرائيل - أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قذرنى الناس فمسحه . فذهب عنه قذره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . فقال : فأى المال أحب إليك ؟ قال الإبل - أو قال البقر - شك الراوى ، فأعطى ناقة عشراء فقال : بارك الله لك فيها . فأتى الأقرع فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عنى هذا قد قذرنى الناس فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر . فأعطى بقرة حاملا قال بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلى بصرى فأبصر الناس فمسحه فرد الله إليه بصره . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطى شاة ولدا ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بى الحبال

فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به فى سفرى ؟ فقال : الحقوق كثيرة . فقال له كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع فى صورته وهيأته ، فقال له مثل ماقال لهذا ورد عليه مثل مارد هذا . فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى فى صورته وهيأته فقال : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك وأعطاك المال شاة أتبلغ بها فى سفرى ؟ فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرى فخذ ماشئت ودع ماشئت ، فوالله لاأجهدك اليوم بشىء أخذته لله عز وجل . فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٤٦ وهكذا يتميز المؤمن العارف لنعمة ربه عليه فيستحق رضوانه ، ويبعد الجاحد المنكر للنعمة المخـــل بعهده - يبعد عن الرحمة إلى السخط والجحيم .

(٢) (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال الملك : إنى قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه . فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى . وإذا خشيت أهلك فقل : حبسنى الساحر . فبينما هو على ذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره . فقال له الراهب : أى بنى أنت اليوم أفضل منى ، قد بلغ من أمرك ماأرى وإنك

ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل على . وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ماهى لك أجمع إن أنت شفيتنى - فقال : إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله تعالى فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله تعالى فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : أولك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ماتبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل : فقال : إنى لاأشفى أحداً إنما يشفى الله تعالى . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جىء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك افأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام فقيل له : ارجع اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه .فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك: مافعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال: مافعل أصحابك؟ فقال : كفانيهم الله تعالى . فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ماآمرك به . قال : ماهو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم أرمنى فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدره فوضع يده فى صدره

فمات . فقال الناس . آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له: أريت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس. فأمر بالأخدد بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له إقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها . فقال لها الغلام . ياأماه اصبرى فإنك على الحق) .

وهكذا يبتلى المؤمنون ويصبرون . وفى النهاية ينصر الله أولياءه ويخذل أعداءه ـ لينال كل ماأعدله من جزاء .

(٣) (إنطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لاأغبق قبلهما أهلا ولامالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أومالا ، فلبثا ـ والقدح على يدى ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ـ والصبية يتضاغون عند قدمى ـ فاستيقظا فشربا غبوقهما : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لايستطيعون الخروج منه . قال الآخر . اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى . وفى رواية كنت أحبها كأشد مايحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها ، وفى رواية فلما قعدت بين رجليها قالت ، اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم

غير رجل واحد ترك الذى له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين فقال : ياعبدالله أدإلى أجرى فقلت : كل ماترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : ياعبد الله لاتستهزىء بى ، فقلت : لاأستهزىء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فاخرج عنا مانحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) خ ح ١ (الاجارة) ص ١٣٧

فانظر كيف انفرج الكرب وكيف بدأ وانتهى ، لقد كانوا يتجولون فى الصحراء فألجأتهم السماء إلى مكان يختبرون فيه ، فتوسلوا للنجاة بصالح عملهم ، فأولهم رد الجميل لمن قدمه إليه ، رحم الكبار قبل الصغار ، وآثر من هو فناؤه أقرب من غيره ، وتغلب على عاطفته بعقله .

وأما الثانى ، فاستبد به طيش الشباب وكاد أن يطغيه الغنى ، وشجعه على ذلك أنه صار مطلوباً وليس بطالب ، ومحتاجا إليه ومضطراً لما فى يديه ؛ ولكن سرعان ماتغلب على نفسه وانقشعت الغشاوة عن بصيرته (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون)

أما الأخير منهم فقد استؤمن فلم يكن أميناً فحسب بل هو أمين مستثمر . أجرى الله على يديه كسباً ، ليبتليه ـ فخاض المحنة بسلام، وعندما حضر المؤتمن سلمه حقه وماتولد منه ، كل ذلك من أجل الله الذى عملوا ابتغاء وجهه ، ففرج مابهم من كرب .

(٤) (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ـ فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم . ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ إنطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها

أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء. فانطلق حتى إذا وصل نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلا بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم - أى حكما - فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة) خ حـ ٢ بدء الخلق صـ ٤٧

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، فلقد أذنب وسأل عبداً ، فاستعظم ذنبه على مغفرة الله أن تتسع له ، فكان ما كان من قتله كذلك ، وسأل آخر ممن يدركون أن رحمة الله وسعت كل شيء - فأرشد وأحس بما للبيئة السيئة من سلطان على ذلك المذنب ، وأشار عليه أن يتحول لبيئة أخرى صالحة ، وأطاع فارا من ذنوبه ، ذاهباً إلى ربه حسب ما أرشده من يفتى عنه ، لكنه لم يصل إلى غايته ، ومن حق كل امرىء أن يسأل عن مصير مثل هذا - أيؤاخذ بنيته أم بعمله ؟

وبعد المناقشة أعلن أن نية المرء خير من عمله ، وأن الإنسان قد يدرك بنيته أضعاف ما يدركه بعمله ؛ وفى رواية فى الصحيح « فكان إلى القرية الصالحة بشبر فجعل من أهلها » وفى رواية أخرى فى الصحيح « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » وفى رواية ثالثة : « فنأى بصدره نحوها » .

(٥) إن امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا ، فقالت : يارسول الله أصبت حداً فأقمه على ، فدعا نبى الله صلى عليه وسلم وليها فقال : أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى ، ففعل . فأمر بها نبى الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها ،

فقال له عمر : تصلى عليها يارسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل .

ومن يغفر الذنوب إلا الله،ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين .

وهذه قد ارتكبت حداً ثم جاءت تعترف بذنبها راجية تكفيره باقامة الحد عليها . ومن العدل أن يقام . ومن العدل كذلك ألا يؤاخذ البرىء بذنب غيره . وولد الزنا هو خير أبويه فيحترم ، وليس بشر أبويه كما قيل — فهما اللذان قد ضيعاه وما من طفل إلا وله حق فى الحياة — فلنبحث عمن يقوم بتربيته ورعايته . وهذا هو الذى كان . عهد به إلى رجل من صالح المؤمنين بعد أن تأكد صاحب السنه أنه استغنى عن أمه ، ثم قدمت لتوقيع العقاب باذلة نفسها خوفا من ربها ، وهى تدرك أن من وقع فى الذنب فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له .

وانتهت حياتها وبدأت رحمة الله تغمرها بصلاة نبيه عليها وتساءل البعض أليست زانية ؟ ناسين أنها تائبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

(٦) (غزا نبى من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتا لم يرفع سقوفها ، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها . فغزى فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه ، فجمع الغنائم فجاءت — يعنى النار — لتأكلها فلم تطعمها

فقال : إن فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده فقال : فيكم الغلول فليبايعنى قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال : فيكم الغلول — فجاءوا برأس مثل بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها ، فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا) خ ح ٢ (الحور) ص ٢٨

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وأبرز ما فى القصة أن القائد يشترط على الجند المجاهدين ألا يكون منهم من تتعلق همته بالدنيا فى صورة امرأة أو عقار أو منقولات . وأن يتجردوا لله . فإن هم وصلوا إلى تلك المرتبة من السمو ، فقد حق لهم أن يسووا أنفسهم بأضخم وأكبر ما فى الطبيعة فى أن كلا منهما مأمور . وأن ذلك الإنسان قد يضيق وقته ولا يتسع لما أمر به فيه ، فليلجأ إلى الله ليلهمه فقها يستعين به على تقديم الأولى . ولقد رزق هذا النبى ذلك الفقه فغزا وأدى صلاة العصر فى وقتها .

ومن شروط النجاح فى الجهاد ألا يكون فى المجاهد مطمع فى مال ، ولا يفكر فى الحصول عليه من وراء الجهاد أما الغلول أى أخذ من الغنيمة مالا يحل أخذه . ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة . وإما أن يحصل عليه بطريق الغنيمة ولم تحل لأحد غيرنا . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(٧) (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج — فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى . فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يارسول الله إن لنا فى البهائم أجرا؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر) وهكذا من يرحم يرحمه الله . والذين يحسون بإحساس الآخرين هم أحق الناس بالرحمة . وإذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الذنوب ، فكيف الرحمة

بالإنسان الذى قست عليه الحياة ولا يجد فيها من يرحمه ؟(١) ، وفى رواية للبخارى . « فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة » ، وفى رواية أخرى للبخارى ومسلم « بينما كلب يطيف بركيه قد كاد يقتله العطش إذرأته بغى من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به » خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧

(٨) (كنا فى صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة مجتابى النمار أو العباد متقلدى السيوف ، عامتهم بل كلهم من مضر — فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة . فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال :(ياأيها الناس إتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) إلى آخر الآية : (إن الله كان عليكم رقيباً) والآية الأخرى التى فى آخر الحشر (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره ـ حتى قال ـ ولو بشق تمرة ، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت . ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا) .

وكلكم مسئول عن رعيته ، والراعى الصالح هو الذى يأسى لرعيته إن رآهم فى ضيق من العيش ، ويتهلل وجهه سروراً إن رآهم فى رغد منه . وهو الذى يسعى لرفع مستواهم لا يتقيد بوسيلة معينة ، ولو كانت جمع التبرعات لهم ـ وما على المحسنين من سبيل . ولينفق كل ذى سعة من سعته . وما أنفقتم

---

(١) خ حـ ١ (الشرب) ص ١٤٤

لمن شيء فهو يخلفه . وصحابة النبي يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ، ويتبعهم فى ذلك المؤمنون وللداعى إلى الخـــير أو الشر مثل من يتبعونه ويقلدونه .

(٩) (لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى . فقالت : ياجريج فقال : يارب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : ياجريج فقال : أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت . ياجريج فقال : أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت : اللهم لاتمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته ، وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت : إن شئتم لأفتننه . فتعرضت له فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت : هو من جريج . فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه . فقال : ماشأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغى فولدت منك . قال : أين الصبى ؟ فجاءوا به فقال . دعونى حتى أصلى . فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال : ياغلام من أبوك ؟ قال: فلان الراعى . فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا : نبنى لك صومعتك من ذهب ؟ قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت . ففعلوا . وبينما جريج صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه : اللهم اجعل ابنى مثل هذا . فترك الثدى وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهم لاتجعلنى مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع فكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه بأصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها ثم قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت ؟ وهى تقول : حسبى الله ونعم الوكيل . فقالت أمه : اللهم لاتجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال : اللهم اجعلنى مثلها . فهنالك تراجعا الحديث فقالت . مر رجل حسن الهيئة فقلت

اللهم اجعل ابنى مثله. فقلت. اللهم لاتجعلنى مثله. ومروا بهذه الأمة يضربونها ويقولون زنيت سرقت؟ فقلت: اللهم لاتجعل ابنى مثلها فقلت: اللهم اجعلنى مثلها قال: إن ذلك الرجل جبار فقلت: اللهم لاتجعلنى مثله وإن هذه يقولون زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلنى مثلها) خ حـ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٤

لقد أنطق هؤلاء الذى أنطق كل شيء وهو خلقهم أول مرة. ولعل هذا من أعظم الدلائل على القدرة ـ واحد لاأب له. وثان أبرأ المؤمن من تهمة لصقت به، والثالث لم يخدع بالظواهر وإن خدع الكبار بها، ولايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلاالله.

(١٠) (قدم عيينه بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. فقال عيينه لابن أخيه: ياابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه. فاستأذن له فأذن له عمر رضى الله عنه ـ فلما دخل قال: هى ياابن الخطاب: فوالله ماتعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال له الحر: ياأمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وإن هذا من الجاهلين. والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى).

لقد كان الأمراء يقربون منهم ذوى الرأى، ليستأنسوا بهم ولينتفعوا بمشورتهم ـ صارفين النظر عن سن معينة تشترط لإبداء الرأى. فالكبير الجاهل يشفع له الصغير المتعلم عند أمير المؤمنين ويتعرض الأمير لنقد هدام، ويهم أن يبطش بمبتغى السوء من وراء نقده فيذكر بآيات الله فيطأطىء لها رأسه وينحنى لها ظهره وينقاد إليها قلبه. (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

(١١) (كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن

سألهم : أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس رضى الله عنه فقال له: أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم ، قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ، قال : نعم ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره . فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . فاستغفر لى ، فاستغفر له . فقال له عمر . أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحب إلى . فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرفهم فوافق عمر فسأله عن أويس ـ فقال : تركته رث البيت قليل المتاع . قال: سمعت رسول الله صلى الله وعليه وسلم يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . فأتى أويساً فقال . إستغفر لى . قال : أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى . قال : لقيت عمر ؟ قال : نعم فاستغفر له . ففطن له الناس فانطلق على وجهه) والأرواح جنود مجندة ، ماتعارف منها ائتلف . وهذا عمر بن الخطاب الذى تنبأ له الرسول أنه أجدر الناس بالإلهام ، وإن يكن فى أمتى محدثون فإنه عمر .وهذا أويس البار العالم العارف لنعم ربه وحقوق أمه ، يتلاقيان فيتعارفان ، ويستغفر لمن يطلب منه لعل الله أن يغفر .

وهذه القصة يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنها من تنبؤات النبى ، وأنما فيها عمر وأويس ، وما أدراك من عمر ومن أويس ، فمن الخطأ أن نقيس عليها غيرها مما تقطع بتكذيبها القرائن ، ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا .

وفى رواية لمسلم أيضا عن أسير بن جابر رضى الله عنه أن أهل الكوفة

وفدوا على عمر رضى الله عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر : هل ههنا أحد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : (إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له ، قد كان به بياض ، فدعا الله تعالى فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم . فمن لقيه منكم فليستغفر لكم) .

وفى رواية له عن عمر رضى الله عنه قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة ، وكان به بياض فروه فليستغفر لكم) .

(١٢) (لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افعلوا . فجاء عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك البركة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أذوادهم فجعل الرجل يجىء بكف تمر ويجىء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شىء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال : خذوا فى أوعيتكم ، فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا وفضل فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة) .

وهكذا من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين . اقترحوا أن يذبحوا . واقترح الفقيه عمر أن يأتوا بفضل الزاد ليحقق أمرين : المحافظة على الخيل وهى وسائلهم فى الحرب وأهم أسلحتهم فى النضال . والأمر الثانى اكتساب البركة بفضل دعاء النبى وإقامة برهان عملى ، على أن يبذل عن طيب نفس وإن كان قليلا فإنه يكفى الكثير : أما رسول الله فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم

قبل الإقتراح الأول إقرارا للضرورة ، وقبل إقتراح الفقيه إلتماسا للبركة ، صلى الله عليه وسلم .

(١٣) (بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه فى حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له : ياعبد الله مااسمك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمع فى السحابة . فقال له : ياعبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : إنى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لإسمك فما تصنع فيها ؟ فقال : أما إذا قلت هذا فإنى أنظر إلى مايخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه) .

هذا هو العدل يعرف للمعطى الحقيق حقه ، فيعطيه للفقراء ، ويعرف للجهد الإنسانى حقه ، فيأخذ أجر عمله ، ويعرف مالوجوب الاستثمار من قيمه ، فيستثمر برد البذر إلى أرضه ليعطيه غلة ، (ومما رزقناهم ينفقون) (ولو أن أهـــل القرى آمنوا واتقول لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

(١٤) (جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى مجهود(١) فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء . فقال النبى صلى الله عليه وسلم :من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يارسول الله ، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية قال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبيانى ، قال : فعلليهم بشىء وإذا

---

(١) أصابه جوع .

أرادوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فاطفىء السراج وأريه أنا نأكل . فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين (١) ، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص٦١ (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فؤلئك هم المفلحون) تلك أخلاق الصحابة ، وسجية المضيف ، أما بيت النبوة فليس فيه شيء لأنه لا على المال يحرص ولا على الجاه يبتغي ، فإذا لم يتسع للضيف فإنه لم يتخلى عن أن يبحث عن مضيف آخر قام بواجبه ، وزاد كرمه إلى حد أن كان موضعا لإلهام النبي به في صورة إعجاب الله جل شأنه من سخاء عبده .

(١٥) (إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف ، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة . فقيل له : هو من المهاجرين فلم نقصته ؟ فقال : إنما هاجر به أبوه يقول : ليس هو كمن هاجر بنفسه) .

(قاموا بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم ، أو الوالدين والأقربين) حققوا العدل بين الناس بعد أن ألزموا به أنفسهم ، تنزهوا عن المحاباة والمحسوبية فخضعت لهم جباه الجبابرة ، فرقوا بين أولادهم وسائر المهاجرين لأمر غير ذي بال فنقصوا أولادهم من أجله .

ما أروع ذلك التهذيب للنفس ! ولا عجب فإن صاحب الأمر والنهي عمر .

(١٦) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد مالقيته منهم يوم العقبة(٢) إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن

---

(١) جائعين (أي الزوجين) .

(٢) حين ذهب للطائف .

عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى وإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بأمرك ؛ فما شئت أطبقت عليهم الأخشبين (١) ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٤.

والأنبياء أشد الناس بلاء ، لأنهم أكثر الناس مسئولية ، وكلما عظمت المسئولية اشتد الإبتلاء ، وهو لم ينس موقفا من أهل الطائف ردوه فيه أقبح رد ، وكان قد خرج إليهم يستنصر بهم على قساة أهل مكة ، ولم تنتهى الشدة بانتهاء الطائف ، فكانت بأساء وضراء أحد . لايظن ظان أن هناك موقفا كان أشد عليه من أحد ، فأخبر أن موقف الطائف أشد ، والحقيقة أنه تعرض لمواقف عديدة كانت شديدة وقاسية تحملها مؤمنا ، وتخطاها منتصرا وبعد أن أمكنه الله لم يدع على أعدائه ، بل طلب تحقيق أمنيته هداية الخلق إلى رب العالمين .

(١٧) انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه . فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض . قال يقول عمير بن الحمام الأنصارى رضى الله عنه : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم . قال : بخ بخ . فقال رسول الله صلى الله

---

(١) الجبلان المحيطان بمكة .

عليه وسلم : مايحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه ، إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل) .

إن التأميل فى الآخرة هو بضاعة الأنبياء . وهل لأصحاب العقائد وفداة الحق من راحة إلا هناك ؟ .

وبهذه الروح المؤمنة ، وهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد فى متاع الحياة الدنيا . وراعهم محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد نزل بنفسه إلى ميدان يقاتل أشد القتال ، ومعه أصحابه يشتدون نحو عدوهم لا يبالون شيئا . فانكسرت قريش وأخذها الفزع .

(١٨) (جاء ناس إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالى[1] حرام ، يقرءون القرآن ، ويتدارسونه بالليل : يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفه ، وللفقراء ، فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان . فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا . وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه . فقال حرام : فزت ورب الكعبة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا) خ ج ٢ (الحور) ص ١٤ ، ١٥

خرج الدعاة من المدينة حتى بلغوا بئر معونة . وكانوا سبعين من خيار المسلمين يعرفون بالقراء ، يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، ويحيون

---

(١) خال أنس .

على هذا النسق الرتيب من جهاد للحياة ورغبة فى الآخرة . فلما أمرهم الرسول بالمسير لإبلاغ رسالات الله ، خرجوا وما كانوا يعرفون أنهم - جميعا - يخشون الخطى إلى مصارعهم فى أرض انتشر الغادرون فى فجاجها .

وحينما انتهى القراء إلى (بئر معونة) بعثوا أحدهم - حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل رأس الكفر فى هذه البقاع ، فأعطاه كتاب النبى الذى يدعوه فيه إلى الاسلام فلم ينظر عامر فى الكتاب وأمر رجلا من أتباعه أن يغتال حامل الرسالة ، فما شعر حرام إلا وطعنة نجلاء تخترق ظهره ، وتنفذ من صدره ، وكأن هذه الشهادة المفاجئة لاقت رجلا يتمناها من قديم ، فقد صاح حرام على أثر ذلك : فزت ورب الكعبة .

ومضى عامر فى غشمه ، فاستصرخ أعوانه ليواصلوا العدوان على سائر القوم ، فانضمت إليه قبائل « رعل » و « ذكوان » « والقارة » فهجم بهم عامر على القراء الوادعين .

ورأى هؤلاء الموت مقبلا عليهم من كل صوب ، فهرعوا إلى سيوفهم يدفعون عن أنفسهم دون جدوى ، إذ استطاع الأعراب الهمج أن يغشوهم فى رحالهم ، وأن يستأصلوهم عن آخرهم .

وكان فى سرح القراء اثنان لم يشهدا هذه المأساة . منهم عمرو بن أمية الضمرى . ولم يعرفا النبأ المحزن ، إلا من أفواج الطير المتوحشه ، تنطلق نحو المعسكر محومة حول الجثث الملقاة على الرمل الأعفر ، طاعمة بما تستطيع اختطافه بأظافرها ومناقرها . قالا : والله إن لهذه الطير لشأنا . فأقبلا لينظرا فإذا القوم مضرجون فى دمائهم . وإذا الخيل التى أصابتهم واقفه .

قال زميل عمرو له : ماذا ترى ؟ قال عمرو : أرى أن نلحق برسول الله نقص عليه الخبر . لكن زميله كره هذا الرأى ، وكان له بين من استشهدوا صديق حميم يدعى المنذر . لذلك أجاب عمرو بن أمية قائلا : ما كنت لأرغب

بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر . وما كنت لأبقى حتى أقص خبره على الرجال . وهجم على الأعراب يقاتلهم حتى قتل .

وأسر عمرو ثم أعتق وعاد إلى المدينة ، حاملا معه أنباء المصاب الفادح. مصرع سبعين من أفاضل المسلمين ، تذكر نكبتهم بنكبة أحد ، إلا أن هؤلاء ذهبوا فى قتال واضح ، وأولئك ذهبوا فى غدرة شائنة .

ومع أن هذه الواقعة توجب على المسلمين أن يتبصروا قبل بعث أى وفد لنشر الإسلام بين القبائل البعيدة والمجاهل المريبة ، إلا أن ضرورة بث الدعوة ـ مهما فدحت الخسائر ـ جعلت النبى ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمر لابد منه . كالتاجر الذى يتحمل المغارم الثقيلة حينا من الدهر ، لأن الإنسحاب من السوق بغية تجنبها ـ قضاء عليه . فهو يبقى متجملا حتى تهب الريح من جديد ، رخاء تعوض مافقد . وذلك هو سر استجابة الرسول فى إرسال الدعاة .

(١٩) (إن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال مرة : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس أو كما قال ، وأن أبا بكر رضى الله عنه جاء بثلاثة ، وانطلق النبى صلى الله عليه وسلم بعشرة ، وأن أبا بكر تعشى عند النبى صلى الله عليه وسلم ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فجاء بعد مامضى من الليل ماشاء الله . قالت امرأته : ماحبسك عن أضيافك ؟ قال : أو ماعشيتهم قالت : أبوا حتى تجىء وقد عرضوا عليهم ، قال : فذهبت أنا فاختبأت فقال ياغنثر ، فجدع وسب ، وقال : كلوا لاهنيئا والله لاأطعمه أبدا ، قال : وأيم الله ماكنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته : ياأخت بنى فراس ماهذا ؟ قالت: لاوقرة عينى لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات فأكل منها أبو بكر وقال : فما كان ذلك من الشيطان ، يعنى يمينه ، ثم أكل منها

لقمة ثم حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده . وكان بيننا وبين قوم عهد فضى الأجل فتفرقنا إثنى عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل ، فأكلوا منها أجمعون) خ جـ ١ (مواقيت الصلاة)صـ٥٤ (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

(٢٠) (شكا أهل الكوفة سعدا ، يعنى ابن أبي وقاص رضى الله عنه،إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستعمل عليهم عمارا ، فشكوا حتى ذكروا أنه لايحسن يصلى . فأرسل اليه فقال : يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لاتحسن تصلى ؟ فقال : أما أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاأخرم عنها ، أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين وأخف فى الأخريين . قال : ذلك الظن بك ياأبا إسحاق ، وأرسل معه رجلا ـ أو رجالا ـ إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة فلم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا ، حتى دخل مسجدا لبنى عبس فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة يكنى أباسعدة ، فقال : أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لايسير بالسرية ولايقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا ، قام رياء وسمعة فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن ، وكان بعد ذلك إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد . قال عبد الله بن عمير الراوى عن جابر بن سمرة : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطريق فيغمزهن)(١) .

لعل فى هذه القصة العادلة أنموذجا حيا للمسئولين فى وزارة الأوقاف ، الذين يستمعون إلى الأفاكين عن العاملين فى المساجد .

ولقد كان عمر حسن الظن بسعد ، ومع ذلك تحرى . وفى هذه كرامة الأولياء ، وإلى أى مدى يستجيب الله دعوة المظلوم ؟

---

(١) خ حـ١ الآذان ص ٦٢ .

(٢٠) (وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما حضرت أحد ، دعانى أبى من الليل فقال : ما أرانى إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنى لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن على دينا فاقض واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا فكان أول قتيل ، ودفنت معه آخر فى قبره ، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر . فاستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته فى قبر على حدة) .

وهكذا شعور المؤمنين يخافون على نبيهم أكثر من خوفهم على آبائهم وأبنائهم .

ولا ينسى المؤمن فى آخر عهده بالدنيا حقوق الآخرين عليه ، فيوصى بقضائها كالوصية بأولاده ، وهو يعد نفسه غدا للجهاد .

وهكذا يتنبأ الأولياء لأنفسهم ، فكانوا أول الشهداء كما تنبأوا .

ولقد أكرم الله أبا جابر ، فحرم على الأرض أن تأكل جسده ، ولله أن يكرم عباده بما يشاء وهو يتولى الصالحين .

خاتمة

وحيث قد انتهينا من ثلاثين موضوعا ، استعرضنا فيها قدرا من الأحاديث لنضع يد القارىء على شىء من كنوز السنة الخالدة ولا ندعى الإحاطة بها علما ، ولكن كما قلت - هذه قطوف من الثمر الجنى اقتطفتها من رياض السنة ، والتزمت فيها ذكر الصحيح والحسن .

وأذكر القارىء أنى بشر أخطىء وأصيب ، فأرجو نقدا بناء ، والخير أردت . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وهذه نبذة يسيرة عن علوم السنة ، أقدمها لتمام الفائدة :-

١ - المتواتر لابد أن يستند إلى أحد المحسوسات .

٢ - خبر الواحد إن تردد فيه المعدل ردت روايته مالم يعدله غيره .

٣ - المسند يطلق على :-

(ا) المتصل المرفوع . (ب) مرويات كل صحابي على حدة .

(ج) الإسناد - أى الرجال .

٤ - تعديل الإمام الثقة لخبر الواحد ، أو وجوده فى كتاب محترم يقربه من اليقين - أى خبر الواحد .

٥ - أصل السند الصحابة والتابعون . ويسمون بالفرد المطلق وهو فرد بكثرة وغريب بقلة ، ومقابلهما يسمون بالفرد النسبي - وهو فرد بقلة وغريب بكثرة .

٦ - حسن صحيح : إن كان له سندان فمعناه حسن وصحيح . وإلا فحسن

٧ - حسن غريب يراد به الحسن لغيره .

٨ - زيادة راوى الحسن والصحيح مقبولة مالم تخالف الأرجح .

هذه قواعد ذكرتها لأن الدارس للسنة تصادفه هذه التعبيرات فذكرتها للعلم بها . وهذه بعض التعريفات :

١ - المحفوظ : رواية الأرجح - عددا أو صفة مخالفا للمرجوح الثقة . ومقابله يسمى الشاذ .

٢ - المعروف : رواية الأرجح عددا أو صفة مخالفا للمرجوح غير الثقة ، ومقابله المنكر .

٣ - المتابع : الحديث الذى شارك غيره لفظا أو معنى فى الصحابي . فإن وافقه فى غير الصحابي يسمى شاهد .

٤ ـ المحكم : الحديث الذى لم يعارض . فإن عورض فهو المختلف . فإن أمكن الجمع جمع ، وإلا فإن أمكن معرفة الناسخ قيل به ، وإلا فإن أمكن معرفة الأرجح حمل عليه ، وإلا توقفنا فيه .

٥ ـ ا ـ المتصل : مااتصلت سلسلة رواته .

ب ـ المعلق : ما كان الحذف فى أول السلسلة .

ﺟ ـ المرسل : ما كان الحذف فى آخر السلسلة ـ أى الصحابى .

د ـ المنقطع : ما كان الحذف فى وسط السلسلة ـ واحد فأكثر لا على التوالى .

ﻫ ـ المعضل : ما كان الحذف اثنين على التوالى .

٦ ـ ا ـ المنقطع : رواية الراوى عن راو آخر لم يعاصره ولم يلقه .

ب ـ المدلس : رواية الراوى عن راو عاصره ، ولقيه لكنه لم يسمع منه .

ﺟ ـ المرسل الخفى : رواية الراوى عن راو عاصره ، ولم يلقه ولم يسمع منه . فالفرق بينه وبين سابقه المدلس أن فى التدليس لقاء من غير سماع . أما المرسل الخفى فليس فيه لقاء ولا سماع .

٧ ـ ا ـ الموضوع : مارواه الكذاب .

ب ـ المتروك : مارواه المتهم بالكذب .

ﺣ ـ المنكر : مارواه الفاسق ، مخالفا للثقة . ولابد للمنكر من أن يكون الفسق معروفا .

د ـ المجهول : فإنه يبحث عنه ، وتوقف روايته حتى يعدل .

ﻫ ـ المبتدع : فإن كان داعيا أو مروجا لبدعته ردت . وإلا قبلت .

٨ ـ فاحش الغلط وفاحش الغفلة يسمى منكرا . أما سيء الحفظ فيسمى شاذا . هذا عند قوم .

٩ ــ المعلل : مارواه الموهم .

١٠ ــ المدرج : ماحصل فيه تغيير . فإن كان التغيير فى السياق فهو مدرج الإسناد . وإن كان التغيير فى المتن فهو مدرج المتن .

١١ ــ المقلوب : ماحصل فيه تقديم وتأخير .

١٢ ــ المضطرب : مااستبدل فيه بعض الرواة .

١٣ ــ ومتصل الأسانيد : زيادة الراوى .

١٤ ــ المحرف : ماغير فيه الشكل .

١٥ ــ المصحف : ماغيرت فيه النقط .

١٦ ـ العالى : ماقلت رواته بالنسبة لسند آخر . ومقابله النازل . فإن قلت الرواة بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم فهو العالى علوا مطلقا . وإن قلت بالنسبة لإمام أو لأحد الكتب الستة فهو العالى علوا نسبيا . والنازل كذلك . وكلاهما ينقسم إلى :

موافق ـ بدل ـ مساوى ـ مصافح .

فالموافق : توافق الحديث فى سندين .

والبدل : إبدال أحد الرواة براو آخر ثم اتفاق فى باقى السلسلة والمساوى: كأن يوجد رجال مساوون لرجال السند الآخر . والمصافح : كأن نروى بسلسلة مساوية لتلميذ النسائى .

١٧ ــ ورواية الأقران ورواية المدبج ـ كأن يروى كل قرين عن قرينه . ورواية السابق كرواية الكبير عن الصغير ثم يروى آخر لم يعاصر الكبير عن الصغير ، فيشتركان فى الرواية عن الصغير .

١٨ ـ المتفق والمفترق : مثل محمد بن عبد الله الأنصارى .

١٩ ــ والمؤتلف والمختلف مثل : سلام . وسلام . والمتشابه : مثل محمد ابن عقيل . ومحمد بن عقيل . والمشتبه المقلوب مثـــل : الأسود بن يزيد ، ويزيد بن الأسود .

٢٠ ـ المسلسل : رواية الحديث على نفس الحالة التي روى عليها ـ كالقبض على اللحية حين الرواية .

شروط التحمل : ـ التمييز والضبط .

شروط الأداء : ـ العداله والضبط .

والتحمل هو سماع الحديث وحفظه . أما الآداء فنقله للغير .

صيغ التحمل :

١ ـ السماع .
٢ ـ العرض .
٣ ـ الكتابة مقيدة بالإجازة .
٤ ـ الكتابة مطلقا .
٥ ـ المناولة مقيدة بالإجازة .
٦ ـ الإجازة .
٧ ـ المناولة .
٨ ـ الإعلام .
٩ ـ الوصية .
١٠ ـ الوجادة .

شروط المعدل والجرح :

١ ـ العدالة
٢ ـ التيقظ
٣ ـ المعرفة بأسباب الجرح والتعديل .
٤ ـ الدراية التامة بأحوال الرواة .

مراتب التعديل :

١ ـ لا أحد أثبت منه .
٢ ـ ثقة ثقة .
٣ ـ ثقة .
٤ ـ صدوق .
٥ ـ صدوق له أوهام .
٦ ـ مقبول .

مراتب الجرح :

١ ـ لين .
٢ ـ ضعيف .

٣ ـ مردود .　　　٤ ـ متروك .　　　٥ ـ كذاب .

وعلم الحديث ينقسم إلى :

(ا) رواية .　　　(ب) دراية .

ومسائل علم الحديث دراية كلية . أما الرواية فجزئية .

فمثلا ـ خبر الواحد يجوز العمل به . فإنها قاعدة كلية .

أما إذا قلنا عن حديث منسوب لأبى هريرة إنه ضعيف ـ فليس معنى هذا الحكم على جميع روايات أبى هريرة بالضعف كما توهم الجهلة الذين يكتبون عن غير علم .

تعريف الرواية : حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عزى إليه بصيغة من صيغ الأداء .

تعريف الدراية : علم يعرف به أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد .

وقد اهتم المسلمون بالحديث اهتماما لايقل عن اهتمامهم بالقرآن الكريم وإن كان القرآن فى المرتبة الأولى ، فالحديث فى المرتبة الثانية .

وخلاصة مانقله المسلمون متعلقا بدينهم :

١ ـ القرآن وسائر العبادات .

٢ ـ الأخبار المتواترة .

٣ ـ الأحاديث الصحيحة .

٤ ـ الحديث المقطوع ـ وهو ماأضيف للتابعى . والموقوف : ماأضيف للصحابى . والمرفوع : ماأضيف للنبى .

٥ ـ الحديث الذى فى سلسلته مجروح أو مجهول . وذلك للبحث عنه وإثبات صحته أو ضعفه .

والحديث إما متواتر أو غير متواتر . والخبر إما أن يكون غير محفوف بالقرائن أو محفوف بالقرائن .

والقرائن إما لتصديقه أو لتكذيبه .

والخبر المحفوف بقرائن تكذبه : ماكان مخالفا للمنقول القطعي من كتاب أو سنة متواترة ، أو مخالفا للعقل القطعي ، أو للإجماع أو اتفق على تكذيبه جمع كثير ، أو سكتوا عن ذكره .

وللمحدثين إصطلاح في معنى الخبر والأثر والحديث والسنة ـ وكلها معان متقاربة تشمل ما أضيف للنبي أو الصحابي .

شروط الرواية الصحيحة :

١ ـ الإتصال .
٢ ـ عدالة الراوي .
٣ ـ ضبطه .
٤ ـ عدم شذوذه
٥ ـ عدم وجود علة .

حكم العمل بخبر الواحد :

ويجوز العمل بخبر الواحد عند الجمهور . وخالفهم الجبائي وله دليلان :

١ ـ لو جاز العمل به لجاز التعبد به . ولو جاز التعبد به لجاز اجتماع النقيضين عند التعارض ـ كتعارض حديثين أحدهما الجهر بالتسمية والآخر الإصرار بها .

والجواب عن اعتراض الجبائي ودليله : أن نقول للجبائي إن تساويا وجب الوقف . وإن ترجح أحدهما وجب العمل بالأرجح . وإن علم الناسخ وجب العمل به .

وإن قال الجبائي بتعدد الحق ، قلنا له نحن مطالبون بما انتهى إليه علمنا ، وإن كان يقول بوحدته فالإجماع منعقد أن المصيب له أجران والمخطىء له أجر .

الدليل الثانى لإعتراض الجبائى وقوله لايجوز العمل بخبر الواحد : لو جاز العمل بخبر الواحد لأمكن نقل القرآن به وادعاء النبوة من غير معجزة والعمل به فى العقائد وهذا كله لم يجزه الجمهور ، وجوابه : أن القرآن مما تتوافر الدواعى على نقله متواترا . وأن ادعاء النبوة من غير معجزة منقوض بأن الله لم يرسل نبيا إلا أيده بها .

أما العقائد فعلتها ثبتت من أول الأمر مطابقة للواقع فلا يقبل فيها إلا اليقيين . وخبر الواحد يفيد الظن .

أما الروافض فقالوا عن العمل بخبر الواحد هو جائز عقلا ، غير واقع شرعا . واستدلوا :

١ — قوله : « ولا تقف ماليس لك به علم » وجوابه : إما أن تكون خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإما أن الظن لايكفيه فى الوحى ، وإما أنها منع للشاهد من أن يجزم بالظن ، وإما أن العلم يراد منه الظن .

٢ — استدلوا بقوله : « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا » وجوابه : أنها فى العقائد أو أنها فى الظن الناشىء عن غير دليل . والدليل على العمل بخبر الواحد عمله صلى الله عليه وسلم به حين كان يرسل الدعاه ويعمل بمقتضى أخبارهم ، وهذا ثابت مشهور فلا معنى للمخالفة .

تقسيم التواتر : —

(ا) لفظى : وهو ما اتفقت الروايات على معنى واحد فى قصة واحدة

(ب) التواتر المعنوى : ما اتفقت الروايات على معان متعددة فى قصص متباينة — كشجاعته ومروءته ووفائه .

والأول كحديث رفع اليدين فى الدعاء — فإنه من التواتر اللفظى . وكلاهما يفيد العلم بالضرورة فلا دخل لبحث المحدث فيه بعد أن ثبت له تواتره .

تعريف : الغريب ما رواه واحد . العزيز ما رواه إثنان : المشهور : ماروا ه ثلاثة .

وقد تكون هذه الأقسام صحيحة . وقد تكون ضعيفة .

والضعيف : منه ما يعتبر به ومالا يعتبر به . والمشهور : يفيد طمأنينة العلم . والعزيز : يفيد أغلب الرأى . والغريب : يفيد الظن .

أما عند ابن رشد : فسنه لا ينكرها إلا كافر ، وأخرى لا ينكرها إلا زائغ ، وثالثة توجب العلم والعمل ، ورابعها توجب العمل .

والمتواتر يفيد العلم بنفسه لا بالقرائن .

وشروط المتواتر :

١ — أن يحيل العقل تواطؤهم على الكذب .

٢ — أن يكون المخبرون كثيرين .

٣ — أن يكون سندهم إلى الحس .

٤ — أن تكون الجماعة الكثيرة موجودة فى كل طبقة .

وهذه بعض القواعد والأصول لمعرفة مدى صحة الحديث بناء على التعبير عنه : —

١ — قول الصحابى أمرنا أو نهينا أو من السنة — فهو من المرفوع على رأى ابن الصلاح والجمهور . وخالفهم قوم . ولهم دليلان : —

(ا) احتمال أن يكون الآمر غير الرسول .

(ب) عدم التصريح بقول الرسول - وقيل إن قال ذلك أبو بكر فهو من المرفوع .

٢ — قول الصحابى كنا نفعل . فإن أضافه إلى زمن النبى فهو من المرفوع ، وإلا فلا . وقيل إن كان محالا يخفى على الناس فهو من المرفوع .

وإن قالها التابعى فهل تقرير الصحابة يجعله موقوفا أو لم يزل مقطوعا وقف على التابعى .

٣ — تفسير الصحابى إن كان فى سبب النزول أو لا مجال للرأى فيه فمرفوع .

٤ — قول الصحابى : نزلت الآية فى كذا فرأى البخارى أنه مرفوع . وإن كان القائل من أئمة التابعين فمرسل مرفوع . وقال ابن حجر قول الصحابى فيما لا مجال للرأى فيه - إن كان لم يأخذ عن أهل الكتاب فمرفوع .

٥ — وإن قال الصحابى برفعه فمرفوع . وإن حذف الصحابى القائل فمرفوع .

ومن المحدثين من يقسم الحديث إلى مقبول أو مردود، وأعترض عليه لأن اصطلاحات المحدثين مختلفة — فمنهم من يجعل الحسن قسما من الصحيح، ومنهم من لا يجعله قسما منه .

والصحيح إما لذاته أو لغيره . وهو حديث أصله حسن لكن أيده حديث آخر صحيح فصار الحسن صحيحاً لغيره .

والحسن كذلك : إما لذاته أو لغيره وأصله حديث ضعيف أيده حديث حسن لذاته فصار الحديث الضعيف حسنا لغيره .

والضعيف درجات . كما أن الصحة درجات . فما رواه عدل تام الضبط خال من الشذوذ والعلة متصل الإسناد فصحيح .

أما ما رواه خفيف الضبط فالحسن . والتجريح من أجل العدالة أخطر من التجريح من أجل الضبط .

وللعلماء اصطلاحات فى تعريف الصحيح . أشهرها ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ،ولا يكون شاذا ولا معللا - وهذا تعريف ابن الصلاح .

وعرفه ابن الخطابى بأنه ما اتصل سنده وعدلت نقلته . واعترض عليه بأنه غير مانع .

والمسند له اطلاقات : ـ

١ ـ المتصل المرفوع . ٢ ـ ما اتصل إلى منتهاه .

٣ ـ أنه المرفوع . وقد يراد به المعنى اللغوى وهو ماله سند .

ولا يخفى أن المسند يطلق على مرويات الصحابة كذلك كما فعل الإمام أحمد .

وقد اعترض على هذه التعريفات :

١ ـ من يقبل المرسل ولا يطلق عليه أنه مسند لأنه سقط منه الصحابى .

٢ ـ الفقهاء يأخذون بالشاذ والمعلل .

٣ ـ لا يشمل الحسن إن ترقى .

٤ ـ المتواتر صحيح وليس صادقاً عليه .

٥ ـ الشروط المختلف فيها من شهرة الراوى ، وفهمه ، وكثرة سماعه ، وعلمه ، وفقهه ، ولقاؤه بمن روى عنه . وتعدد الرواة كالشهادة .

٦ ـ عدم الشذوذ يغنى عن اشتراط الضبط .

٧ ـ لم يشترط نفى الإنكار . ٨ ـ لم يقيد العلة .

وأجيب عن هذه الاعتراضات : ـ

الإعتراض الأول : التعريف عند المحدثين . أما عن الإعتراض الثانى فكذلك . والثالث بأن المراد الصحيح لذاته . والرابع أن المتواتر تنطبق عليه الشروط . والخامس يمكن دخول الشروط فى التعريف والسادس هو فى مقام التوضيح . والسابع الإنكار هو الشاذ عند ابن الصلاح . والثامن إرادة العلة القادحة .

والصحيح المتفق عليه خمسة :

١ - أن يروى عن الصحابى إثنين من التابعين .

٢ - أن يروى عن الصحابى واحد عن واحد .

٣ - أن يروى عن التابعى واحد فقط .

٤ - الغرائب الثقات - واحد عن واحد .

٥ - الإمام عن أبيه عن جده إلى النبى .

الصحيح المختلف فيه خمسة : -

١ - المرسل .　　　　٢ - المدلس إن لم يذكر سماعا .

٣ - ما أسنده الثقة وأرسله الثقات .

٤ - روايات الثقات غير الحفاظ .　　٥ - روايات المبتدعة الحاذقين .

واعترض على الثالث المختلف فيه بوجوده فى الصحيحين وكذلك نفس الإعتراض على الخامس . أما الرابع فادعى الإتفاق عليه .

أما ابن الصلاح فقال : إن توافرت الشروط التى هى فى تعريف الصحيح فتفق على صحته . وإلا قد اختلفوا حسب نظارتهم لوجود هذه الشروط . فمن أدى أنها موجودة حكم بالصحة .

أما تعريف ابن الصلاح السابق فلا توجه له هذه الإعتراضات لأنه أراد الصحيح المتفق عليه عند المحدثين.

وحكى النووى أن الطبقات المقبولة : -

١ - أئمة الحديث.　　　　٢ - من دونهم فى الحفظ .

٣ - المعتدلون من أهل البدع .

أما الطبقات المردودة: -

١ - الكذابون .　　　　٢ - من كثر خطؤهم.

٣ ـ أهل البدع المغالون . والمختلف فيها المجهولون .

الصحيح باعتبار تدوينه :

١ — ما اتفق عليه البخارى ومسلم . ٢ — ما انفرد به البخارى .
٣ — ما انفرد به مسلم . ٤ — ما كان على شرطهما .
٥ — ما كان على شرط البخارى . ٦ — ما كان على شرط مسلم .
٧ — ما كان على شرط غيرهما .

وشرط البخارى المعاصرة واللقاء . وشرط مسلم فى الراوى أن يعاصر من نقل عنه ولو لم يلقه .

ومن المحدثين من اعترض على هذا الترتيب . ووجهة نظارهم : لم يشمل الكتب الستة . وأجيب بأن تخريج الكتب الأربعة لايعنى أنه صحيح لعدم إلتزامهم بإخراجه . ففيها غير الصحيح . أى الكتب الأربعة .

ما يفيده الحديث الصحيح :

الصحيح من حيث هو يفيد ترجيح الصدق على الكذب ، وهو المعروف بالظن وهذا رأى الجمهور . وحكى عن بعضهم أنه يفيد القطع . ونقل عن بعض الشافعية إن كان فيه إمام أفاد القطع ، وإلا فلا . وقال ابن الصلاح ما فى الصحيحين يفيد القطع إلا ما استدرك عليهما .

أدلة الجمهور :

١ — جواز الخطأ والنسيان على الثقة .

٢ — لو أفاد القطع من غير قرينة للزم .

(ا) كونه عاديا فيطرد .

(ب) اجتماع النقيضين عند تعارض العدلين .

٣ — وجوب تخطئة المجتهد المخالف له .

٤ — عند معارضته للتواتر .

٥ — امتناع التشكيك بما يعارضه .

وهذا كله غير مسلم . فثبت أنه يفيد الظن كما قال الجمهور . وللقائلين إفادته القطع أدلة لا تخلو من اعتراضات عليها . واختار الغزالى أنه إذا اقترن بالقرائن فقد يفيد العلم . ونوقش بأن القرائن هى التى أفادت القطع لا نفس الخبر .

وثانيا : لو أفاد لكان كل خبر آحاد اقترن بالقرائن أفاد القطع .

وأجاب الغزالى أن الدعوى هى أن القرينة مع الخبر قد تفيد القطع لا أن كل خبر معه قرينة يفيد القطع .

ثالثا : مما اعترض به على الغزالى كيف نفرق بين ما أفاد العلم وما لا يفيده ؟

وأجاب بأنه إذا حصل العلم أيقنا أن الخبر المحفوف بالقرينة هو الذى أحدث هذا العلم .

وقال ابن حجر الخبر المشهور الذى معه القرينة يفيد العلم النظرى . وبعضهم قال إن الخلاف لفظى . فمن قال بالظن أراد العلم النظرى . ومن قال بالقطع لم يرد العلم الضرورى . والحق بعد هذا كله هو هل الخبر مع القرينة التى أفادت القطع له دخل فى الإفادة بأن يكون جزء علة ، أو شرطا فى إفادة القطع ، أولا ؟

والصحيح إذا كانت القرينة مثبتة لمضمون الخبر ، فإن كانت قطعية فلا دخل للخبر فى الإفادة . وإن كانت غير قطعية فمعها يبقى احتمال عدم ثبوت مضمون الخبر . وكذلك عدم ثبوت مضمون الأخبار . وهنا لا يفيد القطع .

أما إن كانت القرائن على صدق الخبر وهى قطعية كان إخباره مفيدا للقطع . وهذا الكلام فى غير المعصوم من الأنبياء والإجماع . لأن خبرهما قطعى .

ومن القرائن المحتفة بالخبر ما أخرجه الشيخان ، أو الخبر المشهور ، أو خبر الأئمة العدول . فإن ذكر الأئمة لهذا الخبر قرينة حافة بالخبر .

أشهر مؤلفات الحديث :

الكتب الستة . وصحيح ابن خزيمة ، وابن حبان ، ومستدرك الحاكم . ومسند أحمد .

ويقدم ابن خزيمة على ابن حبان :

١ — لدقة تحريه فكثيرا مايقول إن صح الخبر .

٢ — إن ابن حبان يروى عن المجهول الذى يروى عن ثقة ، ويروى عن ذلك المجهول ثقة . وهو أصح من الحاكم لأن الحاكم يتساهل . وليست الكتب الستة فى درجة واحدة . فالبخارى ثم مسلم فأبو داود . والفرق بينهما :

١ — إن التفاوت عند مسلم فى الرجال . أما عند أبى داود ففى المتن .

٢ — فى أبى داود مافيه وهن غير بين . وليس كذلك فى مسلم .

٣ — الطبقة الثالثة عند مسلم يجعلها من المتابعات ، ولا كذلك أبو داود .

٤ — إن مسلم إلتزم الصحيح ، وأبو داود لم يلتزم .

ثم النسائى . والترمذى .

والفرق بين طبقات رجال النسائى وأبى داود من جهة وطبقات الترمذى من جهة أخرى :

أن الأولين لم يسلم رجالهم من غوائل الجرح والتعديل . أما طبقة الترمذى فكذلك ولكن قلت ممارستهم للزهرى التابعى . وامتاز البخارى بفقه تراجمه . وأبو داود فى جمعه الأحكام . والترمذى فى صناعة الحديث . والنسائى فى أدق هــذه الصناعة . وهناك مستخرجات على الصحيحين ولها فوائد :

١ — ليكون الإسناد أوقع .   ٢ — زيادة الصحيح .

٣ — كثرة الطرق للترجيح عند المعارضة .

٤ — توضيح عمن اختلط عليهم .

٥ — سماع المدلس الراوى بالعنعنة.　　　٦ — توضيح المبهم.

٧ — تسمية المهمل.　　　٨ — إزالة العلل.

وقال ابن دقيق العيد : إن كنت فى مقام الرواية فقيد بما تروى عنه من الكتب. وإن كنت فى مقام الاحتجاج فيكفيك الإطلاق.

ويرى ابن الصلاح أنه فى هذه العصور لاتتجاسر على تصحيح مالم يسبق تصحيحه. وخالفه النووى.

ودليل ابن الصلاح قصور الهمم وزيادة الجسارة ، واهتمام الأئمة المتقدمين ووجود مستدرك الحاكم الكبير.

ولم يفرق ابن الصلاح بين عدم التصحيح وعدم التحسين فى عصرنا. أما النووى فقد أجاز التصحيح والتحسين من باب أولى. وكذلك منع ابن الصلاح القول بالتضعيف أو بالوضع فى زمننا ، وتوقف فى القول بالفرد والغرابة.

والحديث الضعيف الذى لايجبر ماكان فيه الخستان : الستر والغفلة. أما ماكان فيه أحدهما ، أو كان ضعفه بسبب انقطاع فإنه يجبر بشروط :

١ — خلوه من الشذوذ والنكارة.

٢ — أن يكون المقوى له صالحا للإعتبار.

ويجب العمل بالحديث الحسن. كما يجب العمل بالحديث الصحيح.

ورواية البخارى المعلق بصيغة يروى : إما لأنه يرويه بالمعنى ، أو هو على غير شرطه ، أو ضم إليه مالم يصح ، أو يكون حسنا ، أو ضعيف نبه عليه أم لا.

والجمهور لايحتجون بالمرسل لاحتمال أن يكون فى المحذوف شىء ، ولقوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) الآية.

ومن السنة : تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم. وقال مالك

وأبو حنيفة وأحمد : يحتج به مع قليل من الاحتراز . وقال الشافعى : يحتج به إن كان المرسل من كبار التابعين وأيد . وقال ابن الصلاح حكم المرسل كالضعيف يحتج به إن تعضد . وزاد الرازى فى المعتضد أن يكون مساويا للمرسل . وزاد الأصوليون أن يوافقه قياس أو عمل مشهور . ومرسل الصحابة يحتج به على الرأى الراجح .

وابن الصلاح والنووى يسويان بين المرسل الخفى والمدلس . والتدليس أقسام :

١ — تدليس القطع : أن يدلس من غير ذكر أداة .

٢ — تدليس التجويد أو التسوية : أن يحذف الضعيف ويروى عمن فوقه لكونه ثقة .

٣ — تدليس العطف : كأن يروى عن فلان ولم يسمه ولم يسمع منه .

٤ — تدليس السكوت : كأن يقول سمعت ثم يسكت .

٥ — تدليس التورية : كأن يقول سمعته ثم يروى حديثاً آخر .

٦ — تدليس الاستدراك : كأن يقول سمعت من عبد الرحمن من أبيه وهو سامع من أبيه فقط .

وهذه الأنواع من التدليس فى الإسناد .

وقسم الحاكم المدلسين إلى .

١ — من لم يميز بين ماسمع وبين مالم يسمع .

٢ — من يدلس ثم يعترف بالتدليس إن سئل .

٣ — من دلس عن مجهول . ٤ — من دلس ولكن عمن سمع منه .

٥ — من دلس عمن يره . ٦ — من يصف شيخه بغير المشهور به .

وفى الإحتجاج بالمدلس خلاف وتفصيل فى الصيغ والرجال وما عرف عن المدلس من روايته عن الثقات .

أنواع الموضوع :

إما كلام الواضع ، أو يأخذ كلام غيره ، أو يجعل للحديث الصحيح سندا صحيحا .

هذا قليل من كثير ، ذكرته لعموم الفائدة ، ولأن النظارات فى السنة يجب أن تكون فى علم الدراية ، ولا تختصر على علم الرواية ، واخترت لها الخاتمة كى لا يصد العامة عن الكتاب لمطالعتهم لما لا يدركون ، وأخاطب به الذين يتحدثون عن السنة من غير علم ، يحسبونها سهلة ، وأنها مجرد نقل حديث من كتاب ـ تلك دراستهم .

والأمر أعمق من هذا وأدق ، وإذا كانت الفلسفات الحديثة والمنطق الجديد يعتمدان على الملاحظة والتجربة ـ ففى علوم الحديث هذا المنهج الدقيق ، الذى زاد عن منهج الفلاسفة دراسة نفسية لأحوال الرواة ، من غير تتبع لعوراتهم ، ولا تجسس عليهم بطريقة غير مشروعة .

فإلى المتحدثين عن السنة أن يدرسوا قبل أن يتحدثوا ، ومن الإثم أن ينقل حديث من كتاب فقه :لى أنه منقول من كتاب حديث ـ فالسنه كتبها ، وللفقه مراجعه ، وما يقبله الفقيه من حديث قد لا يقبله المحدث كما سبق .

وإلى كل منصف أن يبصرنى بما يجده من خطأ فى هذا الكتاب ، وليس فى العلم كبير ، وفوق كل ذى علم عليم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه . والمهتدين بهديه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وقد كان الفراغ منه يوم ٢٠ رمضان سنة ١٣٨٧ هـ ، الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٧ م ، جمع فيه ألف ومئتا وإثنى عشر حديثا .

د ، محمد عبد المنعم محمود القيعى
مدرس بكلية أصول الدين

﴿ محتويات الكتاب ﴾

رقم الصفحة

(تم الكتاب بحمد الله)